

# مجلة الأنهر

مجلة شهرية جامعية

تجدر عن شيخنا الأنهر في أن كل شهري

مدير المجلة ورئيس التحرير  
أحمد حسن الزيات  
لكنوان  
إدارة الجامع الأزهر  
بالقاهرة  
ت : ٩٠٥٩٤

بدل الاشتراك

٤. في الجمهورية العربية المتحدة  
٥. خارج الجمهورية  
واللذين والطلاب  
تغفيض خاص

الجزء الثالث - السنة السادسة والثلاثون - جادى الأولى سنة ١٣٨٤ هـ - أكتوبر ١٩٦٤ م

العدد ١٢٢٢

## المذاهب الأدبية المنحرفة

بقلم : أحمد حسن الزيات

فرضت الطبيعة التطوير ، ويدلون بركب  
الخليقة في طريق الحياة المبهمة إلى الغاية التي  
حددما الفن والأدب والعلم بالجمال والخير  
والحق .

كان الأدباء العالميون ينجون هذا النهج  
القومى حتى أصاب العالم في النصف الأول  
من هذا القرن حربان عامتان ذلوتا الأرض  
وبلبلتا الأقفس ودمرتا الحضارة وخلقتا  
الشك والتهمة في القيم والمبادئ ، وأشاعنا  
الخوف والقلق في الفرد والجماعة ، وكان  
من أثر ذلك في الأدب أن ظهرت فئة  
من الكتاب ضلوا السبيل فأنكروا العقل  
وجافوا البيان وطارضوا الواقع وزعموا

ما دام المطلق قانونا للفكر ، واللغة أداة  
للبيان ، والوضوح طبيعة للأسلوب ، والنفق  
حكما على الفن ، فإن الكاتب يكتب ليصيب  
والقارى يقرأ ليفهم ، والناقد يبحث ليجد ،  
ولا يجرى الأمر على خلاف ذلك إلا إذا  
فسدت الطباع واتقلب الأوضاع فيصبح  
المنطق خطلا وفهامة ، واللغة لغوا وثوثة ،  
والكتابة معاياة وشعوذة ، والفن كله عبثا  
ومهزلة

ولقد كان الأدباء : كتابهم وشعراؤهم على  
سواء الطريق حين كانوا يسيرون في ضوء  
العقل ، ويبتدون بأعلام الحق ، فيجدون  
إذا اقتضت الحال التجديد ، ويطورون إذا

أطراف الدولة وبدون ثمار الحضارة ودنو  
العربية من الفارسية ، ومذهب ابن المقفع  
الذي ظهر في فجر الحضارة العربية كان طوره  
الثاني دنا إليه اتساع الخلافة وتنوع الثقافة  
وشدة اختلاط العرب بالفرس .

ثم كان طوره الثالث مذهب الجاحظ الذي  
اقتضاه نقل العلوم الأجنبية وازدهار المدنية  
العباسية وانتشار المقالات الإسلامية وتعدد  
الحياة الاجتماعية واقتباس الآراء الفلسفية .  
ثم أترف المسلمون وتقلبوا في أعطاف  
النعمة وتألقوا في مظاهر العيش فظهر طوره  
الرابع في مذهب ابن العميد المسجوع المنق .

وإلى هنا كان التطور في النثر الفني تطوراً  
طردياً يسير من الضيق إلى السعة ومن الجزالة  
إلى الرقة ومن الترسل المتوازن إلى الصنعة  
المطبوعة ، فلما ضعفت الخلافة وصار الأمر  
إلى غير أهله جرت على الكتابة أعراض  
الفساد والوهن ، فكثرت الزيف وانتشرت  
الصنعة وكان من ذلك مذهب القاضي الفاضل  
وهو الطور الخامس من أطوار الأسلوب  
العربي غلا فيه أصحابه حتى أفسدوا الفكرة  
وشوهوا الصورة ، ومن هنا كان رد الفعل  
بظهور مذهب ابن خلدون إذ رغب عن  
السجع وزهد في البديع وسار باللفظ وراء  
المعنى ، ثم تطور هذا المذهب بتأثير الحضارة  
الأوربية ونقل الآداب الأجنبية إلى الأسلوب  
الذي يكتب به الكتاب الموهوبون اليوم .

\*\*\*

أن الحياة المجردة سخف وعيب ، وأن القيم  
المقررة إفك وزور ، وأن محاولة فهم الحياة  
أو تفسيرها عناء وباطل ، فما عليهم إلا أن  
يعيشوها هل علاتها ، ولا عليهم أن يعالجوها  
بإصلاح فاسدها وحل مشكلاتها . ثم جعلوا  
مسرحياتهم صوراً لهذه الحياة التي تخيلوها ،  
فلا عقل بغير ولا منطق يعصم ولا علم ينير  
ولا خلق يربط ولا دين يهدي ولا حق يقبع  
ولا شرف يراهي ولا غرض يرمى ، ولا أمل  
يحفز ولا مطمع ينال ولا لغة تعبر ، حطموا  
كل أوائل فطموا معه الإنسان نفسه .

بدأ ذلك الانحراف بعد الحرب الأولى  
الفوضوية والداديون والسراليون ،  
وتبعهم بعد الحرب الثانية اللامعقويون ،  
فبلغ بيكف ، ود أرنسكو ، ود آدموف ،  
بالعبث المسرحي الغاية التي يختلط عندها  
حوار الممثلين بهذيان المحموم وكلام النائم ،  
وإذا شئت مثلاً على ذلك فاقراء لعبة النهاية ،  
لصمويل بيكف ، و الكراسي ، لأوجين  
أونسكو ، و رباطالع الشجرة ، لتوفيق  
الحكيم

نشأت المذاهب الأدبية القويمة عند العرب  
والفرنج إما مرحلة لتطور مذهب تقدم به  
مبتدوه ، وإما رد فعل لمذهب غلا فيه  
متبعوه ، فذهب عبد الحميد بن يحيى كان الطور  
الأول للأسلوب العربي الضيق الموجز دعت  
إليه مقتضيات المجتمع الجديد من تشعب

الكتاب في الحرية واتحد الفن بالطبيعة وهبط الفنان إلى الشعب حتى كان من أثر الاستخفاف بالقواعد والإسراف في معاداة الواقع والانسكا. هي عمل الخيلة والاتجاه الى أثر الحساسة أن قل الوضع وأهوزت الدقة وأبعد الخيال وطفى الشعور ، ومن ثم كان للاتباعية رد فعل من جهتين : جهة الإفراط في الخيال نشأ عنه المذهب الواقعي وجهة الإفراط في الحس نشأ عنه المذهب البرناسي وهو رجعة الى الاتباعية من بعض نواحيها ، ولكنه لا يعنى عنايتها بالخواج النفسية ، ولا يصطبغ صبغتها بالألوان الأرستقراطية ، وإنما يلاحظ الطبيعة وينقلها قلا موضوعيا عمايداً أميناً لا يتدخل الفنان بشعوره الفخمي فيه ، ولا يحفل بإظهار السمات الجمالية به ، ولا يقصد الى استنباط المغزى الخلق منه . فهو بهذا الاعتبار مذهب على يعتمد على الحقائق والوثائق لا على الفروض والأخيلة .

وأما المذهب البرناسي فيبغض الشعر العاطفي ويحب الجمال المصنوع ، ويعنى الصورة على حساب الفكرة ، ويؤثر جانب الصنعة على جانب الطبيعة ، ويشدد في طلب القافية المحكمة والفقرة الموقعة والتعبير الفخم والتركيب الجزل والوصف النادر والوشى العجيب ، فدمره أشبه شيء بالعمائيل المنحوتة من جميل المرمر ، فبها الصقل والعروز وتبين الملامح وتبين الحدود ولكن فيها كذلك الصلابة والجفاف والعمى والبرود .

كذلك كانت نشأة المذاهب الأدبية في أوروبا ففي فرنسا مثلاً كانت اللغة وآدابها خاضعة لسامان الإغريقية واللاتينية على أثر انبعاث الروائع اليونانية والرومانية في إيطاليا ، فالألفاظ يكثر فيها العامى والدخيل ، والتراكيب يطنى عليها وميروس أوفرجيل والنظم والفنر يجران على المحاكاة الشكلية ، والموضوعات تؤخذ من الأساطير الوثنية ، فكان لا بد لهذه العبودية الأدبية من محور يكف فكف شرتها وينظم فوضاها ، فظهر المذهب الاتباعي في أوائل القرن السابع عشر وهو يقوم على تقليد اليونان والرومان تقليد التليذ لمعلمه لا تقليد المصور لمثاله ، ثم طهروا اللغة من الدخيل والعامى ، ووسعوا دائرتها بالوضع والاشتقاق ، وجعلوا للعقل السلطان المطلق على الأدب ، فلا يكادون يلقون بالملم إلى الخيال والعاطفة ، ثم قيدوا الفنون الشعرية والقصصية بقيود من القواعد الصلبة وأخذوا أنفسهم بها حتى انفرجت الحال بينهم وبين العامة ، واتقطع السبب بينهم وبين الطبيعة ، وكان رد الفعل الطبيعي لتلك ظهور المذهب الابتداعي الذي عزف عن المحاكاة الأجنبية ، واستمد موضوعاته من أسرار المسيحية وهدود الفروسية ، وقدم الخيال على العقل والشعور على المنطق والفردية على الجمعية والذاتية على الموضوعية . ثم أطلق الفن من القيود اتقى كبله بها الاتباعيون فأمعن الشعراء في الخيال وأوغل

ومن إسرار البرناسيين في الوضوح والصراحة والتبيين والتبيين حدث رد الفعل الذي نشأ منه المذهب الرمزي وهو يذهب إلى تعبير بالإيماء والإيجاء والتكنية والمصنوع والميوعة ليدع للقارئ نصيبا إيجابيا في تشكيل الصورة وتوسيع الفكرة وتقوية العاطفة بما يضيفه إلى المعاني من توليد فكره وتجديد شعوره . قال الشاعر :  
 « ما رميه ، زعيم الرمزية الثاني : « إن البرناسيين يتناولون الشيء كله ويظهرونه كله فيفقدون بذلك سحر الخفاء ويسلبون الذهن نشوة الطرب التي يفتشها فيه اعتقاده بأنه يخلق . إن الشاعر إذا سمى الشيء باسمه فقد أفقد القصيدة ثلاثة أرباع المتعة ، وما هذه المتعة إلا أثر السعادة التي يشعر بها القارئ وهو يضرب رويدا ورويدا في أودية الحدى ، وذلك هو الحلم ، فالعصر الرمزي يذكر الواضح وينفى من المحدد ويطلب المتخيل ويبحث عن المشقة ويحملك على أن تحمل لا على أن تفكر ، فالألفاظ عند الرمزية لم تعد تدل على الأفكار أو الصور التي وضعت لها وإنما تدل كما تدل الرموز على مناسبات بعيدة ومشابهات مهمة .

وقد وقع الرمزيون فيما وقع فيه البرناسيون فأخذوا من الموسيقى الغموض والاختلاط ، كما أخذوا ذلك من النحت والوضوح والتحديد .

فأنت ترى أن المذاهب الأدبية الأوروبية كانت سلسلة متصلة الحلقات من ودود الفعل ، كما رأيت أن المذاهب الأدبية العربية نشأ أكثرها من أثر التطور وأقلها من رد الفعل . ولذلك لا نجد في منطق الأشياء ولا في واقع الأمر ما يسوغ لأحد أن يسمى هذا الانحراف الذي أصاب الأدب في الغرب والشرق مذهبا جديدا من مذاهب الكتابة ؛ لأنه لا يكون كذلك إلا إذا كان نتيجة لتطور أو أثرا لرد فعل ؛ ومن المحال أن تكون السريالية أو اللامعقولية وأمثالها من أهداء العقل واحداً من هذين ؛ لأن التطور يقتضى أن يكون هناك تخلف وهذه استعجاله ، أو نقص وهذه استكمال ، ورد الفعل يستلزم أن يكون هناك جور وهذه قصده ، أو فساد وهذه صلاحه ؛ وهذا لا يسلم به إلا إذا سلخوا أن العلة خير من الصحة ، والخطأ أولى من المنطق ، والسلب أجدى من الإيجاب ، والهدم أنفع من البناء والعدم أصلح من الوجود ، والقبح أحسن من الجمال ، والعجمة أفصح من البيان ، والعامية أبلغ من الفصحى ، والثروة أفضل من الفن ، وهم لن يسلبوا ببعض ذلك إلا إذا سلخوا ملكة التمييز وحرموا نعمة العقل ، فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض .

## التطورات التشريعية للطلاق للأستاذ محمد محمد المدني

— ٤ —

تعالى : « الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان ، ولا يحل لكم أن تأخذوا مما أنتموهن شيئاً إلا أن يضافاً ألا يقبها حدود الله ، فإن خفتم ألا يقبها حدود الله فلا جناح عليهما فيما اقتدت به ، تلك حدود الله فلا تعتدوها ، ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون . فإن طلقها فلا تحمل له من بعد حتى تنكح زوجاً غيره . »

( الآيات ٢٢٩ ، ٢٣٠ من سورة البقرة )  
قالوا : دلنا الآية على أن الطلاق المشروع بعد الدخول نوطان :

١ — الطلاق الذي لا يملك الرجل فيه الرجعة ، وهو ما دل عليه قوله تعالى : « فإن طلقها فلا تحمل له من بعد حتى تنكح زوجاً غيره . »

٢ — والطلاق الذي يملك الرجل فيه حق الرجعة ، وهو ما سبق هذه الطلقة ، وقد شرعه الله مرتين ، ولا يفهم العرب من كلمة ( مرتين ) ونحوها إلا الحصول متعاقباً دفعة بعد دفعة (١) .

وقال ابن القيم بعد أن ذكر أن الله تعالى جعل الطلاق مرة بعد مرة :

(١) ص ١١١ من مقارنة المذهب للأستاذين : شلتوت والـايس

موضوع هذه المسألة قول الفائل لزوجته : أنت طالق ثلاثاً ، وفي حكمه أيضاً من قال لها : أنت طالق اثنتين أو أربعاً أو أكثر ، ولذلك يعبر عنه بعضهم بقوله : « الطلاق المحترن بمدد . »

وقد اختلف العلماء فيه من قديم :

١ — فمنهم من يقول : لا يقع به شيئاً أصلاً (١) ، وذلك تمثيلاً مع القاعدة التي تقرر أن كل طلاق خالف ما رسمه الشارع لا ينعقد ولا يقع به شيء ، وهذا قد خالف قوله تعالى : « الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان ، كما أنه ينطبق عليه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم . « من حمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد . »

٢ — ومنهم من يقول : « لا يقع به إلا واحدة رجعية ، (٢) ، واستدلوا بقوله

(١) ذهب إلى ذلك بعض الإمامية ، وحكى عن بعض التابعين وحما ابن عليه ، وحشام بن الحكم ، وبه قال أبو حنيفة ، وبعض أهل الظاهر .

(٢) ذهب إلى ذلك الزيدية من الشيعة ، وابن تيمية وتلميذه ابن القيم من الحنابلة وغيرهم من فقهاء المذاهب والمصنابة والتابعين — انظر كتاب مقارنة المذاهب للأستاذين الشيخ محمود شلتوت ، والشيخ محمد السائس ص ١٠٦ .

وقد كرر ابن القيم هذا المعنى في كتبه الأخرى مستدلًا به على أن الطلاق الثلاث بلفظ واحد لا يقع به إلا واحدة (١).

واستدلوا أيضاً بما رواه طائفة عن ابن عباس قال : « كان الطلاق الثلاث على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وسنتين من خلافة عمر : طلاق الثلاث واحدة » فقال عمر بن الخطاب : إن الناس قد استمجلوا في أمر كانت لهم فيه أناة ، فلو أمضيتم عليهم فأمضاء عليهم .

قالوا : « إن عمر رضي الله عنه فعل ذلك اجتهداً منه وقد وافقه عليه كثير من الصحابة منهم ابن عباس - على رواية - وسبب هذا هو ما وجدتم عليه من مخالفة الكتاب ، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يغضب لهذه المخالفة ويقول : « أيلبب بكتاب الله وأنا بين أظهركم » ، فحرم عليهم الرجعة إلا بعد زوج آخر ، والرجعة مباح من المباحات ، وليست بواجبة ، فهو لم ينه الناس عن واجب ، وإنما ينههم عن مباح للصلحة ، وهي ردم إلى ما كان عليه الناس زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم - أي الزمهم بالثلاث حتى يردم إلى ما كان عليه الناس في عهد رسول الله

« وما كان مرة بعد مرة لم يملك المكلف إيقاع مراته جملة واحدة كاللعان (٢) » ، فإنه لو قال : أشهد بالله أربع شهادات أني إن الصادقين ، كان مرة واحدة ، ولو حلف في القسامة (٣) وقال : أقسم بالله خمسين يمينا أن هذا قاتله كان ذلك يمينا واحدة ، ولو قال المقر بالزنا : أنا أقر أربع مرات أني زني ، كان مرة واحدة ، فمن يعتبر الأربع لا يجعل ذلك إلا إفراواً واحداً ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « من قال سبحان الله وبحمده مائة مرة حطت عنه خطاياه ولو كانت مثل زبد البحر » . فلو قال : سبحان الله وبحمده مائة مرة لم يحصل له هذا الثواب حتى يقولها مرة بعد مرة ، وكذلك قوله : « من سبح الله دبر كل صلاة ثلاثاً وثلاثين ، وحده ثلاثاً وثلاثين ، وكبره ثلاثاً وثلاثين ، الحديث لا يكون عاملاً به حتى يقول : « ذلك مرة بعد مرة ، لا يجمع السك بلفظ واحد ... » (٤) .

(١) هو ما يحدث حين يقيم الزوج زوجته بالزنا وليس له بينة على دواؤه ، ولا تصدقه الزوجة باعترافها على نفسها ، وهو المقرر بقوله تعالى : « والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهود إلا أنفسهم فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين » الآيات ٦ - ٩ سورة النور .

(٢) هي الإيمان التي تتوجه على المنهم بالنقل في حالات خاصة مذكورة في الفقه .

(٣) أملاهم الموقنين لابن القيم ص ٢٧ ج ٢ .

(١) انظر ( زاد للماد - لابن القيم ص ٥٥ ج ٤ ) و ( إغاثة القهقري ) له أيضاً ص ١٥٤ .

قالوا : فلو أنه لم يقع أصلاً ، أو وقع واحدة رجعية لمأحرهما السكنى والنفقة ، إلى غير ذلك .

وقد جرت بين الفريقين مناقشات كثيرة ، ومن أشهر الكتب التي هُتبت بذكرها وتفصيلها كتب ابن القيم : (أعلام الموقعين) و (زاد المعاد) و (إغاثة اللهفان) وإلى هذه الكتب غالباً يرجع كل من كتب في هذا الموضوع عن الفوا حديثاً .

وقد استعان بها واضعوا د القانون رقم ٢٥ لسنة ١٩٢٩ ، بتعديل بعض أحكام الأحوال الشخصية في مصر ، والقوانين المماثلة التي شرعت في البلاد العربية الأخرى .

ما أخذت به القوانين الحديثة لمؤامرات الشخصية في مصر وغيرها من البلاد العربية في طيوس الثموت :

كانت المحاكم الشرعية بمقتضى القوانين السابقة على القانون رقم ٢٥ لسنة ١٩٢٩ المشار إليه ، تحكم في مسألة الطلاق الثلاث في لفظ واحد ، بمذهب الجمهور ، أى بإيقاعه ثلاثاً ، وكذلك فيمن فيه الطلاق باثنتين فإنها تحكم فيه بوقوع اثنتين .

وذلك أن القضاء كان يجرى على الراجح من مذهب الحنفية إلا فيما نص فيه بمقتضى القوانين على غير ذلك .

فتم لأنه صدرت قبل قانون سنة ١٩٢٩

صلى الله عليه وسلم من نحاشى الإقدام على هذه الصيغة غالباً (١) .

وهناك أدلة أخرى استدلت بها أصحاب هذا الرأي ولسنا بصدد الاستقصاء .

٣ - وجهور الفقهاء يقول بوقوع الطلاق ثلاثاً في لفظ واحد ثلاث طلقات ، فتبين الزوجة به بينونة كبرى ، ولا يحل لها أن تعود إلى زوجها إلا بعد أن تكسح زوجها غيره . وعلى هذا الرأي أئمة المذاهب الأربعة

المشهوره وغيرهم في مختلف العصور ولم أدلتهم على ما رأوه :

ومنها من القرآن أن آيات الطلاق وردت مطلقة لم تفرق بين الواحدة وغيرها ، وأن غاية ما تدل عليه آية الطلاق مرتان ، أن الطلاق الذى يكون الرجل فيه أحق برد زوجته ما كان مرتين ، فإن طلقها اثلاً فليس أحق بها ، وهذا لا يقتضى أن الطلاق الثلاث بكلمة واحدة لا يقع أصلاً أو يقع به واحدة ، وإنما يرجع في ذلك إلى السنة .

وتسكلموا في حديث ابن عباس : واستدلوا بعدة أحاديث منها حديث فاطمة بنت قيس ، طلقني زوجي ثلاثاً ، فلم يجعل لي رسول الله سكنى ولا نفقة .

(١) ص ٨٣ من « بحوث في التشريع الإسلامى وأسائيد قانون الزواج والطلاق » للنفوذ له الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفى للراعى .

تختلف شرط من شروط العقد ، وإذن فالطلاق الثلاث الذي نطق به هذا الزوج قد ورد على نكاح فاسد ، فلا حيلة به ، وهذه حيلة للتخاوس من إيقاع الثلاث والتفريق بين الزوجين ) - ومنهم من يلجأ إلى المحلل ، وهما أمران أحلاهما مر ، ومفاسد التحليل لا تخفى على أحد ، وقد كتب فيها ابن القيم وشيخه فصولاً طويلاً ، فإذا رد الناس إلى ما كان عليه الأمر من النبي صلى الله عليه وسلم كما يفيد حديث ابن عباس نزول هذه المفاسد أو نقل ، وقد راعت الشريعة الإسلامية منتهى الحسنة في جعل الطلاق على ثلاث دفعات ، وذلك ليحرب الرجل نفسه بعد المرة الأولى والثانية ، ويروضها على احتمال الصبر والأذى ، حتى إذا لم تفده التجارب ووقعت الثالثة علم أنه ليس في البقاء خير ، وأن الانفصال البات بينهما أحق وأولى ، والقول بوقوع الثلاث دفعة واحدة يبطل لهذه الحسنة . (١)

• • •

ولهذا جاء في المادة الثالثة من القانون المصري رقم ٢٥ لسنة ١٩٢٩ ما يأتي :

( الطلاق المقترن بمدد لفظياً أو إشارة لا يقع إلا واحدة )

(١) المصدر السابق ص ٨٢

قوانين تقتل على أحكام كثيرة عدل فيها من مذهب أبي حنيفة ، مثل قانون ( يوليو سنة ١٩٢٠ ) الذي أخذ كثيراً من مذهب مالك ، وقانون ١٩٢٣ الذي يحدد سن الزواج بثماني عشرة سنة ، بالنسبة للزوج وست عشرة سنة بالنسبة للزوجة ، وقد أخذ فيه برأى ابن شبرمة ، وهثمان البتي وأبي بكر الأصم من غير فقهاء المذاهب الأربعة .

ولكن موضوعات الطلاق ظلت في هذه القوانين خاضعة لأحكام الفقه السائد على مذاهب الجمهور ، ثم جاء القانون رقم ٢٥ لسنة ١٩٢٩ فأخذ في الطلاق الثلاث برأى الشيعة الإمامية وابن تيمية وابن القيم ولم ير الإبقاء على ما حكمت به المذاهب الأربعة في هذا الشأن .

وفي ذلك يقول المغفور له الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغي :

« لقد كثرت المفاسد في هذا الزمان من القول بوقوع الثلاث بكلمة واحدة ، فن الناس من يلجأ إلى القول بفساد العقد ( أى فيتحايل لمن ينطق بالطلاق ثلاثاً بكلمة واحدة ، حتى لا يفارق زوجته وأولاده ، بأن ينظر إلى العقد الذي تم بين الزوجين فلعله يرى أنه لم يكن عقداً صحيحاً ، وبذلك يقول : إن الزواج الذي وقع بين هذا الرجل وهذه المرأة لم يقع صحيحاً ، وإنما وقع فاسداً

ويرى بعض العلماء المعاصرين أن هذه المادة وإن كانت فتحاً جديداً ، وقد رفضت من الناس كابوس الطلاق الثلاث ، لكنها لم تمنع حيل المحتالين المخاتلين من المأذنين في إثبات الطلاق الثلاث بالإشهادات التي يكتبونها ، فيتحيل المأذون بأن يكتب على لسان المطلق أنه اعترف بأن هذا الطلاق مسبق بطلقتهن قبله ، ثم يكتب وبذلك بانك منه بينونة كبرى ، ؛ لأن بعض المأذنين لا يقتنع بصحة هذه المادة من القانون ، ويعتقد أن الطلاق وقع ثلاثاً باللفظ الواحد ويتدين بوجوب التحيل لإثباته ، ويقدم بذلك على جريمة التزوير ، ثقة منه بأن إنباتها عليه غير يسير<sup>(١)</sup> .

ويقترح لإصلاح ذلك أن ينص على ما يأتي :

( المعتدة لا يلحقها الطلاق ) .

( وذلك لأن الأدلة الشرعية قائمة على بطلان الطلقتين التاليتين للطلقة الأولى في العدة ) .

محمد محمد المهدي

(١) راجع ص ١١٤ وما بعدها من كتاب ( نظام الطلاق في الإسلام للرحوم الفيض أحمد محمد شاكر )

وجاء في مدونة الأحوال الشخصية المراكش ما يأتي :

( الطلاق المقترن بعدد لفظاً أو إشارة أو كتابة لا يقع إلا واحداً ) .

وجاء في المادة الثانية والسبعين من قانون حقوق العائلة الأردني ما يأتي :

( الطلاق المقترن بعدد لفظاً أو إشارة لا يقع إلا واحدة ) .

وجاء في الفقرة رقم ( ١ ) من المادة السابعة والثلاثين من القانون العراقي للأحوال الشخصية رقم ١٨٨ لسنة ١٩٥٩ مثل هذا النص أيضاً .

وكذلك الأمر في قانون الأحوال الشخصية السوري .

\*\*\*

وبذلك نرى أن القانون المصري حمى الخلاف في هذا الأمر ، منذ أكثر من ثلاثين عاماً ، وأن أكثر البلاد العربية قد أخذت بما أخذ القانون المصري في ذلك ، بل ذكر الأستاذ هلاه الدين خروقة قاضي مدينة البصرة في كتابه ( شرح قانون الأحوال الشخصية العراقي ) : أن كافة القوانين العربية قد أخذت بما أخذ به القانون المصري ، ولم يخالف منها أحد ( انظر ص ٤٥٥ من الجزء الأول من الكتاب المشار إليه ) .

\*\*\*

# حول أزمة الإيمان

للأستاذ محمد الغزالي

أما المؤمن ، فالصدق عنده طاعة لله الذي قال : « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ، وكونوا مع الصادقين ، »

فهو يصدق أولاً بإيمانا بالله ، ثم هو يرتفع بإيمانه هذا إلى فضيلة الصدق ...

إن الأعمال الصالحة كلها ، نفسية كانت

أو اجتماعية عند ما تكون جزءاً من تعاليم

الدين ، أو جزءاً من سلوك المؤمنين ، تأخذ

طريقها في الحياة مقترنة بهذا اليقين السماوي ،

أو مصطبغة بهذه الصبغة الإلهية ، فيكون

الإيمان بالله هو الباعث على العمل ، وتكون

تقواه جل شأنه إحساساً دائماً مصاحباً .

ونحن بهذا الكلام نلفت الأنظار إلى خطورة

ما شاع من مسالك بشرية مجردة تجعل الناس

يتواضعون على أعراف وتقاليد قد تكون

حسنة أو لا تكون ، ثم يرون في الوفاء لهذه

الأعراف والتقاليد الخير والفضيلة .

مع أن صلتها بالإيمان مقطوعة ، بل

ربما لم يفكر صاحبها في الله لحظة ...

وهذا الفريق من الناس قسم الدين قسمين : فإما

كان من عقائد وعبادات طرحة جانباً وأزورعه .

وما كان من معاملات ونظم احتنى به

وروجه وأكثر من الحديث عن قيمته ١١

معرفة الله والخضوع له ، والإعداد للقائه والرهب من عقابه ، هي لباب الدين وروح شرائعه .

نعم ؛ في تعاليم الدين نظم خلقية واجتماعية كثيرة ، تتناول الحياة الخاصة والعامة من القاع إلى القمة .

لكن هذه التعاليم كلها بناء دعائمه العقيدة .

أو هي أعمال غايتها وجه الله ؛ فإذا انهارت

الدعامة ، أو اختفت الغاية فقدت هذه النظم

الخلقية والاجتماعية طابعها المميز ، وقيمتها النفسية

وصارت شيئاً آخر له قيمة أخرى . كما تفقد

الأوراق المالية قيمتها إذا فقدت رصيدها الذهبي .

الدين قبل كل شيء : « شعور بوجود الله .

واعتراف بحقه في حكم عبادته ، ووضع المبادئ

التي ينطلقون منها ، والحدود التي ينتهون إليها .

ومقتضى هذا الشعور الباطن ، والاعتراف

الظاهر ، أن نفعل ما يوصينا الله به ، لا على

أنه خير فقط ، بل على أنه ، انقياد لله - وقيام

بحقه ... إلى جانب ما فيه من خير ذاتي ، ...

إن الوجودي قد يرى الصدق فضيلة

في المعاملات التجارية وغيرها ...

ولكنه لا يعبد الله حين يصدق مع غيره ؛

فهو لا يعرف الله ، ولا يؤمل فيها عنده ١١

المعروف في دراستنا النظرية أن الدين عقائد وعبادات وأخلاق ومعاملات ، وأن الصلة بالله هي القائد الأول لبقية الشرائع ، وأن صحة هذه الصلة ضمان للنجاة وإن قلت حظوظ المرء من بقية التكاليف الشرعية ... ونريد أن نتوقف قليلا لتناقش هذا التفكير ، فلا نجور على أصل الإيمان ، ولا نجور على مجموعة الأعمال المرتبطة به ، والناشئة عنه .

من حق علمائنا الأقدمين أن يهدروا كل خير يصنعه الكافر ، وأن ينوهوا بثقل كلمة التوحيد في ميزان الصالحات .

إن وجهة نظرم واضحة فإن الذي يرتكب في عصرنا جريمة الخيانة العظمى ، تعصف بجريمته بكل خيرة له من قبل .

ويوم يقال : فلان خان وطنه وباعه للأعداء فلن ترى إلا الازدراء والمقت والإجماع على استحقاق أقصى العقاب .

ولو قيل : إن هذا الشقي كان برأ بأمه ، أو كريما مع خدمه ، أو لطيفا مع أصدقائه ؛ فإن هذه الخصال جميعا تطوى في صمته ، وتزوم دونها الشقاء ولا تغني عن حكم الموت المادي والأدبي الذي يستحقه هذا الخائن . والواقع أن سلفنا نظروا إلى الكافر باهة نظرة العصر الحاضر إلى الخائن لآمته ، ورفضوا الاعتراف بأي خير يفعله ، أو الإقرار بأي ميزة له .

والكافر - في نظرنا - أهل لهذا الهوان .

وقد علمت أن أي عمل أسراه به ، فإنما الجدوى من فعله ابتداء طاعة الله والقيام بحقه . أما إنني أنه دون نظر إلى وجه الله فلا قيمة له ، وإن صلحت به إلى حين بعض شئون الدنيا . إن الإيمان بالله ليس نافذة قط في المجتمع المؤمن . إن تسبيحه وتحميده جل جلاله ، يجب أن يكونا شغلا للناس ، وشارة لحياتهم بالقدور والآصال .

وقد يضحك البعض من الحديث عن الآخرة ، والجنة والنار ، ويظن ذلك كلاماً فات أوانه ، أو كلاماً يتهامس به بعض الوعاظ في مواكب الموت .

والحق أن الذين يذوب ويتلاشى يوم يكون الحديث عن الآخرة مجونا أو لغواً إن قوافل الأحياء يجب أن تهي بلباقة وجسد ، أن عقيدة الجزاء الأخير ليست هزلا ، وأن البعد بنشاط الحياة عن الإيمان بالله واليوم الآخر ، بعد عن الصراط المستقيم . وجرى وراء سراب خداع ... ونحن المسلمين ، يجب أن نشوب نشاطنا كله بمعالم هذا الإيمان الحق ، ألا تجرفنا تيارات الحضارة المادية التي تسود الشرق والغرب ، تلك الحضارة التي ذهلت عن الله ، وتجاهلت وحيه ، وآثرت أن تحيا وثق هواها ، وأن تأخذ من دينه ما لا يصادم هذه الأهواء ... ثم تطرح جانبا أم شعب الإيمان .

قائمة على الخشوع والإخبات ، وهو صلة  
بالنفس قائمة على التأديب وال ضبط ، وهو  
صلة بالاجتماع قائمة على العدل والرحمة - وهو  
صلة بالسكون قائمة على السيادة والارتفاق .  
ذلكم هو الإيمان الجدير بالإعظام وحسن  
المعاش وهو إيمان غلاب منتصر لا يثبث  
الإلحاد أمامه في معركة ولا يقاس به في مفاضلة .  
إنما يرى بالإيمان أن يكون علاقة  
مفتعلة برب العالمين لا تبث على كمال  
ولا تصون من نقص تدارى هو أنها بصور  
العبادات المفروضة ، ولا تحقق في صاحبها  
ولا فيها حوله خلقا عظيما ، أو سلوكا ناضرا .  
ومثل هذا الإيمان الصوري - وما أشيعه  
بين الناس - لا يرفع رأسا ولا يكسب نصرا .  
وهل انتفخ الإلحاد ، وتحركت وساوسه  
إلا في ميدان لقي فيه هذا الإيمان الزائف ؟  
وهل رفع رأيه وفرض شارته إلا بين  
مؤمنين من هذا الطراز المين ؟ ..  
إننا نرفض رفضا باتا أن تعيش الخليقة  
بغير دين يصلح بالها ، ويزكي أحوالها ؛  
ونرفض كذلك أن تعيش الخليقة بدين تأوى  
إليه الخرافة وتمزم فيه الخصائص الإنسانية  
العليا ، وتأخر في ظله الحياة الدنيا ، وتذبل  
ملكات الابتكار والإبداع والتجمل .  
إن المعنيين بالتربية الدينية قد يسيثون  
إلى الإيمان حين يتصورونه منديلا يمسح فيه  
الخطأون عيوبهم ، فهم يعثرون والإيمان  
يفقر ، ويكسرون والإيمان يجهز .

والجاهد لوجود الله ، الخائن لنصته ،  
المذكر لقائه ؛ يرتكب بهذه الخلال أشنع  
جرائم الخيانة العظمى ، وليس له ما يدفع عنه ،  
مهما صنع : د ومن بين الله فانه من مكرم .  
إلا أن هذه الحقيقة تولد عنها خطأ شائع ،  
الحق بالإيمان وأهله ضررا بايعا .  
فقد فهم العامة أن حسن الصلة بالله -  
وهو فضيلة بيقين - قد يجبر النقص في بقية  
الواجبات المفروضة .  
ثم تدرج هذا فهم إلى أن هذه الواجبات  
يمكن أن تتلاشى ويغنى الإيمان المجرد عنها .  
وانضم إلى هذا الوضع أن الذين انحرفوا  
عن الإيمان الحق ، ونسوا الله ، اتقنوا  
طائفة من الأعمال الإنسانية ، والفنون  
الحديثة وسبقوا بها سبقا بعيدا .  
وعندما قام في العالم هذا التناقض ، اهتزت  
قضايا الدين ، وتحذلت صفوف المؤمنين  
ونجمت في أرجاء الدنيا فتن عاصفة .  
والأمر بحاجة إلى أولى الألباب يتداركونه  
بصدق الفهم ؛ ولطف العلاج .  
وعلى معشر المؤمنين أن يصلح شأننا  
قبل أن نطالب غيرنا بتغيير نفسه وفكره  
إن الإيمان أعظم الفضائل في هذا الوجود ،  
وهو عنصر غال ، ما دخل في شيء إلا زانه ،  
ولا نزع من شيء إلا شانه ...  
بيد أن الإيمان الذي يستحق هذه  
المنعوت له نواحي عديدة ، فهو صلة بالله

فإنه لا ظلم عليك اليوم ، فيخرج بطاقة فيها أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله . فيقول : يا رب ، ما هذه البطاقة مع هذه السجلات ؟ فقال : فإنك لا تعلم . فتوضع السجلات في كفة ، والبطاقة في كفة فطاشت السجلات ، وثقلت البطاقة ، ولا يشغل مع اسم الله شيء ) ...

هذا حديث مثير الدلالة ، وهو لو أخذ على ظاهره يضع عن الناس شئ التكاليف الإلهية ويبطل قوله تعالى : إن الله لا يصلح عمل المفسدين . ويحق الله الحق بكلماته ، ولو كره المجرمون ، .

وعندي أن هذا الحديث - إن استقام سنده - إنما يصح في شخص مشرك ، قضى حياته في الفساد ، ثم آمن قبل أن يحين أجله بقليل ، فلم يستطع بعد إسلامه أن يبقى مدة يصلح فيها ما مضى ، والحديث بهذا ينوء بما لحاقمة الإيمان من قيمة ، وما لتوحيد الله من منزلة . أما إطلاق هذا الحديث وأشباهه بين العوام أو بين الناشئة دون وعي فهو هدم للدين كله ، وهو الأساس لتكوين طوائف من المتدينين ، تحط من قدر الإيمان وأثره . .

إن العالم اليوم فقير إلى الإيمان الذي يصله بربه صلة وفاء وبر ، ويربطه بالحياة رباط إلتاج وجد ، والا فالمستقبل حافل بالندر .

محمد الفزالي

وكثير من أتباع الأديان السماوية ظنوا التمسك بأصل الدين كافياً في النجاة مما صنعوا . وقالوا : د لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى ، تلك أمانهم ... .

وقد فند القرآن الكريم هذه المزاعم ، ورسم طريق النجاة الحقيقي ، وهو مزيج من الإيمان الحق ، والإحسان في العمل والإخلاص لله . د قل : هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين . بلى ؛ من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ، ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون . .

وبعض الوعاظ القصار النظر قد يقعون على آثار دينية محدودة المعنى والجمال ، فيسيئون فهمها وتطبيقها ، ويتجاهلون بها جملة الكتاب والسنة ، بل طبيعة الإيمان نفسه . تلك الطبيعة التي تخلق من الموات حياة ومن الفوضى نظاما .

خذ مثلاً ، حديث البطاقة الذي رواه الترمذي عن عبد الله بن عمرو من أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ( إن الله تعالى سينخلص رجلاً من أمتي على رؤس الخلائق يوم القيامة ، فينشر له تسعة وتسعون سجلاً ، كل سجل مثل مد البصر . ثم يقول : أتتكر من هذا شيئاً ؟ أظلمك كتب الحافظون ؟ فيقول : لا يا رب ) .

فيقول تعالى : بلى ؛ إن لك عندنا حسنة ،

منه روافد الثقافة الإسلامية :

## رسالة الأصول للإمام الشافعي

للأستاذ الفاضل بن عاشور

— ٤ —

كانوا قبل الإمام الشافعي يتكلمون في مسالك أصول الفقه ، ويستدلون ويعترضون ولكن ما كان لهم قانون كلي مرجوع إليه في معرفة دلائل الشريعة ، وفي كيفية معارضتها وترجيحاتها فاستنبط الشافعي علم أصول الفقه ووضع للخلق قانونا كليا ، يرجع إليه في معرفة مراتب أدلة الشرع ، فثبت أن نسبة الشافعي ، إلى علم الشرع ، كنسبة أرسطاطاليس ، إلى علم العقل .

هذا الوصف الدقيق الضابط كشف الإمام غفر الدين الرازي في كتابه مناقب الشافعي عن ماهية العمل الذي قام به الإمام محمد بن إدريس في وضع علم أصول الفقه . فلم يكن الشافعي في رسالته محمدا الفقهاء قواعد الاجتهاد ولا موجههم إلى مسالك الاستدلال ولكنه وجدهم يتفقون ، ويجتهدون ويستدلون ، فتبعهم ، واستقرأ مناحي نظارهم ومسالك اجتهادهم ، ونظر بين بعض تلك المناحي والمسالك وبعض ، حتى خلاصه له من الاستقراء والتنظير ، تسانج علمية موضوعية صورت له ، في وضوح معنى عمل المجتهد ، في استنباط الحكم من دليله ، فتوصل بذلك التصور الواضح الذي حصل له

من الاستقراء والتنظير أن يقين صوره الأدلة وأصنافها ومراتبها ، وأن يتعرف إلى اختلاف طرق سلوك الفقهاء للاستدلال بسبب اختلاف مراتب الأدلة وأصنافها ، ثم بحسب اختلاف مذاهب المجتهدين ، وهذا الوصف الموضوعي هو الذي كان نتيجة المراس القوي للشافعي ، بالمذاهب المختلفة والبيئات الفقهية العديدة ، وهو العمل الذي ما كان ليصدر عن غير الشافعي في عميق دراسته للمذاهب ، وشديد اتصاله بأئمتها السابقين والتالين ، وبذلك كانت رسالته في أصول الفقه وضعا لعلم أصول الفقه ، لأنه وجد عملا في الاستدلال والاستنباط ، يأخذ به الفقهاء ومنهجا يسرون عليه بدون أن يبحثوا عن ماهيته ، ولأن يضبطوا اختلاف عوارضه ، وتعدد صوره وأصنافه فجاء هو يبحث عن ماهية العمل وبضبط اختلاف صوره ، وتعدد أصنافه وتفاوت مراتبه فكان بذلك واضع علم جديد ، لا مكنونا للواقع الذي يتلاق ذلك العلم بوصف جواهره وأعراضه ، فكما أن واضع النحو لم يعلم أهل اللغة كيف يركبون كلامهم ، ولكنه وصف ذلك الكيف ، وعدد أعراضه

من روافد الثقافة الإسلامية

٢٧١

فلقد كانوا يعرفون الأفراد من الفقهاء خصوصياتهم في المناهج الاجتهادية ، ويعرفونهم بها ، حتى لقب ربيعة ابن أبي عبد الرحمن فقيه المدينة وبيعة الرأي ، وكانوا يعلمون حتى العلم أن ما يقوم دليلا عند واحد من المجتهدين على إثبات حكم شرعي ، لا يقوم دليلا عند غيره ، حتى تناظروا في حجية أنواع من الأدلة ، كما تناظر مالك والليث بن سعد في حجية حمل أهل المدينة على ما يرى مالك ، وهدم حججته على ما يرى الليث بن سعد ، في الرسالتين اللتين دارتا بينهما وأثبت نصهما العلامة ابن القيم في كتاب أعلام الموقعين .

وأمام هذا العمل العميق الغور ، البعيد المدى ، الذي يضطلع به الفقهاء ، كانت طائفة من أهل الأثر الذين عرفوا بالعلم ولم يعرفوا بالفقه تقف حائرة مبهوتة من سبب اختلاف هؤلاء الفقهاء ودرجة تصرفهم في ما يستخرجون وما لا يستخرجون من الأدلة وما يقبلون وما يردون من الأخبار ، وكان الشافعي قد نشأ بين هؤلاء العلماء ، ثم فارقه فاقصم برجال الفقه ومارس أساليبهم وتخرج باجتهاداتهم وتميز بالفقه بعد أن تميز قبل بالأثر . فكان من الضروري أن هذه الطائفة من أهل العلم والحفاظ التي كانت مستشرقة إلى ما يفعل هؤلاء الفقهاء ، حريصة على فهم

وضبط صورته ، وأن واضع علم الاجتماع لم يكون في البشر روح المدنية الذي به يترابطون ، ولكنه كشف بالتعبير عن حقيقته ، ما كان الناس يمشون به ولا يجدون للتعبير عن وصفه طريقا ، وكذلك واضح كل علم ، ليس إلا واصفا لواقع ، ومسجلا لظواهر ومعمما بالحكم السكلى ، صور الجزئيات الداخلة تحت الاستقراء حتى قيل في شأن واضح علم العروض قد كان شعر الورى صحيحا من قبل أن يخلق الخليل ، وكذلك كان الفقهاء قبل الشافعي في أمصار الإسلام ، يسير كل منهم على طريقة في الاجتهاد تتفق مع الطريقة التي يسير عليها غيره في أشياء ، وتختلف في أشياء أخرى ، وكانت الأحكام الفقهية الناشئة من تلك الطرائق تتفق وتختلف وتتقارب وتتباعده ، والفقهاء يدركون ما بين الأحكام التي تقررت باجتهاد هذا ، والتي تقررت باجتهاد ذاك ، ويشعرون بأن مرجع ذلك الاختلاف إلى اختلاف في الطرائق ، فكان أهل الأثر يشعرون بما بينهم وبين أهل الرأي من اختلاف منهجي ، وأهل الحجاز يشعرون بما بينهم وبين أهل العراق من اختلاف ليس حاصل في الأحكام الفقهية لحسب ، ولكنه راجع إلى اختلافهم في ما تنفرع عنه تلك الأحكام في أصول إجمالية

فيها ، . ويقول : « وكل ما أنزل الله في كتابه جل ثناؤه ، رحمة ورحمة ، عليه من علمه وجهه من جهله ، لا يعلم من جهله ولا يعلم من علمه ، والناس في العلم طبقات موقعهم من العلم بقدر درجاتهم في العلم به ، .

ومن هنالك ابتداء يقسم أصناف معاني البيان للأحكام في القرآن العظيم بما يرجع إلى ما هو مسمى الآن عند علماء الأصول بأقسام الدلالة ، ثم أفاض في الكلام على نسبة الأدلة بعضها من بعض بين القرآن والسنة بما يرجع إلى الجمل والمبين ، والناسخ والمنسوخ ، سالكا في ذلك مسلك العرض التمهيلي والوصف الموضوعي ، متسكبا طريق النقاش والجدال .

أقبل الشافعي ، في رسالته إلى عبد الرحمن بن مهدي يبين أن مرجع استفادة الأحكام الشرعية إلى القرآن ، من طريقتين : هما طريق النص ، وطريق الاستنباط ، قائلا : « إن من أدرك علم أحكام الله في كتابه ، نصاً واستدلالاً ، ووفقه الله للقول والعمل بما علم منه ، فاز بالفضلية في دينه ودنياه ، وانتفت عنه الريب ، ونورت في قلبه الحكمة ، واستوجب في الدين موضع الإمامة . »

ثم أخذ يشرح اختلاف طرق الاستفادة من القرآن : نصاً واستدلالاً فسمى إفادة القرآن ذلك « البيان » وابتدأ بعنوان : « باب

ما يتصرفون به في الأحكام وأداتها ، نهد في ويدها الذي انتقل من حجر العلم إلى حجر الفقه ، مرجعاً تستكشف دخيلة هذا العمل الذي يستغرق فيه الفقهاء وبسمونه « اجتهاداً » .

وعلى ذلك نجد أن هلياً من أعلام رجال الحديث ، وحافظاً من مشاهير الحفاظ ، هو عبد الرحمن بن مهدي ، اتجه إلى الشافعي بعد أن اتصل الشافعي بالمذاهب الحجازي والعراقي وخبرهما ، فكتب إليه من بغداد ، وكان الشافعي في مكة ، على ما يظهر في هودته إليها قبل سفره عنها إلى مصر ، يرجوه أن يضع له كتاباً في معاني القرآن وقبول الأخبار ووجه الإجماع والناسخ والمنسوخ ، فأجابه الشافعي بكتاب يتضمن ما يريد ، وجهه إليه

من مكة إلى العراق ، ولذلك سمي هذا الكتاب « رسالة » لأنه صنف جواباً ، هن سؤال ورد بالمراسلة ، وصدر هن مكان إلى مكان موجها ومرسلاً به .

ومن هنا يدرك الناظر في رسالة الشافعي وجه ما ابتدأها به من التنويه بشأن رجوع الأحكام الشرعية كلها إلى كتاب الله ، وأن الانتباه إلى ما هو راجع إليه مما يظن أنه غير راجع إليه على حسب تفاوت طبقات الناس في العلم به ، والغوص على معانيه ، إذ يقول : « فليست تنزل بأحد من أهل دين الله ، نازلة إلا وفي كتاب الله الدليل على سبل الهدى

بالسؤال عن الوجه والتطلب للدليل ، إيجاراً واقتضاباً ، يتبعه بيان طويل للكشف عن وجه السؤال . ثم لما وصلت نوبة الكلام إلى حلل الأحاديث ووجه الأخذ ببعضها وترك بعض ، واعتبار بعضها راجعاً وبعضها مرجوحاً ، هنالك أصبح يذكر الأسئلة على وجه الوقوع والثبوت ، لا على وجه التقدير والافتراض ، فيقول : قال لي قائل ، ولا يقول كما كان يفعل في أول الكتاب ، فإن قال قائل ، . ثم يفيض في بيان ذلك القول مطلباً في أدلته ووجوه توفيقه ، ثم يجيب عنه مبتدئاً بقوله : قال الشافعي ، ويطرد في البيان والتفصيل والتعليل وضرب الأمثال ثم لا يقطع سياق المحاوره فيستمر مودداً أسئلة المعترض واستكشافاته من قوله : وما هو ، وقوله : فثل لي كل صنف مما وصفت مثالا تجمع لي فيه الإتيان على ما سألت عنه ، وقوله : فهل عن النبي رواية بما قطعتم ، وهكذا يستمر في هذه الطريقة من الحوار الجدلي المسترسل ، يورده أولاً بين طرفين ، ثم كأنه يصف دخول ثالث في الحوار ، إذ ينصرف عن قوله : قلت فقال ، أثناء الموضوع بعينه ، فيقول فقال لي قائل ويستمر يجيب القائل الثاني : ثم يعيد أسئلة القائل الأولى مبتدئاً استئنافاً بقوله قال الشافعي : قال ، يعني السائل

كيف البيان ، فقال : إن البيان اسم جامع لمعان مجتمعة الأصول ، متشعبة الفروع ، وبين أن وجوه البيان عديدة ، وعقد لكل وجه منها باباً : مما جاء بيناً بنصر القرآن فلم يحتاج إلى بيان ، وما احتاج فيه بيان القرآن إلى ما يكمله من السنة ، أو ما يبينه ، أو ما انفردت ببيانه السنة ، وما فتح فيه القرآن باب الاجتهاد والقياس بما يتوقف عليه ذلك من معرفة ، وعلى الأخص بفنون اللغة العربية ، فقد بعد ذلك أبواباً متتابعة لاختلاف الدلالة بالعموم والخصوص ، رضعاً واستعمالاً وأصالة ولحوقاً ، منتبهاً إلى أن السنة تخصص ما جاء في القرآن عام الدلالة ، ومختصاً من هنالك إلى ما للسنة من أثر في تبيان الأحكام ، مفيضاً في هذا المعنى بياناً واستدلالاً وبسطاً لمسألة علاقة السنة بالقرآن ، من حيث النسخ والمنسوخ والجمل والمبني ، والمخصص ، يضرب الأمثال لتلك من صديد أبواب الفقه . وبعد أن بلغ الشافعي هذا المبلغ من البيان ، على طريقة من البسط ، والبيان المطرد ، بدون استحضر نقاش ، ولا افتراض جدال ، ولا إجراء الكلام مجرى الجواب والسؤال ، ابتداء بعد ذلك يتعرض للسؤال والاعتراض والاستكشاف على طريقة الافتراض والتقدير : بقوله : فإن قال قائل وابتدأ هذا الأسلوب أولاً

الأول . حتى ينتهي إلى منقطع الحديث ليستأنف  
جسداً آخر حول استدلال آخر . وهكذا  
يستعرض على هذا النحو مباحث النسخ ،  
والتخصيص والأمر ، والنهي ، وأخبار  
الآحاد ، على منهج يتجه إلى بيان أن للسنة  
أثراً في وضع الحكم الشرعي بالاستدلال ، على  
نسبة من القرآن ، يختلف باختلاف الصور  
والأماكن . ثم لما أفضت نوبة الكلام إلى  
الأصول الأخرى ، غير الكتاب والسنة :  
وهي الإجماع والقياس جعل الحجاج دائراً  
على أن دلالة الكتاب والسنة هي المثبتة على  
الإجمال لحجية الأصلين ( الإجماع والقياس )  
مع كونهما أصليين منفصلين عن المسموع  
من الكتاب والسنة ، لكن في الكتاب  
والسنة ما يشهد للإجماع والقياس : بأن كلا  
منهما عامل في استنباط الأحكام الشرعية .  
ولما أثار البحث في القياس بحثاً فإنه يخطئ .  
ويصيب ، وقد يكون حقاً في الظاهر والباطن  
وقد يكون حقاً في الظاهر فقط ، فيكون حقه  
مقصوراً على قائله دون غيره وبغشاً من ذلك  
الاختلاف بين القائلين ، مع سقوط المخرج  
والأثم عن كل منهم ، أثار البحث على ذلك  
الوجه في حجية القياس ، مسألة الاجتهاد .  
فإذا المحاور يسأل عن أصل تجويز الاجتهاد  
والشافعي يجيب بالإثبات متمسكاً بما جاء في  
القرآن العظيم . بما يقتضي إعمال الدلائل

لأداء أصناف من العبادات ، مع أن تلك  
الدلائل قد تصيب وقد تخطئ . ، وقد يعرف  
بها إنسان غير ما يعرفه غيره ، فيبني كل منهما  
على ما عرف وإن اختلف ما أتى به كل منهما  
عما أتى به الآخر . ويلج المحاور في طلب  
الدلائل على جواز الاجتهاد من الحديث ،  
فيروى الشافعي له حديث : « إذا حكم الحاكم  
فاجتهد فأصاب فله أجران وإذا حكم فاجتهد  
ثم أخطأ فله أجر » ، فيجري الحوار حول  
الصواب والخطأ وتنهض حجة الشافعي على  
ما أراد بأن الاجر على الخطأ يقتضي على الأقل  
أنه يسع الإنسان أن يخطئ . في الاجتهاد غير  
آثم ، ويلخص حجته في الاجتهاد ، بقوله :  
« إن الله جل ثناؤه من على العباد بعقول  
فدلم بها على الفرق بين المختلف ومهدم  
السبيل إلى الحق : نصاً ودلالة » ولما سأله  
صاحبه مثلاً على ذلك ، ضرب له المثل  
باستقبال القبلة وما خلق الله للناس من  
أدلة كونية يهتدون بها إلى جهة البيت  
الحرام قائلاً : « وكان عليهم تكلف الدلالات  
بما خلق لهم من العقول : التي ركبها فيهم  
ليقصدا قصد التوجه للعين التي فرض عليهم  
استقبالها . فإذا طلبوها مجتهدين بعقولهم  
وعليهم بالدلائل ، بعد استعانة الله والرغبة  
إليه في توفيقه ، فقد ادوا ما عليهم » .

الفاضل بن عاصم

تونس

( للبحث بقية )

# فتح القلبي

## العهد : مسئولية دينية والوفاء به : غاية حمية للأستاذ عبد اللطيف السبكي

- (أ) د ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن  
ولنسكون من الصالحين .  
(ب) فلما آتاهم من فضله بخلوا به ، وتولوا ، وهم معرضون .  
(ج) فأعقبهم نفاقا في قلوبهم إلى يوم يلقونه ، بما أخلفوا الله ما وعدوه  
وبما كانوا يكذبون .

(أ) وردت هذه الآيات في وجع من المسلمين ، كان في طلبه الصلابة ظاهراً وكان يلزم الرسول في حضور الجماعات بالمسجد ، ثم قتته الدنيا فخرج من الإسلام كما خرج إبليس من الجنة ... وتبين للناس من قصة حاطب بن ثعلبة هذا أن الوفاء بالعهد شعبة من شعب الإيمان الحق ، فالأخذ بعهد واصل إلى جنات ربه ، والناك بعهد قائما ينكح على نفسه .

كان حاطب هذا يخرج من صلاة الجماعة خلف الرسول مهرولاً إلى بيته ، كالكاره للبقاء في موضع الصلاة ، أو في معية الرسول عليه السلام .

قال له صلى الله عليه وسلم : يا حاطب !! إني أراك تعمل عمل أهل النفاق !! فقال : يا رسول الله : إن لي ثوباً واحداً يصلح للصلاة ، وأنا أسرع إلى زوجتي لتلبسه ، وتذكر به الصلاة في أول وقتها .. فادع الله لي أن يرزقني مالا ...

فاستشف النبي ببصيرة النبوة أن الصرخير لهذا الرجل من البسر ، وقال له : يا حاطب قليل بكفيك خير من كثير يطغيك .

فأعاد الرجل سؤاله مرة ، ومرة : وفي كل منهما يسمع نفس الجواب ، ثم قال معاهداً ربه أمام رسول الله وأصحابه : لئن آتاني الله مالا لأعطين كل ذي حق حقه .

وكان في هذا العهد جاهلاً بحقيقة نفسه ، وظاناً أنه يطلب الدنيا ، فلا تنال من دينه ، ولا تفتنه عن هده .

في وجه الوافد عليه من جانب الرسول ،  
صلوات الله عليه وسلامه .

تزهزع يقينه بإغراء المسال له واستعبده  
دنياه ، فتقطعت عن صحبة الرسول ، وأصحابه  
إلى هشة الأغنام ، والإبل ، والأبقار .

ثم نفث من حقه على الدين ما كان خافيا  
عليه من أمر نفسه ، حينما تعلق بالمال ، وألح  
بؤاله للرسول أن يدهوله باليسر بدل العسر .

وكان طغيان دنياه أنساء أن الله الذي  
أعطاه قادر على أن يسلبه هذا العطاء ،  
أو يسلبه ما هو فيه من هذا العطاء ، وإن  
تضاف حظه .

وقد كان في هذا شقاؤه ، وكانت نعمته تقمة  
عليه . . . إذ نزل فيه قول الله سبحانه : « ومنهم  
من طاعدا الله ، الآيات السابقة .

وحين نزلها أخبر بها الرسول أصحابه ،  
وقال لهم : أتدرون فيمن نزلت هذه الآيات ؟  
نزلت في حاطب بن ثعلبة التميمي .

ففزع الصحابة لذلك الحدث ، ولما أصاب  
حاطبا من مروق من الدين ، وبغيه على نفسه  
وفزع إليه أخوه ، وأخبره بما نزل في شأنه  
من نذير القرآن .

وهناك تقشعت ضلالتة ، وعظم ندامته  
وبادر إلى الرسول يعتذر ، ويستعقب ،  
ويستأذن في تقديم زكاته التي ضمن بها على العامل  
وتنكر له طاعنا في تشريع الله .

ومن شأن النبي صلى الله عليه وسلم —  
أن يحكم بالظاهر ، ولا يتعلق بالغيب في شأن  
كهذا لا يعتبر حكما تشريعا ينتظر فيه  
الوحي ، أو يجتهد فيه .

فدعا ربه لحاطب أن يرزقه مالا ...  
ومن هنا جرى على حاطب قدر من الله  
لم يكن يتخيله ، ذلك أن ماله كثر وكثر .

حتى ضاقت المدينة ، وضاق ربضها  
بالأغنام ، والأبقار ، والإبل لحاطب صاحب  
الثوب الواحد .

وكان كلما كثر ماله يتخلف عن الرسول  
وعن الصلاة معه شيئا فشيئا ، حتى انقطع  
لماله دواما .

ولما افتقده النبي ، وسأل عنه أخبروه  
بشأنه ، واقتطاعه لما شئته بعيدا في جنبايات  
الوادي ، فأرسل إليه الرسول عامل الصدقات  
يحيى . منه بركة أمواله التي كانت مصداق  
عهده ، وكانت دعوة الرسول إلى ربه .

فاستبدت به الدنيا ، وغلبته على عهده ،  
ونسى ما كان يدهو إليه من قبل ، وراوغ  
مع عامل الصدقات مرة وأخرى . . ثم قال له  
أخيرا : ما هذه إلا جباية . . يريد أن الزكاة  
تحصيل للمال بالإكراه ودون استحقاق  
مقروع .

فانظر إلى الرجل : ما بين عشية وضحاها ،  
يتنرد على دينه ، ويكفر بنعمة ربه ، ويتبجح

نفحات القرآن

٢٧٧

(ح) ولكن النبي أبي أن يقبل منه شيئا ، بعد أن حكم الله في قضية هذا المارق . والله يحكم لا معقب لحكمه .

ولماذا لم يقبل الله توبة هذا الخاطيء ؟ ولم يقبل الرسول منه معذرتة وزكاته ؟ مع أن الله غافر الذنب ، وقابل التوب .

يبدو أن طوية هذا الرجل من أول أمره كانت غير مظهره ، وشاء الله أن يكشف له حقيقة نفسه ويكشف للرسول وللمؤمنين ماخفي عليهم في واحد من أقرب الناس إليهم .

وليضرب الله المثل به في فضيحة المتصنين للإسلام ، وأن في الناس من يبعد الله على حرف ، حتى إذا أصابته فتنة انقلب على وجهه وخسر ديناه وآخرته .

ولعل من حكمة الله في رفض المعذرة ، والإعراض عن توبته لدى الرسول أنها

لم تكن توبة من قلبه ، وإنما هي كذلك مخادعة أمام القوم ، حتى تخفف عنه اللائمة والمذمة نوما ، ولا يكون معرفة لذويه ، كما

يكون الحال في شأن من لم يحاول تدارك خطيئته ، ولو ربا .

وفي هذا عبرة للمؤمنين الصادقين ليتحاشوا

خروجهم من الدنيا ، ويكونوا على شكر الله أحرص

من التعلق بالمال ، والرضى به في سبيل الله ،

الذي يهب لمن يشاء ، ويمنحه من يشاء .

حاول الرجل في عهد أبي بكر أن يقدم

زكاة أمواله ، فلم يقبلها منه ، وقال له : ما كان لي أن أقبل شيئا لم يقبله رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ثم حاول كذلك في عهد عمر ، فقال له مثل ما قال أبو بكر ... و انتهت حياة حاطب ابن ثعلبة ، وخلف ديناه لغيره ، وخرج منها على نفاق أرداه في جهنم خالدا فيها مع الخالدين المعذبين .

ولو أن الرجل كان وفيا بعهده لله لكان في مقام غير هذا .

ولكن الله أحبه نفاقا في قلبه إلى يوم يلقى ربه بسبب ما كان من خلفه لوعده الله ، ومن كذبه على رسول الله ، فيما طاعده عليه . فانظر إلى قيمة الوفاء بالعهد ، وإلى خطر الغدر فيه !!

\*\*\*

هذا - وقديما عرف التاريخ عن العرب أكثر مما عرف عن سوام في صيانة العهد من الخيس فيه ، حتى لو اقتضام الوفاء بالعهد تضحية بالأموال ، والآنفس .

غير أن العرب في جاهليتهم أسرفوا

في تشبثهم بالوفاء ، إذ توسعوا في مفهومه ،

حتى جعلوا منه حصية للقبيلة ، أو للحليف

في غير اعتدال ، واستباحوا إراقة الدماء ،

وفاء بالعهد كما - زعموا - ولو دون سبب القتال .

وكانوا يفاخرون بذلك في ندواتهم ، وفي قصيدهم ، وخطبهم .

ولما جاء الإسلام متكفلاً بصلاح دنيانا، ونهذيب أخلاقنا كان طبيعياً أن يختار من صانئ الوفاء ما يلائم وجهته ، ويندج في منهجه وأن يعتبر هذا الوفاء المعتدل بالعهد النافع أصلاً من أصول الأخلاق .

بل وكنا من أركان العقيدة ، ينهض عليه قوام الدين الحق .

فإن إيمان المرء بالله ، وبما أنزل على رسوله لا يمدوا أن يكون وفاء بما عهد الله إلى عباده من توحيده ، والأخذ بأحكامه ، وأخلاقه ، وسائر توجهاته في حياتنا الدنيا . وتركيزاً

لمبدأ الوفاء بالعهد بين شعب الإيمان . تحقيقاً لما عفى القرآن كثيراً بذكر العهد ، وبالدعوة إلى صيافته من الغدر به ، وبالثناء المستطاب على الموفين بهم إذا طاهدوا .

وانظر تجمد القرآن بسطة في بيان العهد التي يعينها ، ويقرها في تشريعه .

١ - فعهد أزل ، أخذه الله عباده ، حين كانت الإنسانية في عالم الأرواح ، أن يدينوا له وحده بالربوبية ، ويذكروهم به بعد وجودهم ليكونوا على علم بما سلف ، وعلى وفاء بما علموا وهم في عالم الأشباح . وإذا أخذ ربك من بني آدم : من ظهورهم ، ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم ؟ قالوا :

بلى ، شهدنا ، أن تقولوا يوم القيامة : إنا كنا عن هذا غافلين ، ١١

فيكون من مقتضى الفطرة الإنسانية المعتدلة أن نستجيب لما ذكرنا الله به ، وأن نقى به حُبا في الله ، وتقديراً لفضله ، وخشية منه ، والتماساً لرضوانه ، وموازرة لدعوة رسوله .

٢ - ولكن الإنسان ظلوم لنفسه ، جهول بمسئوليته ، إنا عرضنا الأمانة وتكاليف الدين ، على السموات والأرض والجبال ، فأبين أن يحملنها ، وأشفقن منها .

لم تنهياً تلك المخلوقات العظيمة لقبول التكاليف ، وقصرت طبيعتها مع ضخامتها عن الصلاحية لحمل أمانة الدين .

وكان هذا إباء وخوف من التقصير فيما عهد الله به إليها ، وحملها الإنسان ، بفطرته المتهمية ، ومواهبه المستعدة ، وبما عرفه من طريق الرسائل النبوية ، ثم تخلف عن تمام الوفاء بهذا العهد ، فكان ظلوماً لنفسه ، جهولاً بمسئوليته .

٣ - وهد ثالث - قطعه الله على نفسه للجهادين في سبيل الله - بأموالهم وأنفسهم : ما استطاعوا - أن يكون جزاءهم الجنة في سعة من محبة ربهم ، يستبشرون بنعمة من الله وفضل ، وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين . الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح - هناك الجهاد -

## نفحات القرآن

٢٧٩

أن الناكث للعهد لا يعتبر من أهل العهود ،  
يريد أهل الإيمان .

وقد تعهد الله في تشريعه لنا أن يأخذ  
كل ناقض للعهد بحريته ، كما صنع مع اليهود  
فيما حلف منهم كثيرا حتى يحمل عليهم لعنته ،  
وكرر تهديدهم بغضبه ، فيما نقضهم ميثاقهم  
لعنهم ، وجعلنا قلوبهم قاسية .

إلى كثير من آياته التي تثير الرعب لدى  
كل ذي قلب يمي ، فمن نكث فإنما ينكث  
على نفسه ، . . ولا يحيق المسكر السيء  
إلا بأهله .

ومع ما تبين من شأن العهد وخطره عند الله  
فإن بعض الأئمة يفرق بين العهد ، والوعد  
وينظر إلى ما في العهد من توثيق والتزام  
كعقود المعاملات مثلا وإلى ما في الوعد  
من هوادة لا تبلغ مبلغ التوثيق والاستيثاق ،  
وجعلوا إنجاز الوعد مستحبا لا واجبا ،  
وخلف الوعد مكروها لا محرما .

فإذا وعدت صديقك بالزيارة فالوفاء بمثل  
هذا مروءة تليق بالمسلم ، والخلف مبین  
لا يبلغ مبلغ الإثم ... وهذا كلام مقبول  
فيما يكون نادرا وغير متعمد .

أما إذا كان دأبا للرجل أن يخلف وعده  
فهذه هي نقيصة المنافق التي حذونا منها الرسول  
في قوله - وإذا وعد أخلف .

وليس من العهد المطلوب وقاؤه ، ولا من

ومتاهب الطاعة - للذين أحسنوا منهم ،  
واتقوا ، أجر عظيم ، . . إن الله اشترى  
من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ،  
يقاتلون في سبيل الله ، فيقتلون ويقتلون ،  
وعدا عليه حقا في التوراة والإنجيل والقرآن  
ومن أوفى بعده من الله ، فاستبشروا ببيعكم  
الذي بايعتم به - بعهديكم ، ووفائكم مع الله  
بما عهد إليكم - وذلك هو الفوز العظيم . .  
لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك  
تحت الشجرة - في بيعة الرضوان يوم  
الحديبية سنة ست من الهجرة - فلم  
ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم  
فتحا قريبا . .

قتلك عهود بين الله وعباده ، والله يتعهد  
لخلقها فيها بالوفاء ، جزاء على وفائهم .

وفي مجموعها يقول الله تعالى : . . وأوفوا  
بعهدي ، أوف بعهديكم ، وإياي ، فارضون . .

وقد اتسع مفهوم العهد المنشود في  
تشريع الله حتى جعل منه كل عهد صالح  
نلتزمه فيما بيننا ، وأوفوا بعهدي الله إذا عاهدتم  
ولا تنقضوا الإيمان بعد توكيدها ، . . وأوفوا  
بالعهد ، إن العهد كان مسئولا . .

وكذلك تقرر سنة النبي صلى الله عليه وسلم  
أن من علامات الإيمان في المؤمن إذا وعد  
أوفى وأن من علامات النفاق في المرء أنه إذا  
وعد أخلف . وأنه لا عهد لمن لا وفاء له : أي

# الإسلام... وما يُفتي عليه

للأستاذ عبد الكريم الخطيب

هناك ظاهرة تكاد تكون حقيقة واقعة ، وهي أن القضايا التي تتحرك بالدين ، وتتمسح بشريعته وأحكامه ، يدخل عليها كثير من الضعف والوهن ، على حين يقدر أولئك الذين يذهبون بها هذا المذهب ، فيلقون عليها ظلالاً من الدين ، ويضعون بين يديها دجواز مرور ، مختمون بخاتم الدين ،

موسوم بأحكامه وتعاليمه - هؤلاء بقدررون أن ذلك شفيح لا يرد عند الناس ، وأنها بهذا الشفيح ستغزو القلوب ، وتمسك الناس من مقاوهم ، لكن الأمر يحىء أبدأ بعيداً عن هذا التقدير ، بل وآخذاً ابجاءها مضاداً له في أخلب الأحوال ... وذلك أن للنفس البشرية نفرة بطبيعتها من كل أمر يلقاها

( بقية المنشور على الصفحة السابقة )

الوهد المقتضى للمصدق أن يكون في باطل ، له بالشدة ، وحرماناً من قبول الرجل في عداد المسلمين ، وتسجيلاً لبشاعة موقفه وتلاجه بما وعد الله ورسوله ليكون الوفاء بالعهد وبالخير دائماً نصب أعيننا وسياجاً لحياتنا ومظهراً لإنسانيا لجماعة المسلمين أكثر من سواهم ، فهم أولى بذلك الكمال ، كما قرر الرسول في قوله إنا قوم لا يصلح في ديننا الغدر .

أو لإضرار بالغير كالعهد بالعدوان على الغير أو التحالف على مساس بالوطن أو الاتفاق على ارتكاب جريمة خلقية أو المشاركة في أى نقيصة ينكرها الدين ، أو ياباها عرف الناس ، ومروءتهم .

والأردلون من الناس يحسبون التعاهد على شيء من هذه المنكرات يقتضيهم الوفاء به في هوف الأبطال والرجولة ، والصدقة .

وهذا خلط كخلط أهل الجاهلية فيما سلف وهي خصائص دينية ، ياباها الإسلام على أهله وغير أهله ... كما يحرص على الوفاء الجدى بين أهله ، ومع غير أهله وأنت ترى في قصة حاطب التي تعلقت بها آيات الموضوع اخذاً

الحائنين .  
هيب المظيف العسكوى

# الإسلام... وما يُفتي عليه

للأستاذ عبد الكريم الخطيب

هناك ظاهرة تكاد تكون حقيقة واقعة ، وهي أن القضايا التي تتحرك بالدين ، وتتمسح بشريعته وأحكامه ، يدخل عليها كثير من الضعف والوهن ، على حين يقدر أولئك الذين يذهبون بها هذا المذهب ، فيلقون عليها ظلالاً من الدين ، ويضعون بين يديها دجواز مرور ، مختمون بخاتم الدين ،

موسوم بأحكامه وتعاليمه - هؤلاء يقدرون أن ذلك شفيع لا يرد عند الناس ، وأنها بهذا الشفيع ستغزو القلوب ، وتمسك الناس من مقاوذهم ، لكن الأمر يحىء أبدأ بعيداً عن هذا التقدير ، بل وآخذاً ابجاءها مضاداً له في أخلب الأحوال ... وذلك أن للنفس البشرية نفرة بطبيعتها من كل أمر يلقاها

( بقية المنشور على الصفحة السابقة )

الوهد المقتضى للمصدق أن يكون في باطل ، له بالشدة ، وحرماناً من قبول الرجل في عداد المسلمين ، وتسجيلاً لبشاعة موقفه وتلاجه بما وعد الله ورسوله ليكون الوفاء بالعهد وبالخير دائماً نصب أعيننا وسياجاً لحياتنا ومظهراً لإنسانيا لجماعة المسلمين أكثر من سواهم ، فهم أولى بذلك الكمال ، كما قرر الرسول في قوله إنا قوم لا يصلح في ديننا الغدر .

أو لإضرار بالغير كالعهد بالعدوان على الغير أو التحالف على مساس بالوطن أو الاتفاق على ارتكاب جريمة خلقية أو المشاركة في أي نقيصة ينكرها الدين ، أو يأبأها عرف الناس ، ومروءتهم .

والأردلون من الناس يحسبون التعاهد على شيء من هذه المنكرات يقتضيهم الوفاء به في هوف الأبطال والرجولة ، والصدقة .

وهذا خلط كخلط أهل الجاهلية فيما سلف وهي خصائص دينية ، يأبأها الإسلام على أهله وغير أهله ... كما يحرص على الوفاء الجدى بين أهله ، ومع غير أهله وأنت ترى في قصة حاطب التي تعلقت بها آيات الموضوع اخذاً

الحائنين .  
هبة اللطيف العسكري

على غير الوجه الذي ، وترقبه منه ..  
فهي مثلا .. تنفر من الهزل في مواقف الجد ،  
وتتقزز من الجد يلقاها في مواطن الهزل ..  
وليس كالهزل بالدين - وأمره كاه جد - حين  
تجرى بين يديه تفاهات الحياة كلها ، وحين  
يتحرك على مسرحه صغير الأمور وسفاسفها .  
صنيع أولئك الذين يعرضون الدين في كل  
سوق ، ويبيعونه بكل عرض ، وبأى ثمن !  
وحسن أن يلتفت الناس إلى الدين ،  
وأن تعلق أبصارهم وقلوبهم به ، وأن يعرضوا  
أنفسهم وأهملهم عليه ، وأن يردوا موارد  
أمورهم ومصادرهما عليه .. فهذا من شأنه  
أن يقيم في النفوس وازها ، وأن يجعل للدين  
فيها سلطانا ، فتعصم به من أن تضل ،  
أو تضعف ، أو تسقط .. إذا نازعتها شهوة ،  
أو تسلطت عليها فتنة !  
ولكن ماذا يرد إلى الدين من أمور الناس ؟  
وماذا يستفق فيه الدين من شئونهم ؟

عقلك وقلبك .. حتى إذا طرقتك أمراض مع  
عقلك ، أو حار فيه رأيك ، طلبت الرأي  
والنصيحة عند من تتوسم فيه الرأي والنصيحة ؟  
فأى الحالين حالك ؟ وأى الواقعين واقعك ؟  
وانظر أى الرجلين أنت .. وتفقد وجودك ،  
وتعرف على ذاتيتك في كلا الحالين هذين !  
وليست بك حاجة إلى من يدلك على أنك  
تنظر في الرجل الأول إلى إنسان آلى ،  
منزوع الإرادة ، مسلوب التفكير ، ضائع  
الشخصية ، يعيش في ظل غيره ، ويتحرك  
بإرادة سواه .. وهبات أن يكون في الناس  
إنسان على تلك الصفة ، وإن يكن هناك كثير  
من الناس على اللون الغالب فيها .. فإن أدنى  
الناس شأنا ، وأقلهم عقلا ، له رأى ،  
وله إرادة ، على أية صورة من صور الرأي  
والإرادة .. فإن يكنه فهو إنسان فقد وجوده ،  
وأهدر آدميته ، ودخل في عداد المجانين  
والمقتومين !

أما مع الرجل الآخر فإنك منه في حضرة  
إنسان يحمل مسئولية الحياة كإنسان ،  
ويتحمل تبعاتها كرجل .. إنسان جدير بأن  
يؤثر أثره في الحياة ، وأن يكون أهلا لإرث  
هذا القرب الكريم : خليفة الله ، في هذا  
الكوكب الأرضي ثم إنه لا فرق بين أن يكون  
ذلك السلطان الذي يملك وجود الإنسان ،  
ويشمل إرادته - سلطانا دينيا ، أو اجتماعيا ،

ولك أن تأخذ الجواب على هذا من نفسك  
حين تسألها هذا السؤال : ماذا ترد من أمورك  
أو تعرض من شئونك على ذوى الرأي  
والنصيحة من ثقاتك وخلصائك ؟  
أتراك تجي - إليهم في صغير أمرك وكبيره ؟  
وأطلب الرأي عندهم في ظاهر شئونك  
وخصيا ، وفي جليلها وحقيرها ؟ أم تراك  
تواجه الحياة برأيك ، وتصحبها بما يدلك عليه

وإذا ذكرنا أن الديانات - والديانات  
السموية خاصة - إنما جاءت لتفك الإنسان  
من أسر العبودية بجميع صورها وأشكالها  
عبودية - الأوهام والخرافات - عبودية الجهل  
والهوى - عبودية الجبابة والطفلة من ملوك  
وسلاطين - عبودية الفقر والحاجة - وذلك  
لتقيم في الحياة إنساناً سوى الإنساني - حر  
الإرادة ، مستنير العقل ، سليم الوجدان ،  
صحيح العقيدة ، مستقيم الطريقة - إذا ذكرنا  
ذلك من أمر الدين ، ومن رسالته في الحياة ،  
ومقامه في الناس - كان لنا أن نذكر كل ما يحمل  
إلى الناس باسم الدين ، ليسوقهم سوق الأنعام  
إلى مغارات وكهوف ، رطبة مظلمة ، لا يرون  
فيها إلا قطع الظلام ، تتحرك في أحشائها  
المفرطات من الأشباح والخيالات .

وإذا صح ما يقال من أن القانون للإنسان ،  
وليس الإنسان القانون . . أو كما يقول  
السيد المسيح : « إنما السبب الإنسان ،  
وليس الإنسان السبب » - فإنه يصح -  
بل يجب - أن يقال : إن الدين للإنسان ،  
وليس الإنسان للدين . . فما الدين - في صميمه -  
إلا قانون سماوي ، لا يأتيه الباطل من بين يديه  
ولا من خلفه . . تنزيل من حكيم حميد . .  
غايته حماية الناس من أنفسهم ، ومن عدوان  
بعضهم على بعض . . فهو الرحمة الراحمة

أو سياسياً ، ما دامت آثارها واحدة ،  
في ضمور الشخصية ، وفي اغتيال ذاتية الإنسان ،  
وقتل المعالم الأصيلة فيه .  
وليس هناك من سلطان أقوى وأقدر  
من سلطان الدين في أخذ النفوس إليه  
وحملها على الولاء له ، والانقياد لحكمه ،  
والاستسلام لسلطانه . . ومن هنا كان الدين ،  
رسالة الأنبياء . الذين تخبرهم الله من عباده ،  
واصطفاهم لأداء هذه الرسالة الكريمة الخطيرة ،  
التي لو لم تمسك بها يد حكيمة موجهة بحكمة الله  
وقدرته لتحول نورها الوضيء إلى نار ،  
لا تبق ، ولا تذر . . فما أكثر ما أحرقت  
الديانات السماوية - بله غير السماوية - أهلها ،  
بعد أن ذهب رسولها ، وقام عليها من بعده  
أقوام لا تتسع نفوسهم لحقيقة الدين ،  
ولا ترتفع مداركهم إلى مطالع جلاله ، وبهائه  
وحكمته ، حيث تتمثل حقائق الدين  
في خواطرهم ، وتتشكل في عقولهم ، أسماخاً  
شائنة من القوى المستبعدة المتألهة ، مضروبة  
بالجهل والهوى ، أو مدموغة بالكيد  
والتضليل ، وبهذه الحبال المفتولة باسم الدين ،  
والمصنوعة على حسابه يحسكون غنائق الناس ،  
يفرضون عليهم باسم الدين سلطاناً قاهراً  
مستبداً ، يحصى عليهم أنفاسهم ، ويسلبهم  
إرادتهم ، ويشل حركات عقولهم ، فلا يكون  
مع الدين - من أمرهم فتيلاً ، ولا قطميراً .

أو سهو ، أو إكراه ، وما أهدر آثارها  
إلا لأنها وقعت على غير إرادة الإنسان ،  
وإلا لأنها جاءت بعيدة عن مشيئته ، وعلى  
غير تقديره وتفكيره ١١  
وسيرة نبي الإسلام كلها قائمة على بناء  
المجتمع الإسلامي على هذين الأمرين :  
العقل والإرادة ... العقل السليم ، المصنوع من  
شوائب الهوى والضلال ، والإرادة الحرة  
المنطلقة من هذا العقل السليم المدرك ... فلقد  
هاش الرسول الكريم حياته كلها بين أصحابه  
بإنسانيته كلها ، وببشريته جميعها ، يستشير  
ويشار عليه ، وليس ذلك إلا ليقم في المجتمع  
الإسلامي هذه الحقيقة ، وهي أن يعيش  
الناس بقولهم ، وبإرادتهم ، وألا يتخلوا  
عنهما لأحد . حتى ولا نبي . فإن المسلم لمطالب  
حين ينزل على أمر النبي أن يصحب معه عقله  
وإرادته ، ليكون لتصليحه بما سلم به -  
مفهوم عنده ، وأثر عامل في كيانه ، ليقوم  
لهذا الأمر بما ينبغي له من احتفاء ووقار .  
وهو وقف همر بن الخطاب رضي الله عنه في  
صلح الحديبية ، أشهر من أن تذكره .

تقول هذا القول في وجه تلك الوجوه التي  
تقف بساحة الدين ، مستجيبة ، ملحة  
في الاستجداء ، لتحمل عليه كل أمر من  
أمر الحياة وتضعه بصماته ، على كل شأن  
من شئون الناس ... ١

التي تنزل من السماء كما ينزل الغيث على الجديب  
فيهنز ويربو ، ويفتق من كل زوج .  
والإسلام - بحق - هو دين الإنسان ...  
الإنسان في أكمل كلالته ، وأكرم منازلته ..  
والإنسان عقل وإرادة . وتعاليم الإسلام  
كلها قائمة على العقل والإرادة معاً ... عقل  
الإنسان العاقل ، وإرادة الإنسان المرید ...  
فعل مقاييس العقل السليم ، وعلى منطقته جاءت  
أحكام الإسلام ، وأحكمت تعاليمه ، وعلى  
الإرادة الحرة ، والاختيار المطلق قدرت  
أوامره ونواهيته ...

ومن أجل هذا كانت ، لنية ، مقطع كل  
قول أو عمل ، يصدر من الإنسان المسلم ...  
وفي هذا يقول النبي الكريم : ( إنما الأعمال  
بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى ) ..  
فلا حساب في الإسلام عن قول أو عمل  
إلا بالنية التي تصحبه ... وليس لنية منطلق  
إلا من إرادة حرة مختارة ... وليست الإرادة  
إلا عن عقل يدرك ، ويقدر ... ولهذا يقول  
النبي صلوات الله وسلامه عليه : ورفع من  
أمتي الخطأ والفسيان ، وما استكروا  
عليه ، ... وهذا ما تغير إليه الآية الكريمة  
في قوله تعالى ، وقد دعانا - سبحانه - إلى أن  
ندعوه به : ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا  
أو أخطأنا ، ... فما أسقط الإسلام هذه  
الأعمال والأقوال التي تقع عن خطأ

له من الدين بشاهد ودليل ... وإذا بالدين  
ينطلق من بين أيديهم في كل اتجاه ويندفع  
في كل سبيل ... وإذا به يلهث وراء رواد  
الفضاء من روس وأمريكان ، وإذا به يتعلق  
بأذيال المراكب المصعدة إلى الكواكب ،  
يفقى سكانها فيما أحل الله وما حرم ... وكان  
الأرض قد ضاقت فلم تتسع لهم فراحوا  
يبدلون - بلا مقابل - لسكان السماء .

\*\*\*

وبلية ليس بعد لها بلية أن يزج بالدين  
في هذه الشئون التي هي من خاصة شأن  
الناس ، وغالصة أمورهم ، والتي هي داخلة  
في اختصاص « الوظيفة » الإنسانية ، بل  
في صميم هذا الاختصاص ، الذي لا يسمح الدين  
أنفسه أن يتدخل فيه ، أو يقتصب شيئاً منه .  
فلقد خلى الدين - والإسلام بصفة خاصة -  
بين الناس وبين الحياة ، يعالجون شئونهم بما  
عندهم من ذكاء واستعداد ، وليس للدين  
في هذا المجال الفصيح الذي يسع الحياة كلها  
إلا قولة واحدة : هي أن يتحرك نشاط  
الناس في غير بنى ولا هذوان .

وعن هذا الإيمان بحق الإنسان في الاستقلال  
بوجوده ، والحياة مع ذاته ، وفي الانتفاع  
السكامل بعقله ، وخبراته ، وتجاربه - هن  
هذا الإيمان كان قول الرسول الكريم لصحابته  
من أهل المدينة : ( أقم أعلم بشئون دنياكم ) :

فلقد استهوى هذا البدع كثيراً من النفوس  
الصغيرة ، التي تحسب أنها بهذه « الوظيفة » ،  
تكون شيئاً ، وأنها بهذا التطفل تجعل لها سلطاناً  
على الناس ، وتقيم لها وزناً في الحياة ، وحتى  
كان الناس لا يفرحون إلا بإشارتهم ،  
ولا يأخذون أو يدعون إلا عن أمرهم ...  
وهؤلاء لو علموا حقيقة وجودهم ، وواقع  
حالمهم لراوا أنهم أهون هواناً من « تيم » ..  
تلك القبيلة التي رماها الشاعر بقوله :

وبقضى الأمر حين تغيب تيم

ولا يستأذنون وهم شهود

فما كانت الحياة تنتظر لإشارتهم ،  
أو تسمع لقولهم .

ولا تحسب أن هذه الظاهرة هي وليدة هذا  
العصر أو أنها من دعوة من الأحداث الكثيرة  
التي نجمت فيه ، بل هي قائمة في كل عصر  
وفي كل أمة ، وفي محيط كل دين ... فلكل  
عصر أحداثه وجديده ، ولكل عصر علماءه  
وأدعيائه وطفيليه .

ولكن الذي يلفتنا من هذه الظاهرة اليوم هو  
أنها قد اتسعت دائرتها ، وكثر المتنافسون  
فيها ، والمناها لكون عليها ... من كل جماعة  
ومن كل قبيل أو فئدة في أفق الحياة شيء .  
الاتداهي له الأدهياء ، وإلا تلقاه مهم بالفهم  
وبالدين - من يحسن ومن لا يحسن ... كل  
يحاول أن يجره إلى الدين جراً ، وأن يحجى .

## الإسلام وما يفتى عليه

٢٨٥

إلها قسراً ، ويقحم فيها إقحاما ، دون أن يكون له في كثير منها ناقة ولا جمل - كما يقولون :  
وقل أن كان الدين يدخل معركة من تلك المعارك ثم يخرج منها صليبا معافا ، بل كان دائما أبدا يخرج مشخنا بكثير من الجراح ، فلا يراه الناس - في غبار تلك الفتن ، لإشائه الوجه ، مغبر الأديم . . إذ يرون ما بينه الدين بأيدي رجاله المحسوبين عليه ، يهدمه الدين بأيدي رجاله والمضافين إليه أيضا ، حيث يتجه به بعضهم يمينا ، على حين يتجه به آخرون شمالا ، وبيننا يذهب به بعضهم شرقا ، يذهب به آخرون غربا ، أو شمالا ، أو جنوبا .  
وبين هذه الاتجاهات المختلفة يمشي المسلم زانق البصر ، كثير التفتت ، لا يدري أي اتجاه هو الصحيح . . القائم على سمع الشريعة ، المستقيم مع وجهة الدين .  
وتعظم المصيبة ، ويتضاعف البلاء حين ينجلي غبار هذه المعركة ، بعد زمن - طويل أو قصير - ثم يتفتت الناس فلا يجدون للدين مكانا فيما نشب فيه الخلاف ، ودار حوله القتال . . إذ لم يكن للدين موقف تقتضيه طبيعته ، وتستدعيه شريته فيما اختلف فيه المختلفون ، وتقاتل عليه المتقاتلون ، وإنما هي أمور من حساب الحياة خاصة ، ومن شئون الناس خالصة لم .  
ولمن لا يعرف حقيقة الدين ، ولا يعلم

وكان صلوات الله وسلامه عليه قد أشار عليهم بتأبير النخل على صورة رأها ، فامتثلوا أمره فيه ، وكان ذلك جاريا على غير عادتهم ، وكانت نتيجة هذا أن جاء الثمردون ما اعتادوا وفرة ، وجودة  
وما نحسب هذا الحدث إلا عن تدير من السماء ، ليتأكد حق الناس في ضروب من الاستقلال في التفكير والعمل ، لينخطوا حيناً ويصيبوا أحيانا ، وهم في خطتهم وصوابهم بمسكون بزمام الحياة ، ماثون أيديهم منها ، ومن وجودهم فيها .  
وفي كل مرة كان يدخل الدين فيها على الناس من غير باب ، وفيما ليس له كان يقع البلاء ، وتعظم الفتنة ، وتحول أحوال الناس ، وتقلب أوضاعهم ، ويضطرب تفكيرهم ، وإذا هم في وجه عاصفة هوجاء ، وهلى ظهر حيرة لا يدرون معها ما يأتون وما يذرون .  
وتاريخ الإسلام يحدثنا حديثا طويلا حزينا عن تلك المعارك التي أشعل فتيلها أصحاب الأمواء والفتن ، باسم الدين ، وشبوا ضرامها تحت رايتيه ، فأكلت ما أكلت من قوى المسلمين ، المادية والمعنوية ، وخلفت وراءها دخانا كثيفا ، ظل منعقدا في سماء الإسلام قرونا عددا ولا تزال بعض آثاره قائمة إلى اليوم .  
وفي هذه المعارك جميعها كان يساق الدين

هذه جزئية صغيرة من جزئيات الحياة ،  
كان لها هذا الأثر المزلزل المدمر في الحياة  
الروحية للجمع الإسلامي ، ولا زال كثير  
من الناس وفي قلوبهم مرض منها إلى اليوم !  
إنها - على صغرها - أشبه بالجرثومة الخبيثة  
تندس في جسم سليم فتهدمه هداما ، وتأتى  
على بنيانه بين عشية وضحاها .

وهل تفعل هذه الجرثومة فعلا في هذا  
السكان العظيم إلا لأنها غريبة عنه ، مناقضة  
لطبيعته ؟ كذلك تلك الهنات الصغيرة من  
هوارض الحياة حين تندس على الدين ،  
وتتحرك في كيانه . إنها أشد فتكا به ،  
وتضييعا له من تلك الجرائم الخبيثة ،  
التي تسلط على الأجسام الحية القوية ،  
تفسد نظامها ، وتبطل عملها .

وانظر قضية السفور التي اضطرب المفتون  
فيها كثيرا وأمر الدين فيها لا يخرج عن الدعوة  
إلى العفة ، وعدم القبذل ، والظهور في مظهر  
الفطنة والإغراء . . .

وليست قضية السفور وحدها هي التي  
صدعت رؤوس المسلمين زمانا ، وأصابهم  
منها ما أصابهم من دوار ، وذبول عن الدين  
وتخوف منه ، بل إن لهذه القضية أخوات  
كثيرات ، ولدت في هذا العصر ، حيث  
كثرت واردات أوروبا وأمريكا من مخترعات  
العلوم ، ومحدثات الفنون . . . فكان هناك

حدوده ، وهو يحسن الظن بحملة البخور ،  
في محارب الدين ، وينظر إلى هذه القضية  
من جميع أطرافها - له أن يدهش ويعجب  
ثم لا عليه إذا هو اختنق بهذه المقولات  
المتناقضة في أمر واحد ، وضاق بها صدره  
ثم لا عليه إذا هو جعل يسأل نفسه أو يسأل  
الناس : أى دين هذا الذى تقوم فيه  
المتناقضات ، وتعيش في ظل المتضادات ؟

ما هذا ؟ وماذا يفعل المتدين في مثل هذا  
الموقف إذا هو أراد أن يأخذ بأمر دينه ،  
ويستقيم على شريعته . . في أهله وولده . . ؟

إنها حيرة . أو قل كانت حيرة في يومها ،  
انتهت بكثير من الناس إلى أن يغيضوا  
البصر عن الدين في هذه القضية لا يأخذون

بجلاله أو حرامه فيها . لا استخفافا به ،  
وإنما هو إسقاط لتلك الحجج المتضاربة ،  
وهدم التعويل على أى منها بل لقد اندفع  
بعض الناس إلى أكثر من هذا فصرفوا  
النظر عن الدين في كل أمر ، وفي كل شأن ،

ولو كان من صميم الدين إذ تزعمت عقيدتهم  
فيه ، وساء رأيهم في موازين أحكامه ،  
حين امتحنوه في هذا الأمر لجاء إليهم  
المفتون ، بهذه المتناقضات المتدافعات  
من الآراء . . .

الدين من هذه الدنيا ، ويعيشون مع دنياهم  
بلا دين !

وإما أن يكون الدين - كما قلنا - إشارة  
مضيئة من السماء تكشف للناس معالم الطريق  
وتقيمهم على الجادة ، فلا يتصادم الناس  
في موكب الحياة ، ولا يتقاتلون ! وفي هذه  
الحال يمكن أن يجتمع الدين والدنيا على  
وفاق ، وأن تهتف الحياة بالدين حين تعنى  
على الناس السبل ، فتجد في أضوائه الهدى  
والنجاة !

\*\*\*

ثم ماذا ؟

لا شيء إلا كلمة التي بها في آذان أولئك  
المتهاقنين المتهاككين على التحكك بالدين ،  
الضاربين في وجهه بكل شيء - أن دعوا الناس  
والحياة ، فهم أعلم بشئونهم ، ولا تزحوا  
طريقهم إلى دين الله الخالض وإلى حقائقه  
المشرقة الصافية بهذا الغشاء الذي تسوقونه  
إليهم باسم الدين ، وتحملونه على ظهوره ...  
فهم بفطرتهم أهدى سبيلا ، وأقوم طريقاً  
إلى دين الله ، وإن يكن منكم في هذا المقام  
خير تقدمونه لهم فهو الصمت ، والصمت  
الطويل ... ورحم الله امرأ قال فغم ،  
أو سكك فسلم ؟

عبد الكريم الخطيب

في دائرة الدين أحاديث كثيرة متشعبة عن  
كل جديد ... في السينما ، و - الراديو ، و -  
وفي التصوير والنحت والتمثيل وغيرها حتى  
ما يتصل بالوان الطعام والشراب وأدواته ،  
والزى وأشكاله ... ففي كل شيء من هذه  
الاشياء وأمثالها كان لأصحاب الفتيا ، وقفة  
حادة صارمة ، تدفع الناس دفعا عن هذا  
البدع الجديد ... ثم لا يلبث التيار الجارف  
أن يكسر هذا السد الوهمي ، ويفسر السهول  
والوديان ، ويجرف فيما يجرف هؤلاء  
المفتون ، بغير علم ، ويدخل عليهم ديارهم  
من كل باب وناقذة !

وتصور المسألة على أن معارك قد كانت  
بين الدين وبين هذه الأمور ... ثم قدر بعد  
هذا ما يبق في قلوب الناس وفي مشاعرهم  
من جلال الدين وهيبته ، بعد أن يشهدوا  
راياته تسقط واحدة بعد أخرى في كل معركة  
يجوزها مع الحياة !

أمران لا ثالث لهما يمكن يفسر عليهما  
هذا الوضع بين الدين وبين الحياة !

إما أن يكون الدين شيء ، والحياة شيء  
آخر ... كل منهما يسير في اتجاه ، لا يلتقيان  
فيه أبدا ... وإذن فلا بد من أن يستمر بينهما  
هذا الصراع إلى أن يقتصر أحدهما ، فيبتلع  
الدين الناس ودنياهم معا ، أو أن يهلى الناس

# المرونة في اللغة العربية

للأستاذ عبد الحميد حسن

سأعرض في هذا الموضوع بإيجاز لخصائص اللغة العربية وما فيها من مرونة ومسايرة للتجديد . وأتابع في هذا العرض مراحل اللغة العربية في نشأتها ونموها واتساع نطاقها وتسجيل قواعدها وتدوين كتاباتها .

بإسم ( رد الألفية بعضها إلى بعض ) أى تغيير ضبط الكلمة كما فى عنق وشعير ورغيف بكسر الراء ، ونجد غير ذلك من مظاهر المرونة اللفظية . وإلى جانب ذلك نجد مرونة معنوية كالضمين والتغليب ونياحة حروف الجر بعضها عن بعض والمجاز والاستعارة وغير ذلك .

( المرحلة الأولى ) فى العصر الجاهل : وقد نشأت اللغة العربية ، فى هذه المرحلة ، فى كنف الفطرة وفى رحاب الصحراء الممتدة الآفاق ، وتابعت الخطا فى النمو والتهديب والاستقرار فى حرية وبعد عن القيود التى تحد من حركة الفكر ، أو تقيدها الجهاز الصوتى فى انطلاقه ، مع تجنب ما عسى أن يضطرر النطق من عوارة الحروف أو نزاحها بسبب تقاربها أو تباعدها ،

وقد أرسل العرب منطقهم على بحيمته فتغلب على هذه الصعاب بشئى الظواهر اللغوية . ولذا نجد فى اللغة العربية الإدغام والإعلال والإمالة وامتزاج الحروف المتماثلة أو المتقاربة والنحت والتقريب بين الحركات فى مثل ( الحمد لله ) بضم الدال أو كسرهما ، ونجد أيضاً ذلك البحث المعروف فى علم الصرف

وهناك ظاهرة أخرى فى اللغة نشأت عن اختلاف لهجات القبائل ، فقد تفاعلت هذه اللهجات وامتزجت ونشأت عنها مرونة لغوية تقسم بالوان من النطق وأنواع من الضبط الإهراقى وتحديد صيغ الكلمات وضبط حروفها فى الفعل الثلاثى ومضارعه ومصدره ، وفى جموع التكسير ، ويشيع فيها أن يكون للكلمة الواحدة ألوان من المعانى التى قد تقاعد إلى حد واضح . والذي ساعد على كل ذلك هو اختلاط القبائل بعضها ببعض وتجمعها فى مواسمها وأسواقها الخاصة والعامة . وقد نشأ عن هذا التجمع امتزاج اللهجات واستقرار أسسها لفظاً

## المرونة في اللغة العربية

٢٨٩

فقد نزل القرآن الكريم مسيراً لما شاع في هذه اللهجات من مظاهر ، وذلك تيسيراً على الناطقين حتى تجد كل قبيلة ما يطاوع لسانها . وفي الحديث الشريف ( أن القرآن أنزل على سبعة أحرف ) والمراد بالأحرف أوجه مختلفة من الأداء تساهل ما درج عليه العرب ، وتجتلي فيها خصائص اللغة العربية ولهجات العرب وأصاليهم في النطق وفي طرائق التعبير ، وهي التي نجدها في وجوه القراءات التي سجلتها الروايات الصحيحة المتواترة عن الرسول عليه الصلاة والسلام ، وهي مطابقة لقواعد اللغة العربية ، فإن هناك شروطاً ثلاثة يجب أن تتحقق في القراءات القرآنية وهي :

- ١ — أن توافق اللغة العربية ولو من وجه .
- ٢ — وأن توافق رسم أحد المصاحف العثمانية .
- ٣ — وأن يصح سندها .

فالقراءات إذن سجل للغة العربية الصحيحة التي يمكن أن نحتذيها . وهنا يبرز سؤال وهو : هل لنا أن نقيس على وجوه القراءات القرآنية في أي وجه من شيوخها ؟ وسنرى الرأي في هذا حينما ننظر فيما وصل إليه علماء اللغة من أصول القياس وقواعده حينما سجلوا للغة وقواعدها ومفرداتها وطرائق الاشتقاق

وأصلها مأخذاً وأخفها على . الألسنة والأسماع . ونجمل من ذلك ما يشبه اللغة المشتركة التي حوت كثيراً من خصائص اللهجات مما اتخذ منه العلماء فيما بعد معايير اتسمت بالمرونة في ضبط الكلمات والعبارات ضبطاً نحوياً وصرفياً وفي تحديد معانيها لغوياً .

ونجد في إطار هذه المرونة مرونة أخرى تختلف درجاتها في الشيوع والكثرة والقلة ، ولكنها جميعاً بما ارتضاه العرب أو فريق منهم ، أو بما ورد على لسان أحدهم . ولقد كان للعلماء الذين دونوا اللغة وقعدوا لها القواعد في هذه الناحية ، مواقف تشعبت فيها آراؤهم واختلف موازينهم وتباينت طرائقهم .

وإن الخصائص التي نراها في هذه المرحلة هي المرونة والتنوع في الكلمات والعبارات لفظاً ومعنى ، ولكنها تلتقي جميعاً عند غاية واحدة هي التي تتحكم في كل ذلك ، وهي المعنى والوصول إليه ، فالعربي يقصد إلى المعنى أولاً ، ولا يضيره أن يختلف النطق أو تنوع الوسائل أو تنفسب الطرائق في الضبط والتعبير .

• • •

( المرحلة الثانية ) بعد الإسلام ونزول

القرآن الكريم :

وفي هذه المرحلة نجد استقرار الأوضاع اللغوية وإقرار الصافي من لهجات العرب ،

بضبط كلماته وعباراته وتفسيرها . وقد دعاهم هذا إلى أن يتبعوا كلام العرب في شعرهم ونثرهم وأن يتبينوا خصائصه وما يمكن أن تخضع له من قواعد وأصول صرفية ونحوية ولغوية .

وحين نظروا في هذا التراث اللغوي وجدوا أنه يختلف في خصائصه كثيرة وقلة : فنه المطرود والغالب والكثير والقليل والأقل ، والنادر والخاص . وقد وقفوا أمام كل هذا يقبلون وجوه الرأي ، وكانوا في ذلك طوائف ، فمنهم :

١ - البصريون الذين يقشددون في القياس ولا يجيزون قاعدة إلا إذا توافرت الشواهد التي تدعها ، وكانوا لهذا يؤولون الشواهد التي تحيد عما اطرده أو كثر ، أو يخطئون بها .

٢ - ومنهم الكوفيون الذين كانوا يكتبون بالشاهد الواحد فيستنبطون منه القاعدة ، ويجيزون اتباعها والقياس عليها . وكان بعض رجال هاتين الطبقتين البصرية والكوفية يؤيدون رجال الطبقة الأخرى في آرائهم في كثير من المسائل .

وقد استمرت هذه الطبقات تستكمل القواعد النحوية والصرفية واللغوية ، ويضيف اللاحق إلى ما جاء به السابق ، حتى أتمت الطبقتان مباحث على النحو والصرف ، وكان ذلك في نهاية القرن الثالث الهجري ، والذين

وتفرع الكلمة إلى صيغ مختلفة . وحسبنا هنا أن نقول : إن قراءات القرآن الكريم هي صورة صادقة من لهجات العرب ومن مظاهر المرونة التي نستطيع أن نتخذ منها أساساً للتيسير التطبيقي في اللغة ، وسنداً لها نشد من سعة في الذخر اللغوي ومرونة في التعبير .

وهناك حقيقة ثابتة ولها دلالتها في استعداد اللغة العربية لسكل جديد يوافق ما وصل إليه العلماء من آراء ، وهي أن الإسلام قد امتدت رقعة ، وشملت أقطاراً واسعة ، وأن العرب بعد الإسلام قد خرجوا من جزيرتهم إلى آفاق فسيحة ، واختلطوا بشعوب لها طرائقها في التفكير وفي مظاهر الحياة ، ومع ذلك كله لم تقف اللغة جامدة أمام هذا الجديد ، بل سابت الحياة مسايرة طبيعية ، واتسمت للعاني الجديدة الشرعية والفقهية وللأصطلاحات اللغوية والنحوية وغيرها ، ونظرة عابرة في اللغة بعد الإسلام توضح هذا .

\*\*\*

( المرحلة الثالثة ) وهي مرحلة التعليل والقياس والاستنباط والتسجيل :

وقد بدأت هذه المرحلة حين اهتم الباحثون بدراسة القرآن وتعرف أساليبه والصيانة

المكتبات في أنحاء العالم ، ومنها ما تنبه الباحثون والعلماء في نهضتنا الحاضرة إلى قيمته ومكانة مؤلفيه فشرعوا في إعداد العدة لتحقيقه ونشره ، وسيكون لهذه الكتب شأن في التحقيق والتحصيل ، وربما كان لها أثر في التغيير والتعديل .

والذي أريد أن أبرزه في ميدان البحث هو أن هذه الكثرة من آراء علماء اللغة هي سند قوى لما نقصد من مرونة تساعد على التوسع والتجديد ، ولما نتطلع إليه من تيسير يعين على فك الأغلال عن كثير من الكلمات والعبارات ، وعلى رد الاعتبار لطائفة من مفردات اللغة تعيش على حافة الحياة اللغوية أو بمنأى عنها وهي تلمس القبول وتترقب أن يطلق سراحها ويرخص لها بالدخول في الإطار اللغوي ، لكي تأخذ طريقها في خدمة الفكر والثقافة ، وتكون دليلاً على مرونة لغتنا العربية التي أثبتت على توالي الأحقاب وتباين الأطقم بها ، أنها وسعت صدرها للجديد الذي يوافق ذوقها وتعززه الأشباه والنظائر من كلام العرب ، وتسانده خصائص اللغة وآراء علمائها ولهجات قبائلها ؟

( للبحث بقية )

عبد الحميد حسن

جاءوا بعد ذلك لم يضيفوا إلى هذا التراث جديداً في أصوله الأساسية .

وفي خلال تدرج هذه الطبقات البصرية والكوفية ظهر المذهب البغدادي حين أنشئت بغداد في صدر الدولة العباسية ، وأصبحت مقراً لحلفائها ، وعكف رجال هذا المذهب على البحث في اللغة وقواعدها ، وعلى النظر في آراء البصريين والكوفيين وترجيح بعضها على الآخر ، وكانت لهم في ذلك آراء كونوا منها مذهباً أخذ مكانه بين غيره من المذاهب .

وفي خلال ذلك أيضاً نشأ مذهب رابع في ذلك القطر العربي الجديد في الأندلس وإلى جانبه المغرب ، وكان لعلماء هذين القطرين كذلك آراء في اللغة وقواعدها لها وزنها والاعتداد بها .

وبهذا كان التراث اللغوي الذي خلفه علماء هذه المذاهب اللغوية تراثاً حافلاً بأنواع كثيرة من الآراء التي تنطق بالمرونة وتثبت دعائمها ، وقد سجل الباحثون فيه كل صغيرة وكبيرة ، ولم يتركوا رأياً إلا سردوه مفصلاً تفصيلاً دقيقاً وذكروا منه ما اتفق فيه العلماء وما اختلفوا فيه وما اضرده أحدكم وما يراوح بين الرفض أو بين الإجازة والمنع . والكتب التي بحثت في اللغة وقواعدها لا حصر لها ، ومنها ما أنت عليه أحداث الزمن ومسته أيدي الضياع ومنها ما لا يزال في زوايا

# جماعة الإخوان الصفا

للأستاذ محمد غفراني الخراساني

أثرهم في تطوير القصة على لسان الحيوان

تمهيد :

أولاً : قبل أن نتحدث عن الدور الذي لعبه إخوان الصفا في تطوير القصة على لسان الحيوان في اللغة العربية وإخراجها من المضامين الأخلاقية والاجتماعية التي تتمثل في حكايات كتاب «كلیة ودمنه» إلى مضامين فلسفية في كتابهم «رسالة الحيوان» نقف برهة لنلقي نظرة عابرة على تاريخ نشأة هذه الجماعة والأهداف التي كانت تدعو إليها من طريق نشر رسائلها في البيئة الإسلامية في القرن الرابع الهجري تلك الرسائل التي أحدثت دوياً هامثاً في توجيه التيار الفكري الإسلامي مدة هذه الحقيقة من التاريخ .

١ - أصل اسم «إخوان الصفا» وهل اقتبس من «كلیة ودمنه» :

وقد وردت لفظة إخوان الصفا في اللغة العربية من قديم في شعرها ونثرها ، فن العصر الجاهلي : رد شعرا قول أوس بن حجر يذم طفيل بن مالك الملقب بملاهب الأسنة :

لعمرك ما أمي طفيل بنفسه

بني عامر إذ ثابت الخيل تدهى  
وودع إخوان الصفا بقرزل

يمر كمریخ الوليد المفزع  
ومن ذلك أيضا قول أبي حناك البراء بن ربيع الفقعسي :

أحمد بني أمي الذين تتابعوا  
أرجى الحياة أم من الموت أجزع

بشمانية كانوا ذؤابة قومهم  
بهم كنت أعطى ما أشاء وأمنع  
أولئك إخوان الصفاء رزتهم

وما الكف الا لصبع ثم لصبع  
وقد روى أبو حيان في كتابه «الآدب والإنشاء» الصداقة والصديق ، البيت الأخير وجعله ثالثاً لبیتين آخرين لم يذكرهما أبو تمام ولم يذكر أبو حيان كذلك اسم الشاعر فقال :  
وقال شاعر :

لعمرك إني بالخليل الذي له  
على دلال واجب لمجمع

## جماعة إخوان الصفا

٢٩٣

في قصة الجماعة المطوقة سببا في تسمية جماعة إخوان الصفا فإن إخوان الصفا جرت عادتهم على أن يأتوا بالمثل لكل فكرة يعالجونها ويعرضون لها بالبحث في رسائلهم ويفسر هذا سر اهتمامهم بقصة الجماعة المطوقة التي سردوها في الرسالة الثامنة من القسم الثاني من رسائلهم ، وإني أؤيد هذا الفهم إذ أن التركيب ( إخوان الصفا ) قديم وقد سبق الفراء الجاهليون ابن المقفع إلى استعمال التركيب ( إخوان الصفا ) كما أسلفنا وكل ما هنالك أن جماعة إخوان الصفا حينما نقلوا قصة الجماعة المطوقة في رسائلهم وتصرفوا في مفزاهما استأنسوا بهذا التعبير الذي ورد في هذه القصة فاتخذوه رمزا للاتحاد والتعاون والاتفاق .

تلك المفاهيم التي كانت تربط بعضهم ببعض برباط وثيق من المحبة والإعلاء وتحوطهم بسياج متين من السرية والمكتمان وإذا قلنا إن تركيب إخوان الصفا في قصة الجماعة المطوقة هو الذي أوحى لهم باختياره اسما لجماعتهم فعلينا إذن أن نلتزم لكل تركيب يرادف هذا التركيب في المعنى أصلا اقتبس منه كلمات إخوان الصدق وإخوان الوفاء وإخوان الحفاظ وكلها وردت في اللغة العربية ثقا وشعرا غير أنهم لم يقل أحد بذلك ومهما كان من أمر فإن ما ذكرته في هذا

وإني بالمولي الذي ليس ناعمي  
ولا ضائري فقداته لممتنع  
أولئك إخوان الصفاء رزتهم  
وما الكف إلا أصبح ثم أصبح  
وجاءت كلمة إخوان الصفا أيضا في نصوص غير جاهلية شعرا ونثرا فن الشعر ما أنشده الزيدى :

إلا أن إخوان الصفاء قليل  
فهل لي إلى ذاك القليل سبيل  
فمن الناس تعرف غنم من سميتهم

فشكل عليه شاهد ودليل  
ورود نثرا قول عبدة بن المقفع في باب الجماعة المطوقة من كتاب كلية ودمته : وقال ديعلم الملك ليديبا الفليسوف حدثني أن رأيك إخوان الصفا كيف يتبدى تواصلهم ويستمتع بعضهم بعضا ، قال الفليسوف : إن العاقل لا يعدل بالإخوان شيئا فالإخوان هم الأهل على الخمر كله والمؤاسون عند ما ينوب من المسكروه ومن هنا اختلف الباحثون في صلة هذه التسمية به كلية ودمته ، لابن المقفع فذهب فسريق ومنهم المستشرق الانجليزى د جولد زيهر ، إلى أن هذا الاسم قد اقتبس مما جاء في قصة الجماعة المطوقة .

وفريق آخر ومنهم الباحث العربي أديب عباسي ينفي أن يكون ورود هذه الكلمة

وهو « فيلو » وكلمة « صفا » تقابل الشطر الثاني من الكلمة وهو « سوفيا » وعلى ذلك يكون معنى الاسم ( محبو الحكمة ) وهو رأى يقوم على الحسد والخيال ويقول الباحث العربى أديب عباسى معلقا على رأى المستشرق دى فو : « إن هناك رأيا آخر لإخوان الصفا أنفسهم فى أصل التسمية فقد جاء فى الجزء الرابع من رسائلهم ما يأتى : « ولما سمينا رسالتنا هذه رسالة السحر

ليستدل إخواننا على الأسرار الخفية وليكونوا إذا بلغوا معالى العلوم ذوى غنى عن الحاجة إلى من سواهم فى جميع ما يحتاجون إليه من أمر معيشة الدنيا فإذا وصلوا إلى هذه المرتبة صح لنا أن نسميهم بإخوان الصفا » . ويقول أديب عباسى « فإخوان الصفا كما يعرفون أنفسهم فى رسائلهم هم جماعة حذقوا علوم الدين والدنيا معا واستغنوا بها عن الحاجة إلى من سواهم ، وهذا الرأى قد يكون أقرب إلى الحقيقة وتؤيده نصوص كثيرة وردت فى رسائل إخوان الصفا فنما قولهم « ينبغي أن نبين كيف يكون تواصل إخوان الصفا وكيف تكون معاونة بعضهم بعضا فى طلب معيشة الدنيا ومنها أيضا قولهم فهكذا ينبغي أن يكون تعاون إخوان الصفا فى طلب صلاح الدين والدنيا وذلك أن معاونة الأخ ذى المال للأخ ذى العلم

الجمال ما هو إلا مجرد فروض علمية على دراستى لرسائل إخوان الصفا وخلاصة ذلك كله أن التركيب ( إخوان الصفا ) معروف فى اللغة العربية من العصر الجاهلى ولكن اتخذ هذا التركيب اسما لجماعة معينة لها أهداف خاصة هو الجديد فى الأمر وهذا لا يدنى أنه غير مألوف فى التعبير اللغوى ولا أنه مقبوس من مصدر معين مثل كلية ودمنه .

## ٢ - سر تسمية إخوان الصفا :

لفظ الصفا فى اللغة العربية يدل على التصافى والمودة والمحبة وجاء فى لسان العرب الصفراء والصفاء بالمد تقيض الكدر وصفوة كل شئ خالصة من صفوة المال وصفوة الإخاء والصفوة بالكسر خيار الشئ . وخلاصته وما صفا منه « وعلى ضوء التخرج اللغوى يكون إخوان الصفا هم الأصداقاء الذين تجمعهم المودة والإخاء ويقول المستشرق الانجليزى « جولدزهر » : ( إن أخوا الصفا حسب الاصطلاح العربى تعنى الذى صفت نفسه وخلصت سريره كقولهم « يا أخوا المروة وهو رأى عمى وإن كان ليس قاطعا ويقول المستشرق الفرنسى « دى فوها » لهذه التسمية صلة بكلمة « فيلسوف » التى ترد فى اصطلاح الفيلسوفين غوربين فيكلمه « أخ » تقابل الشطر الأول من كلمة « فيلسوف »

لفظ البناء فتوم أنه بمعنى المكان في حين أن ابن تيمية يقصد من قوله قريبا من بناء القاهرة وقرب الزمان لا قرب المكان إذ من المعروف أن مدينة القاهرة قد بدأ في بنائها جوهر الصقلي قائد المعز لدين الله الفاطمي في عام ٣٥٨ هـ فتكون جماعة إخوان الصفا قد قامت قبل ذلك أو بعده ذلك بقليل .

٤ — زعماء إخوان الصفا .

اختلف المؤرخون في أسماء مؤسسي هذه الجماعة . وقد ذكر أبو حيان التوحيدى في كتابه والإمتاع والمؤانسة ، أسماء خمسة منهم وذلك في معرض الحديث عن سيرة زيد بن الرقاعة وهو أحد زعماء هذه الجماعة فيقول : « وقد أقام بالبصرة زمانا طويلا وصادف بها جماعة جامعة لأصناف العلم وأنواع الصناعة منهم أبو سليمان محمد بن معسر البستي ويعرف بالمقدسي وأبو الحسن علي بن هارون الزنجاني وأبو أحمد المهرجاني والعمري وغيرهم فصحبهم وخدمهم » .

وعلى الرغم من ذلك فإن الغموض لا يزال يكتنف شخصية زعماء إخوان الصفا ، بحيث كان من الصعب الوصول إلى معرفة أسمائهم والالتقاء إلى معرفتهم .

٥ — طبقات جماعة إخوان الصفا :

تسكون جماعة إخوان الصفا من أربع طبقات وهي في ذلك ذات صبغة صوفية واضحة

بما له ومعاونة الأخ ذي العلم للأخ ذي المال بعلمه في صلاح الدين والدنيا جميعا كمثل رجلين اصطحبا في الطريق في مغارة أحدهما بصير ضعيف البدن معه زاد ثقيل لا يطيق حمله والآخر أحمى قوى البدن وليس معه زاد فأخذ البصير بيد الأعمى يقوده خلفه وأخذ الأعمى ثقل البصير لحمله على كتفه وتواصيا بذلك الزاد وقطعا الطريق ونجحوا ومحو هذا الرأي أن الصفا من صفاء السريرة ونفوذها إلى دقات العلوم والحكم والآداب ومختلف ألوان الثقافات ونسقتج من هذه النصوص أيضا أن مذهب جماعة إخوان الصفا كما يدل عليه اسمهم بنى على المؤانسة والأخوة وتعاون بعضهم مع بعض في أمر المعاش والامعاد .

٣ — نشأة إخوان الصفا ،

أجمع المؤرخون على أن جماعة إخوان الصفا قد نشأت في أواخر القرن الرابع الهجري في مدينة البصرة ويقول أدیب عباسى والغريب أن ابن تيمية دون باقى المؤرخين الذين وقفنا عليهم يذكر أن رسائل إخوان الصفا صنفت قريبا من بناء القاهرة فإذا صح هذا الزعم فإنه يرجح أن يكون مركز هذه الجماعة القاهرة وتكون جماعة البصرة فرعا منها .

ويبدو أن الباحث العربى قد التبس عليه

### الطبقة الأولى :

نيف على الحسين من عمره ينخرط في سلك  
الموجودات المجردة ، ويرتق إلى مقام  
العليين وعالم الشهود فيرى حقائق الأشياء  
على ما هي عليه كالملائكة المقربين وفي هذا  
المقام يكون الإنسان في رأى جماعة  
إخوان الصفا قد بلغ فوق الطبيعة والشرعية  
والناموس .

٦ - نظام جماعة إخوان الصفا

وهي تتألف من شبان تراوح أعمارهم  
ما بين خمسة عشرة سنة وثلاثين سنة تنشأ نفوسهم  
على الفطرة وهم الذين يدهون في الرسائل  
بالإخوان الأبرار حيث إنهم في مرحلة  
النشأة والتعليم ويجب عليهم الانقياد  
لأساتذتهم والانصياع لأوامرهم دون مناقشة  
أو جدل .

### في مجالسهم :

كان إخوان الصفا يعقدون اجتماعاتهم سرا  
لا يعرف مكان انعقادها ولا زمانه إلا أعضاء  
الجماعة فقط ويقولون في ذلك ، ينبغي لإخواننا  
أيدم الله حيث كانوا من البلاد أن يكون  
لهم مجلس خاص يجتمعون فيه أوقات معلومة ،  
لا يدخلهم فيه غيرهم يتذاكرون فيه علومهم  
ويتحاورون فيه أسرارهم وينبغي أن تكون  
مذاكرتهم أكثرها في علم النفس والحس  
والمحسوس والعقل والمعقول والنظر والبحث  
في الكتب الإلهية ويستفاد من كلام إخوان  
الصفا أنهم كانوا لا يسمحون للغير بالدخول  
في محادثاتهم إلا بعد التأكد من أحواله  
وسيرته وذلك عن طريق الاختبار ويقولون  
في ذلك ما نصه :

### الطبقة الثانية :

وهي تتألف من رجال أعمارهم بين الثلاثين  
والأربعين يتلقون الحكمة ومهمتهم وعاية  
الإخوان ومساعدتهم وهم الذين يطبق عليهم  
في الرسائل بالإخوان الأخيار الفضلاء .

### الطبقة الثالثة :

وهي تتألف من أفراد تراوح سنهم بين  
الأربعين والخمسين وبسمح لهم بمسرفة  
النواميس الإلهية وشرائع العالم المقدسة  
معرفة تطابق درجاتهم وأنهم أصحاب الأمر  
والنهي وهم الذين يسمون في الرسائل بالإخوان  
الفضلاء الكرام وكان لهم الدور الرئيسي  
في تأليف الرسائل والعمل على نشرها .

### الطبقة الرابعة :

وهي الذين تزيد أعمارهم على الخمسين وهي  
أعلى مراتب السلوك التي يمكن الوصول  
إليها إذ يعتقد إخوان الصفا أن الرجل إذا

ينبغي لإخواننا أيدم الله حيث كانوا  
في البلاد إذا أراد أحدكم أن يتخذ صديقا

## جماعة إخوان الصفا

٢٩٧

وسموا رسائلهم إخوان الصفا وخلان الوفا. وكتبوا أسماءهم وبشوا في الوراقين وذهب قوم إلى أن إخوان الصفا ينحدرون من نسل علي بن أبي طالب عليه السلام وكانوا يدعون إلى مذهب التشيع وقال آخرون إنهم من متكلمي المعتزلة في العصر الأول إلى غير ذلك من الأقوال التي لا تزال منارة للبحث والنقد لدى الباحثين ولكل دليل يؤيد وجهة نظره على ضوء ما استنبطه من آراء إخوان الصفا في رسائلهم ويقول المستشرق بارتولد في وصف هذه الجماعة : إن إخوان الصفا جماعة من المفكرين الأحرار ظهوروا في البصرة في القرن الرابع الهجري وأن اتحادهم يشبه بالجمعية الماسونية .

وقد قوبلت دعوة إخوان الصفا بهجوم ضيف من قبل غلاة فهم من المفكرين المسلمين من أمثال أبي سليمان محمد بن بهرام المنطقي الهجستاني من معاصريهم الذي يصفهم بقوله : « تعبوا وما أغنوا ونصبوا وما أجدوا وحاموا وما وردوا وغنوا وما أطربوا ونسجوا فلهملوا ومشطوا فقلقلوا ... ومن أمثال الإمام الغزالي الذي جاء بعدهم وطعن في مذهبهم ، وغيره من الفلاسفة والعلماء ؟

محمد غفراني فرائسي

المدرس بجامعة الأزهر والإسكندرية

مجدداً مستأنفاً أن يختبر أحواله ويتعرف أخباره ويجرب أخلاقه ويسأله عن مذهبه واعتقاده ليعلم هل يصلح للصدقة وصفاء المودة وحقيقة الأخوة أم لا ؛ لأن الناس أقوام طبائعهم متغايرة خارجة عن الاعتدال وعاداتهم رديئة مفسدة ومذاهبهم مختلفة حائرة .

### ٧ — أهداف إخوان الصفا :

اختلفت الآراء وتضاربت الأقوال حول مذهب إخوان الصفا والهدف الذي كانوا يرون إليه من دعوتهم بين قاصح ومادح وليس هنا مجال استعراض تلك الآراء ومناقشتها وإنما نشير إلى بعضها لنعطى للقارئ صورة إجمالية عن جماعة إخوان الصفا وأهدافهم والغاية التي أنشأوا جماعتهم من أجلها .

وقد كشف أبو حيان التوحيدي عن غاية إخوان الصفا بقوله : « كانت هذه العصبة قد تألفت بالعشرة وتصافت بالصدقة واجتمعت على القدس والطهارة والنصيحة فوضعوا بينهم مذهباً زعموا أنهم قربوا به الطريق إلى الفوز بوضوان الله والمصير إلى جنته . وصنفوا خمسين رسالة في جميع أجزاء الفلسفة علمياً وعملياً وأفردوا لها فهرستا

# فِنْ نَحْوَتْ مَجْمَعُ الْبَحْثِ

## مِلْكِيَّةُ الْأَفْرَادِ لِلْأَرْضِ وَمَنَافِعُهَا فِي الْإِسْلَامِ لِلْمُسْتَاذِ مُحَمَّدِ السَّائِسِ

وفي سورة الدخان في شأن فرعون وقومه:  
«كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعَيْونَ . وَزُرُوعٍ  
وَمَقَامٍ كَرِيمٍ . وَنِعْمَةً كَانُوا فِيهَا فَكَهِنَ .  
كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ .

فلما كان الفتح الإسلامي ودخل الناس في  
دين الله أفواجا لأنهم وجدوا شريعة سمحة  
مصدقة لما بين يديها من الشرائع السماوية  
بانية لا هادمة فأقرت نظام الملكية وضمنتها  
واحترمتها بما شرع من الأحكام التي جاءت  
لحفظ الأموال وحماية الملكية وأصبحت  
الأرض بعد الإسلام بخصلة من خصال .

إما أرض أسلم عليها أهلها فهي مبقاة على  
ملكهم الأول لا ينافيهم فيها أحد وإما  
أرض فتحت صلحا فهي على ملك أهلها  
وعليهم دفع ما تقضى به شروط الصلح  
في رقابهم وأرضهم .

وإما أرض فتحت عنوة ومن على أهلها بها  
في أرض مكة فهي باقية على ملكهم .

وإما أرض فتحت عنوة وقسمت بين  
الفاحين فهي ملك لهم خاصة بهم وبذراريهم  
من بعدهم كأرض خيبر .

علا لا يمتري فيه أحد أن الأرض كانت  
ملكيتها موزعة بين الأفراد ، في جميع  
العصور ، مع اختلاف الدول والديانات ،  
يتوارثونها ويتبادلون الملك فيها ، حسبما  
تقضى بذلك شرعهم ونظمهم التي يسرون  
عليها .

ففي سورة الكهف : واضرب لهم مثلا  
رجلين : جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب  
وحففناهما بنخل وجعلنا بينهما زرعا .

وفي سورة نون : «إنا بلوناكم كما بلونا  
أصحاب الجنة إذ أقسموا ليصرمنها مصبحين» .

وفي سورة الأحزاب : «وأورثكم أرضهم  
وديارهم وأموالهم» .

وفي سورة سبا : «لقد كان لسبأ في مسكنهم  
آية : جنتان هن يمين وشمال» .

وفي سورة الشعراء في شأن عاد : «واتقوا  
الذي أمركم بما تعملون . أمركم بأنعام وبنيين  
وجنات وعيون» .

وفي شأن ثمود : «: أتتركون فيما ههنا  
آمنين . في جنات وعيون . وزروع ونخل  
طلحها هضيم» .

وعمر وعثمان على الثلث والرابع فهو يعمل به إلى يومك هذا رواه بن ماجه قال البخاري وقال قيس بن مسلم عن أبي جعفر قال ما بالمدينة أهل بيت هجرة إلا يزعمون على الثلث والرابع وزارع على عليه السلام وسعد بن مالك وابن مسعود وعمر بن عبد العزيز والقاسم وعروة وآل أبي بكر وآل عمر قال وطائل عمر الناس على أنه إن جاء عمر بالبذر من هذه فله الشطر وإن جاءوا بالبذر فلم كذا قال الشوكاني وقد ساق البخاري في صحيحه عن السلف غير هذه الآثار ولعله أراد بذكرها الإشارة إلى أن الصحابة لم ينقل عنهم الخلاف في الجواز خصوصاً أهل المدينة ثم قال وأجابوا عن الأحاديث القاضية بانهم عن المزارعة بأنها محمولة على ما إذا اشترط صاحب الأرض ناحية منها معينة - وهو ما يدل عليه الحديث الآتي :-

ص ٢٢٣ منه عن رافع بن خديج قال : ( كنا أكثر الأنصار حقلاً فسكننا نكوى الأرض على أن لنا هذه ولهم هذه فربما أخرجت هذه ولم تخرج هذه فنهانا عن ذلك فأما الورق فلم ينهنا أخرجه ) وفي لفظ كنا أكثر أهل الأرض مزدروا كنا نكوى الأرض بالناحية منها تسمى اسيد الأرض قال فربما يصاب ذلك وقسم الأرض وربما تصاب الأرض ويسلم ذلك فنهينا فأما الذهب والورق

وإما أرض فتحت غنوة ولم يقسمها الإمام بين الفاتحين بل استبقاها ملكاً للدولة أو لبيت المال كما فعل عمر بسواد العراق في رأى أئمة من الفقهاء .

وإما أرض فتحت غنوة وتركت بأيدي أهلها ملكاً لهم كما كانت من قبل على أن يدفعوا خراجها لبيت المال كسواد العراق على رأى الحنفية .

وإما أرض بقيت بأيدي ملاكها من المشركين الذين هم في ديارهم لم يظهر المسلمون عليهم فهي على ما تقضى به نظمهم وقوانين دولهم التي تحكمهم والمتبع للأحاديث والآثار وما دونه الفقهاء على اختلاف مذاهم تسعفه النصوص الكثيرة التي تشهد بأن الأرض ومناقصها مملوكة للأفراد ويخرج منها باجماع على وقولي لم يشذ عنه أحد على مر العصور واختلاف الأمم والديانات وسنجزى ببعض ذلك حتى لا يطول بنا المقام ونخرج عن القصد .

الأحاديث والآثار الواردة في هذا العدد : فكتفي هنا بالنقل من كتاب منتقى الأخبار وشرحه نيل الأوطار لأنه مبوب على أبواب الفقه فيسهل الرجوع إليه .

جاء في كتاب المساقاة والمزارعة ص ٢٣١ جزء خامس من نيل الأوطار : وعن طاوس أن معاذ بن جبل أكرى الأرض على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر

لم ينه عنها وقال لأن يمنع أحدكم أخاه خير له من أن يأخذ عليها خراجا معلوما رواه أحمد والبخاري وابن ماجه وأبو داود وعن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يحرم المزارعة ولكن أمر بأن يرفق بعضهم ببعض رواه الترمذي وصححه - وعن أبي هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ( من كانت له أرض فليزرعها أو ليحرقها أخاه فان أبي فليمسك أرضه ) أخرجاه وبالإجماع تجوز الإجارة ولا تجب الإعارة فعلم أنه أراد النذب .

ومن باب الإجارة ص ٢٤٨ من الجزء الخامس من نيل الأوطار :

وعن أنس لما قدم المهاجرون من مكة إلى المدينة قدموا وليس بأيديهم شيء فكانت الأنصار أمهل الأرض والعقار فقاسمهم الأنصار على أن أعطوهم نصف ثمار أموالهم كل عام ويكفونهم العمل والمؤونة - أخرجاه - قال البخاري وقال ابن عمر أعطى النبي صلى الله عليه وسلم خيبر بالشرط فكان ذلك على عهد النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وصدر من خلافه عمر ولم يذكر أن أبا بكر وعمر جعدا الإجارة بعد ما قبض النبي صلى الله عليه وسلم .

قال الشوكاني وحديث أنس فيه دليل على جواز إجارة الأرض التي هي مملوكة لأفراد

فلم يكن يومئذ - رواه البخاري . وفي لفظ قال إنما كان الناس يؤاجرون على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بما على الماذنات وإقبال الجداول وأشياء من الورع فيهلك هذا ويسلم هذا ويملك هذا ولم يكن للناس كرى إلا هذا فلذلك زجر عنه فأما شيء معلوم مضمون فلا بأس - وفي نيل الأوطار ( نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المحاقلة والمزابنة وقال إنما يزرع ثلاثة : رجل له أرض ورجل منح أرضاً ورجل أكرى أرضاً بذهب أو فضة ) أخرجه النسائي وأبو داود بإسناد صحيح عن

أبي وافع في ص ٢٢٦ منه عن سعد بن أبي وقاص بأن اصحاب المزارع في زمن النبي صلى الله عليه وسلم كانوا يسكرون مزارعهم بما يكون على السواقي وما سدد بالماء بما حول النبات فجاءوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاختموا في بعض ذلك فنهاهم أن يسكروا بذلك وقال اكروا بالذهب والفضة رواه أحمد وأبو داود والنسائي وما ورد من النهي المطلق عن المخاطرة والمزارعة يحمل على ما فيه مفسدة كما بينته هذه الأحاديث أو يحمل على اجتنابها ندبا واستحبابا فقد جاء ما يدل على ذلك فروى عمر بن دينار قال قلت لو تركت المخاطرة فانهم يزعمون أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عنها فقال أن أعلمهم يعني ابن عباس أخبرني أن النبي صلى الله عليه وسلم

أبو حنيفة لا بد من إذن الإمام وعن مالك يحتاج إلى إذن الإمام فيما قرب مما لأهل القرية لآليه حاجة من مرعى ونحوه ويمثله قالت الهادية .

ومن باب الناس شركاء في ثلاث وشرب الأرض العليا قبل السفلى إذا قل الماء أو اختلفوا فيه ص ٢٥٨ وما بعدها من نيل الأوطار . جزء خامس .

عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ( لا يمنع الماء والنار والكلأ ) رواه ابن ماجه وعن أبي خراش عن بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ( المسلدون شركاء في ثلاثة الماء والكلأ والنار ) رواه أحمد وأبو داود ورواه ابن ماجه من حديث ابن عباس وزاد فيه وثمنه حرام .

وما سقناه من الأحاديث والآثار يدل أبلغ الدلالة على أن الأرض ومناقصها مملوكة للأفراد ينتفعون بها بكل وجود الانتفاع يزدهونها أو يزارهون أو يعيرون حتى كان لهم أن يعطلوها وإن كان ذلك مكروها لما ورد من النهي عن إضاعة المال كان ذلك في عصر النبوة ووقع عليه إجماع الصحابة والتابعين وقها الأمصار في جميع العصور ؟

محمد السابسي

لأنصار كما هو نص الحديث ) بنصف الثمرة الخارجة منها في كل عام .

ومن كتاب إحياء الموات ص ٢٥٥ وما بعدها من نيل الأوطار جزء خامس :

عن جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ( من أحيا أرضاً ميتة فهي له ) رواه أحمد والترمذي وصححه وفي لفظ : ( أحاط حاطاً على أرض فهي له ) رواه أحمد وأبو داود وإسحاق بن سميعة عن سمرة وعن سعيد بن زيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ( من أحيا أرضاً ميتة فهي له وليس لعرق ظالم حق ) رواه أحمد وأبو داود والترمذي - قال العلماء - ( والعرق الظالم من غرس ، أو زرع أو بني أو حفر في أرض غيره بغير حق ولا شبهة ) وعن أسمر بن مغيرة قال أتيت النبي فبايعته فقال : ( من سبق إلى ما لم يسبق إليه مسلم فهو له ) قال : فخرج الناس يتعادون يتخاطون رواه أبو داود قال الشوكاني الأرض الميتة هي التي لم تعمر شبت عمارتها بالحياة وتعطيلها بالموت والإحياء أن يعتمد شخص إلى أرض لم يتقدم ملك عليها لأحد فيحياها بالسقي أو الزرع أو الغرس ، أو البناء فتصير بذلك ملكاً كما يدل عليه أحاديث الباب وبه قال الجمهور وظاهر الأحاديث أنه يجوز الإحياء سواء كان بإذن الإمام أو بغير إذنه وقال

# حق الفقراء في أموال الأغنياء

للاستاذ الدكتور إبراهيم اللبان

التي استخدمتها الأديان الممارة كعلاج لهذه المشكلة عصوراً طويلة قبل ظهور الإسلام فهي على سبيل المثال لم تستطع استئصال الفقر من جذوره بل لم تنهض بمجموع المعوزين إلى مستوى الحياة الإنسانية الكريمة ، نظراً لأن فكرة الإحسان لم ترتفع في عصر من عصورها إلى درجة الإلزام ، بل بقي الأمر فيها موكولاً إلى شعور الأغنياء في أداء ما يقضي به هذا الشعور حيال الفقراء وهو شعور يعارضه الحب الطبيعي للبال والنفور من بذله ، مما كان سبباً في عجز الإحسان عن النهوض بحل مشكلة الفقر ، فلما جاء الإسلام وفرض الزكاة ، حتماً ثابتاً لازم الأداء من أموال الأغنياء للفقراء اعتبر ذلك تطوراً في علاج مشكلة الفقر ، لوحظ فيه تلافى أسباب النقص التي وقعت بالإحسان عن حلها ، فقد غدت الزكاة في المجتمع الإسلامي حتماً مطالباً به لأصحابه ، وأصبحت الدولة مسئولة عن تحصيله وتوزيعه ، وأصبح هذا الحق محمداً معلوماً . آثاره في علاج مشكلة الفقر ليست وقفاً على المسلمين بل تتعدى إلى من يستظلون براية الحكم الإسلامي من غير المسلمين .

هذا البحث تقدم به سيادته المؤتمر الجمعي في دورته الأولى ، وضع فيه موقف الإسلام من مشكلة الفقر والطريق الذي سلكه في علاجها ، ومدى ما كان لذلك من تأثير على تفكير الأمم الأخرى بالنسبة لعلاج هذه المشكلة في العصور التي تلت ظهور الإسلام إلى عصرنا الحاضر .

استهله ببيان نشأة مشكلة الفقر كنتيجة طبيعية لوجود طبقتين في المجتمع الإنساني ، أحدهما تحيا في بحبوحة النعيم ، والأخرى يكاد يقضى عليها شظف العيش ، الأمر الذي دفع الناس منذ أقدم العصور إلى التفكير في حل لهذه المشكلة كانت بعض صوره قاسية أما أغابها فكان يحمل طابعاً إنسانياً قوامه شح مور الرحمة الذي لم يخل ذمة الغنى من التطوع لانتشال الفقير من موة البؤس والفاقة ، إلى أن جاء الإسلام فتطور هذا الحل بحيث جعل له من المقومات والأسس ما يكفل له النجاح في علاج هذه المشكلة .

وبما ذكره في توضيح ذلك قوله : إذا كانت كلة التطور تعني الانتقال من حال إلى حال ، فلكي تتصور تطور الإسلام لعلاج مشكلة الفقر ، نبداً من فكرة الإحسان

رأس المال قلة وكثرة والمهولة لا تملك رفع مقاديرها حتى تظل كما كانت على كفايتها في سد حاجات الفقراء المتطورة . كان لابد من التفكير في مورد آخر يساند الزكاة في مهمتها الاجتماعية . وخاصة بعد تدفق الأموال على كبريات المدن الإسلامية على أثر اتساع نطاق الفتح وظهور طبقة الأغنياء أصحاب الملايين في الوقت الذي لم يخل فيه المجتمع الإسلامي من طبقة أخرى لا يغطي دخلها كل حاجاتها . وتوجهت أنظار كثير من مفكرى المسلمين إلى أموال الأغنياء للأخذ منها زيادة على الزكاة القدر الذي يساعد على دفع غائلة الجوع والحرمان عن الفقراء . بل رأى فريق منهم بزعامة أبي ذر الغفاري أن يؤخذ من هذا المال الزائد عن حاجة أصحابه لكي ينفق هذا القدر في سد حاجات الفقراء والمعوزين . وصدح أبو ذر بالدعوة لهذه الفكرة في خلافة عثمان بن عفان ، وبذل كل ما يملك من جهد في سبيل نشرها ؛ فاهتبرت دعوته لها أول حركة اشتراكية إسلامية . ثم جاء من بعده ابن حزم ، فحدد فكرتها تحديداً وافياً بحيث جعلها صالحة لأن تكون تشريعاً منظماً قادراً على البقاء . واعتبر ذلك منه تشريعاً لضريبة الدخل في الإسلام .

ثم عرض في كلامه لشخصية ابن حزم ومنهجه في البحث المتميز عن منهج الفقهاء .

ثم يبين أثر الزكاة في تطور التشريع الاشتراكي في الغرب ، فذكر أن الغربيين أدركوا عدم كفاية الإحسان في حل مشكلة الفقر وجرم التشريع الإسلامي للزكاة في موارد ومصارفها ، فلجأوا إلى محاكاته ، بفرض ضريبة اجتماعية مقدرة على حسب المستويات قوم الدولة على جبايتها وتوزيعها على المستحقين وقوم هذه الضريبة على أساس الاعتراف بحق الفقراء في أموال الأغنياء ، وبمرور الزمن طورت فكرتها بظهور ضريبة الدخل بمضامها الواسع وقدرتها على مجابهة جرثومة الفقر ، فهذا التشريع الضريبي الذي ظهر في بريطانيا وتجاوز حدودها حتى وصل إلى أمريكا والذي يبدو في أساسه الاقتباس من تشريع الزكاة الإسلامي ، يمكننا القول بأن فرض الزكاة في الإسلام لم يكن تشريعاً خاصاً وإنما كان تشريعاً لتطوير الأوضاع الاجتماعية التي تتصل بالفقر في محيط الإنسانية ، ظهر في البيئة الإسلامية ثم لم يلبث أن تخطاها إلى العالم بأسره فأضاء نوره للمفكرين الطريق إلى الأوضاع الاشتراكية الحديثة ، وبذا يكون الإسلام قد أحدث ثورة اشتراكية كبرى تأسى بها كثير من أمم الأرض في علاج مشكلة الفقر . وتسلم عن ضريبة الدخل في الإسلام . فذكر أن الزكاة لما كانت محدودة ترتبط بمقدار

ولإليك نصوص هذه الأدلة من الكتاب والسنة والآثار مع تعقيب السيد الباحث عليها ورأيه في التجديد الذي أتى به ابن حزم وأثر هذا التجديد في العصر الحاضر . ثم النتيجة التي انتهى إليها في بحثه من أن الضريبة التي تلجأ إليها الدولة لمكافحة الفقر وتوفير المال اللازم للخدمات الاجتماعية ، تعتبر ضريبة إسلامية ، مكاملة للزكاة في سد حاجات الفقراء المتنوعة . وفرض هذه الضريبة وتحصيلها من صميم دعوة ابن حزم التجديدية .

أبو ذر :

ويمكن أن تنقسم الأدلة التي استند إليها ابن حزم إلى قسمين رئيسيين :

القسم الأول : الأدلة المستمدة من الكتاب والسنة .

والثاني : الآثار المروية عن كبار الصحابة والتابعين الذين يرون هذا الرأي .

الكتاب الكريم :

يقول ابن حزم مستنداً على صحفه رأيه السابق الذكر : ( رمان ذلك قول الله تعالى : « وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل » ) . وقال تعالى : « وبالوالدين إحساناً وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل » . فأوجب الله حق المساكين وابن السبيل وما ملكك اليمين مع ذي القربى .

الآخرين بفهمه للنصوص في حدود الطاقات الإنسانية لأنه يرى أن هذه النصوص ما جاءت إلا لتنظيم الحياة الإنسانية ، وهو حين يقرأ النص لاستخلاص حكمه تكون عينه مفتوحة على ما تعج به البيئة الإنسانية من فقر وبؤس أو غنى ويسر وغير ذلك مما له ارتباط بهذا النص . وفي ضوء هذا المنهج كانت محاولته إيجاد حل إسلامي يقضى هائياً على مشكلة الفقر . فعمد إلى تحديد مظاهر هذه المشكلة وحصرها في الجوع والعري وفقد المأوى ( واكل عصر مستواه ) .

ثم استخلص من النصوص تشريعاً يجبي بمقتضاه من أموال الأغنياء فوق الزكاة ما يساعدها على اختفاء هذه المظاهر من حياة المجتمع . وجعل تنفيذ هذا من الواجبات التي تضطلع بها الدولة بحيث يصبح من مهمتها في الإسلام :

- ١ — توفير الغذاء الكافي للفقير .
- ٢ — تحقيق السكن الضروري له .
- ٣ — ضمان حصوله على اللباس الذي يقيه برد الشتاء وحرارة الصيف . وقد أحاط هذا التشريع بكل ما يكفل له النجاح من إلقاء تبعة تنفيذه على الدولة ومن تحديد موارده المالى وأبواب إنفاقه . ثم تقدم به في شجاعة لا تبالى بما كان متوارثاً من أنه لا يجب في مال الأغنياء حق سوى ما أوجبه الزكاة . وأيده بالأدلة التي تثبت صحته ، فهو قبل كل شيء فقيه ومحدث .

## حق الفقراء.

٣٠٥

ثم يروى مرة أخرى عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ( من كان معه فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له ومن كان له فضل زاد فليعد به على من لا زاد له ) .

قال أبو سعيد الخدري فذكر من أضاف المال ما ذكر حتى رأينا أنه لا حق لأحد منافي فضل .

ويعقب ابن حزم على هذا بقوله : ( وهذا إجماع من الصحابة يخبر بذلك أبو سعيد ) . ثم يردف مطلقاً فيقول : ( وبكل ما في هذا الخبر نقول ) .

ولا بد لنا هنا أن نذكر أنفسنا بحقيقة هامة لا بد منها لفهم روح ابن حزم لم يهمل الجو العام الذي تولده الأحاديث والآيات القرآنية ، بل ربما كان هذا الجو العام هو المؤثر الأول في تفكيره والعامل الأساسي فيه . فالواقع أن مجموع الآيات والأحاديث إذا ضم بعضها إلى بعض تلتقي في روح من يقبها أن واجب المسلم أن يسام بكل ما يستطيع في تقديم ما لا بد منه لإتقاذ أخيه من حياة الفقر والعوز وتمكينه من الحياة الإنسانية الكريمة .

### الآثار :

لهذا النوع من الأدلة قيمة خاصة بالنسبة لنظرية ابن حزم فـهـو يدل على أن ابن حزم

وافترض الإحسان إلى الأبوين وذوي القربى والمساكين والجار وما ملكت اليمين - والإحسان يقتضي كل ما ذكرناه . ومنه إساءة بلا شك

وقال تعالى : . ما سلككم في سقر قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين ، . فقرن تعالى طعام المسكين بوجوب الصلاة .

وينبغي أن تنبه إلى أسلوب ابن حزم في فهم الكتاب والسنة فهو لا يقبل الفهم الضيق ويصر على أن نفهم الكتاب والسنة فهما متحرراً غير مثقل بالقيود والشروط التي قد تضيق الأفق وتخنق روح الشريعة

أو تحول دون تحقيق مقاصدها . وهذه الروح يتجه ابن حزم إلى الحدث يستخلص منه الأدلة التي تظاھر دلالة الكتاب الكريم .

### السنة :

يروى ابن حزم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ( من لا يرحم لا يرحم ) ويعقب على هذا بقوله : ( ومن كان على فضلة من المال ورأى أخاه جائعاً هريان ضائماً فلم يقش فإرحمه بلا شك ) .

ويروى أيضاً أنه صلى الله عليه وسلم قال : ( المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسله ) ، ويقول مطلقاً على هذا : ( من تركه يجوع ويعمرى - وهو قادر على إطعامه وكسوته - فقد أسله ) .

ابن حزم يورد بعدما رأياً مفصلاً بمحدد المقدار الواجب والغاية التي يستخدم فيها وصاحب الرأي هو علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقد روى عنه ابن حزم أنه قال : ( إن الله فرض على الأغنياء في أموالهم بقدر ما يسكني الفقراء فإن جاعوا أو عسروا فبمنع الأغنياء حق على الله أن يحاسبهم يوم القيامة وبعذبهم عليه ) .

المال المفروض إذن هو ما يكفي الفقراء لا الزكاة وحدها والذي يكفي الفقراء يتناول ما يسد حاجة الجوع والعري ويوفر لهم الغذاء والكساء .

هذا هو الرأي الذي يقره ابن حزم وابن حزم في الواقع لم يقرر إلا ما قرره علي بن أبي طالب ولم يزد علي بن أبي طالب عما روى عن غيره إلا التفصيلات التي لم تظهر في كلامهم ، أما المبدأ العام فمشارك بين الجميع .

#### قيمة هذا التجديد :

وتظهر قيمة هذا التجديد إذا فكرنا في الهدف الذي ترمي إليه شريعة الزكاة وفي مدى ما تستطيع أن تحققه الزكاة من هذا الهدف .

ولعله من الواضح أن الزكاة شريعة اجتماعية يقصد بها القضاء على الفقر وشروءه في المجتمع الإسلامي .

لم ينفرد برأيه أن في حق الفقراء في أموال الأغنياء يتجاوز حدود الزكاة وأنه ( بمد استنفاد الزكاة ) يشمل كل المال الضروري لرد حاجة الفقر عن المسلمين بل الواقع أن ابن حزم إنما بنى على أساس وضع في عهد الصحابة والتابعين وأثره في الأمر لا يعدو التفريع والتحديد والتدعيم .

ولن نورد هذه الآثار كلها وإنما نجتزئ منها بما له أثر بين تدعيم هذه النظرية وتوضيح معالمها .

وأول ما ينبغي أن نلاحظه أن بعض هذه الآثار يقرر المبدأ في صورة مجملة فقد روى ابن حزم عن ابن عمر أنه قال : ( في مالك حق سوى الزكاة ) ، ثم قال ( وصح عن الشعبي ومجاهد وطاوس وغيرهم كلهم يقول في المال حق سوى الزكاة ) ثم أورد هذا بقوله : ( ما نعلم عن أحد منهم خلاف هذا إلا عن الضحاك ابن مزاحم فإنه قال : ( نسخت الزكاة كل حق في المال ) .

ثم أعرب ابن حزم عن رأيه في الضحاك فقال : وما رواية الضحاك بحجة فكيف رأيه ) . ولا ينبغي أن يفوتنا أن نلاحظ أن بين هذه الأسماء صحابياً جليلاً وهو ابن عمر وبعينهم من التابعين .

وهذه الآراء كلها مجملة كما قلنا من قبل فهي تقرر المبدأ في صورته العامة ولكن

## حق الفقراء

٣٠٧

والله تعالى حتى يستطيع أن يواجه جميع الظروف ويكفل للفقراء سد حاجاتهم الضرورية ولا يعجز عن الوفاء بها إذا ما زاد عدد الفقراء في المجتمع . يجب في الواقع أن تقدر هذه الضريبة الجديدة على أساس إحصاء الفداء وتحديد احتياجاتهم وتقدير قيمتها المالية حتى يستطيع الضريبة الجديدة منضمة إلى حصة الزكاة أن تسد حاجات جميع الفقراء في المجتمع كله .

وهذا في الواقع هو أساس هذه الفكرة التي ظهرت في عهد الصحابة والتابعين ثم تبناها بعد ذلك ابن حزم فاقصود تأسيس ضريبة مرنة تنضم إلى الزكاة وتتعاون معها على تحقيق الهدف الإسلامي العظيم وهو عر الفقراء من المجتمع .

مغزى هذه الفكرة في العصر الحاضر .

يجب أن نلاحظ أن ابن حزم لم يزد على أن قرر أن الحاكم بل عليه أن يضرب ضريبة أخرى غير الزكاة تتعاون وإياها على عو الفقراء . ولكن ابن حزم لم يبين لنا كيف تضرب هذه الضريبة فهل تضرب على رأس المال كالزكاة أم تضرب على نحو آخر .

والذي يبدو لنا أن المهم هو ضرب الضريبة لتحقيق الهدف أما طريقة فرضها على الأغنياء فأمر ثانوي وليس ثمة ما يمنع من ضربها على الأرباح ما دامت حصيلتها كافية لتحقيق الغرض . وطبيعي أن تتدرج صاعدة مع مقدار الربح .

ولكن هل تستطيع الزكاة وحدها في كل الظروف والأحوال أن تفي على الفقر . وهل في طبيعتها ما يكفل ذلك . وإذا كانت تعجز في بعض الظروف عن الوفاء بهذه المهمة فهل في الشريعة الإسلامية وسيلة أخرى تساعد على ذلك وتتم عمل الزكاة في هذا الميدان ؟

والحقيقة الواضحة أن الزكاة وإن كانت تهدف إلى مكافة الفقر فإن مقاديرها لم تقم على هذا الأساس مباشرة . فالزكاة الواجبة لا تحدد على أساس حصر الفقراء وتقدير احتياجاتهم ثم تحصيل ما يسد هذه الحاجات ولكنها وضعت على أساس آخر . فهي نسبة معينة من رأس المال تزيد إذا زاد رأس المال الذي يجب عليه الزكاة وتنقص إذا نقص دون اتجاه مباشر إلى توفير المقدار الدقيق الذي قد يحتاج إليه الفقراء ، ومن ثم كان من المتوقع أن تجد أحوال لا تفي فيها الزكاة بكل حاجات الفقراء . وإذا تذكرنا أن هدف الشريعة في هذا الميدان هو عو الفقراء والعوز من المجتمع كان من الطبيعي أن تتوقع أن الشريعة الإسلامية لا يمكن أن تقف فيما تفرضه للفقراء عند حد الزكاة . فمضلة الفقر تحتاج إلى مورد آخر متمم للزكاة ومعين لها على أداء مهمتها .

وواضح أن هذا المورد الذي يتخطى حدود الزكاة يجب أن يكون مرنا قابلا للزيادة

وفي هذه الحالة تتكون هذه الضريبة المتحدة  
الفرض من قسمين  
القسم الأول الزكاة :  
والقسم الثاني ضريبة الدخل المتممة لها .  
وغنى عن البيان أن هذا يتطلب العودة  
إلى الوضع الأساسى الأصلى وهو أن تجبى  
الدولة الزكاة وتقوم بتوزيعها على المستحقين .  
ابن حزم والعصر الحاضر

ونحب أن نختتم كلمتنا هذه بملاحظة خاصة  
عن مستوى الحياة الذى اقترحه ابن حزم  
فقد وضعه تحت تأثير الجوانب الفكرية للعصر  
الذى كان يعيش فيه ، وقد تغيرت الأفكار  
الآن بالنسبة لمستوى الحياة الضرورى الذى  
يجب أن يبلغه كل فرد فى المجتمع فأتسع مداه  
واقسع مجاله ، وأصبح يشمل عناصر أخرى  
كانت من قبل تعد من الكماليات فصارت  
تحتسب الآن من الضروريات ، وذلك كالتعليم  
والعلاج وغيرهما فمن الخير أن ندخل كل  
ذلك فى نطاق مستوى الحياة الذى تطلبه الفقير  
فى العصر الحاضر ، وأن نقدر ضريبة الدخل  
الإسلامية على أساس هذا المستوى الجديد ،  
وبهذا نصل إلى حل إسلامى لمعضلة الفقر  
أسى بما وصل إليه التفكير لحلمها فى أمريكا  
وأوروبا فى الوقت الحاضر .

إبراهيم الدياب

عضو مجمع البحوث

وقد آن لنا هنا أن نكشف الستار عن  
طبيعة النتيجة التى انتهى إليها البحث . وهذه  
النتيجة هى أن الطريقة الحديثة التى تلجأ إلى  
ضريبة الدخل لمكافحة الفقر والقيام بالخدمات  
الاجتماعية المختلفة هى طريقة إسلامية . فإنها  
هى الطريقة التى نادى بها ابن حزم منذ عهد  
بعيد ومرة أخرى ضريبة الدخل التى تعرض  
لمكافحة الفقر والقيام بالخدمات الاجتماعية هى  
صميم دعوة ابن حزم ودعوته التجديدية .

تبقى بعد ذلك نقطة هامة تتصل بطريقة  
تقدير هذه الضريبة ليست ضريبة مستقلة  
ولكنها ضريبة تكملية تسد النقص الذى  
يتخلف عن ضريبة الزكاة ، ومن ثم كان من  
الطبيعى أن نساءل كيف تقدر ؟ ، لتحقيق  
والذى يبدو أن الوضع الإسلامى  
والمعقول هو :

١ - أن نبدأ فنقدر تقديراً إجماعياً عدد  
الفقراء وحاجاتهم .

٢ - ثم نقدر قيمة الزكاة الواجبة على  
المسلمين فى المجتمع ونوازن بينها وبين قيمة  
احتياجات الطبقة الفقيرة .

٣ - تحدد ضريبة الدخل الإسلامية  
على أساس الفرق بين قيمة الزكاة وقيمة  
احتياجات الطبقة الفقيرة .

وربما كان من الخير أن نوضح ضريبة  
واحدة للقيام بحاجات الفقراء وخدماتهم .

# الملكية الفردية وتحدياتها في الإسلام

للأستاذ علي الخفيف

للناس أن يملكوا ما وسعهم أن يملكوا وأن يمشوا في تملكهم للأموال إلى حيث يشاءون ما دام ذلك في غير ما حرم الله لأن ذلك هو ما يتفق مع ميولهم التي يجب أن يحسب لها حسابها في إقامة نظام المجتمع ومع مصلحة الجماعة في إغراء أفرادها على بذل أقصى جهودهم لتحسين أحوالهم وتنمية أموالهم وفي ذلك صلاح المجتمع ورفاهه — ولذا كان لم الخيرة في مقدار ما يملكون — ولقد كان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان واسع الثراء إلى درجة تجاوزت ثراء غيرهم من الصحابة بمسافات بعيدة ومقادير كبيرة ولم تكن ثرواتهم هذه مع عظمها مثار إنكار عليهم من الرسول صلى الله عليه وسلم أو من أصحابه ولا مصدرا لاتهامهم بأنهم قد خالفوا عن أمر الله تعالى ومن هؤلاء : عبد الرحمن بن عوف والزبير بن العوام وعثمان بن عفان وغيرهم — ولقد يرى في حديث القرآن الحكيم عن المهر في قوله تعالى : « وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتن أحداهن قطارا

تغيير الملكية الفردية وفهردها : إن حب التملك والرغبة فيه غريزة فطر الإنسان عليها وهي في قوتها واندفاعها تفوق غيرها من الفرائز إلا غريزة حب البقاء والحياة وسر الحركة الدائمة في هذه الحياة ومصدر النشاط الذي تمثل فيه صورة الوجود وبه قيامه وهي القوة الدافعة في كل ميدان من ميادين الفكر والعمل إلى حيث الأمل المرجو والغاية المطلوبة والإنسان مطبوع على الاستجابة لفرائزه وإشباعها بالعمل لها والحصول على ما يرغب فيه ولذلك يرى كادحا ساعيا إلى جمع المال — والاستكثار منه يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : ( لو كان لابن آدم واديان من المال لا يفتى ثالثا ولا يملأ جوف ابن آدم ، إلا التراب ) رواه مسلم ج ٣ ص ٩٩ ويقول : ( يهرم ابن آدم وتشب معه اثنتان : الحرص على المال والحرص على العمر ) رواه مسلم ج ٣ ص ٩٩ وإلى هذا لا يرى في كتاب الله ولا في سنة رسوله ما يدل على تقييد الملكية الفردية بحد تنتهي إليه فلا تتجاوز بل أباح

فلا تأخذوا منه شيئاً تأخذونه بهتاناً وإثماً مبيناً، (النساء ٢٠) إشارة إلى إباحة التملك لا إلى حد لأنه إذا جاز أن يكون المهر يصدقه الزوج لزوجته فقطاراً فكيف يكون مقدار ثروته وقد كانت هذه الإباحة متسقة مع النظام القائم المنتشر في المجتمعات يوم ظهور الإسلام ولا تتعارض والإصلاح المأمول والتطور المنتظر.

هذا والبال مفاعله التي لا تخفى في إقامة حياة الإنسان وحياة أسرته وتوثير هذه تصاعدهم وإفناقه في سبيل الخير المتعددة المختلفة وله آثامه في اكتنازه مع الشح به وفي إتهاقه في مطالب الهوى والشهوات رجالي الترف والفسوق ومظاهر العلو والتفاخر والطغيان وهو مع ذلك أداة طيعة خاضعة لشيئة الإنسان إن شاء

كان له نعمة وفضلاً ينال به الطيبات ويبغى به الدار الآخرة دون أن ينسى نصيبه من الدنيا وإن شاء كان نقمة يبغى بها الفساد في الأرض ويبغى فيها على قومه وعلى نفسه غير أن ميل النفوس إلى رغائبها ولذاتها أشد وتوليها إلى هذه الوجهة أقوى فكانت كثرة الأموال أقرب أن تتخذ وسيلة إلى الآثام منها إلى المنفعة والخير العام لئلا الله تعالى :

« كلا إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى ، سورة اقرأ ويقول : « اعلوا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم

وتكاثر في الأموال والأولاد ، الحديد ، ويقول : « زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب ، ( آل عمران ) ، ويقول : « إنما أموالكم وأولادكم فتنة ، ( التغابن ١٥ ) ، وتكاد تكون غريزة حب التملك وراء كل بني وعدوان فيما بين الأفراد والامم فما رأينا أكثر الخصومات بين الأفراد إلا نتيجة خلاف على مال أو نزاع فيه وما كانت الحروب منذ القدم في غالب الأحوال إلا طلباً لزيادة التملك وسعة الملك والثراء .

هذا وليست الحاجات العارضة من مطالب الإنسان في نطاق ما يقيم به حياته من طعام ونحوه هي التي تغري الإنسان وحدها بطلب المال والاستكثار منه بل وراء ذلك آمال وأحلام تهيش بها الصدور وتتهج إليها الأنظار ويدفع إليها حب التنافس والتفاخر تلك أحلام التملأ وأمانى السيادة والسلطان ومطالبها لا تنتهي وفي سبيلها تهون الصعاب ، والملكية الفردية سيئات عديدة تنتظمها الأحوال الآتية :

الحال الأولى : أن تجمع الأموال لا لإنفاقها في سبيلها المشروعة ، بل تضن بها النفوس ويقبض أربابها أيديهم أن ينفقوا منها في سبيل

الخير فلا يكون فيها مواساة فقير ولا سد حاجة محتاج ولا صلة لقريب ولا تفريج لكربة ولا مساهمة في عمل بر فيتحلوا بها على الناس أو عليهم وعلى أنفسهم وفي مثل هذه الحال يقول الله تعالى : «والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون» (التوبة ص ٣٥) .

وأرباب هذه الأموال هم البغيضون المقتوتون تسلبهم الناس بالسنة حداد فبدت البغضاء من أفواههم وما نخفي صدورهم أكبر . وربما أدى ذلك إلى الثورة عليهم فسلبهم الناس أموالهم وأذاقوهم حتفهم .

الحال الثانية : — أن يكون المال وسيلة إلى تلويت صاحبة وتدنيس نفسه إذا ما مدله في ملكه فاستكفر منه واتخذته وسيلة لنيل مآربه وملاذاته وشهواته ومظاهر ترفه ولهوه وشيوع مثل هذا في الأمة يمزق وحدتها ويوهن قوتها وفي ذلك يقول الله تعالى : « وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا » (الإسراء ص ١٦) .

الحالة الثالثة — أن يسيء المالك استعمال حقوقه فيما يملك فيجاوز فيها الاستعمال

المشروع تجاوزا يضر بغيره أو يكون من نتائج استعماله ضرر ظاهر بغيره حين يكون له من ذلك منجاة وسعة إذ لم يكن استعماله لحقه بالأمر الضروري له الذي ليس له منه بد في سبيل منفعة مشروعة مطلوبة له في تركها ضرر يفوق ما يلحق بغيره من ضرر .

الحال الرابعة — أن يسوء توزيع الثروة العامة فتحاز الأموال ويختص بوافر الثراء فئة قليلة من الأمة دون باقي فئاتها فتقسم الأمة طبقات متباغضة متنافرة متحاسدة يشيع فيها الاضطراب والتفرق والفساد فتشتعل نيران الفتن والثورات فيها ولقد راعى الإسلام ما للملكية الفردية من هذه المساوئ والأضرار إذا لم يكن للخلق الرشيد والضمير الخالص عليها قيام تخفف من سيئاتها ووجد من غلواتها بما شرع لها من تنظيم ووضع لها من قواعد وأسباب تقوم عليها نشأتها واستقرارها واستثمارها واستعمالها وتوجيهها وجهة صالحة تنفي خبثها وتزكي آثارها وينم الناس بشراستها — وبما قيدها به من قيود ووضع لها من أغلال تحول بينها وبين سوء استعمال وآثارها وحقوقها تنفضي إلى الحد من تضخمها وبما حملها من حقوق لتسكين النفوس النائرة وكبت الرغبات الحاقدة وتوجيهها وجهة الخير والمصلحة الجماعية .

الخير فلا يكون فيها مواساة فقير ولا سد حاجة محتاج ولا صلة لقريب ولا تفريج لكربة ولا مساهمة في عمل بر فيتحلوا بها على الناس أو عليهم وعلى أنفسهم وفي مثل هذه الحال يقول الله تعالى : «والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون» (التوبة ص ٣٥) .

وأرباب هذه الأموال هم البغيضون المقتوتون تسلبهم الناس بالسنة حداد فبدت البغضاء من أفواههم وما نخفي صدورهم أكبر . وربما أدى ذلك إلى الثورة عليهم فسلبهم الناس أموالهم وأذاقوهم حتفهم .

الحال الثانية : — أن يكون المال وسيلة إلى تلويت صاحبة وتدنيس نفسه إذا ما مدله في ملكه فاستكفر منه واتخذته وسيلة لنيل مآربه وملاذاته وشهواته ومظاهر ترفه ولهوه وشيوع مثل هذا في الأمة يمزق وحدتها ويوهن قوتها وفي ذلك يقول الله تعالى : « وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا » (الإسراء ص ١٦) .

الحالة الثالثة — أن يسيء المالك استعمال حقوقه فيما يملك فيجاوز فيها الاستعمال

منفعة يستغل بها غيره ضرب الشارع على يديه وبناء على ذلك منع احتكار الطعام وما في معناه ومنع رفع أثمان الضروريات إلى حد إرهاق الناس فلا يجوز مجاوزتها حدود الاعتدال في الربح وذلك بقسميرها بالسعر الذي لا يضر ويحقق الربح المعتدل المعروف بين الناس على ما يراه كثير من العقهاء كما منع مالك العقار أن يتصرف فيه تصرفاً يؤذي جاره ويضره ضرراً فاحشاً وأن يأبى عليه أن ينتفع بعقاره بما جرى به عرف الناس من غير ضرر به وكذلك منع مالك السلاح أن يبيعه لأهل البغي والفساد والفتنة ومنع الموصي في ماله أن يضر بوصية ورثته وهكذا وبناء على ذلك قرر المبدأ القاضي بمنع صاحب الحق من إساءة استعمال حقه .

ومن أدل الآثار على ذلك ما روى عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : ( لا يمنع جار جاره أن يغرز خشبة في جداره ) رواه أحمد وابن ماجه وما روى من قضاء عمر للضحاك بن خليفة الأنصاري بامداد الخنيسج في أرض محمد بن مسلمة وذلك حين أراد الضحاك أن يشرح خليجاً من القريص « واد بالمدينة » إلى أرضه ليرى منه فلم يقدر إلا أن يمره في أرض محمد بن مسلمة فأبى عليه محمد ذلك فقال له الضحاك لا تمنعني وهو لك منهمة تشرب منه

في سبيل نفاتها واستقرارها واستثمارها بين أسباب اكتسابها واستثمارها واستسها على القراض ومنها أن تقوم على باطل أو خداع أو غرر أو تدليس وأن يكون منها اعتصاب أو سلب أو أكل مال بلا عوض لا عن طيب نفس حتى لا يكون منها ما كان عن إكراه أو استغلال لضرورة محتاج أو ضعف عقل وتمييز وفي قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم وما أخرجنا لكم من الأرض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بأخذه إلا أن تفضضوا فيه » البقرة ٢٦٧ ، دلالة على وجوب تجنب الملكية كل ما فيه خبيث يرجع إلى طريقة تملكه أو إلى فساد فيه إذ أن غايتها الاتفاق منها وإذا امتنعت الغاية وحرمت لم يكن للوسيلة محل ولا اعتبار .

هذا وفي تحديد وسائل اكتسابها وسلامتها هل الوضع الذي شرعه الإسلام حائل دون فضخ الثروات عادة إلا ببطء فلا تقسح الفوارق فيها بين الأفراد إلا قليلاً وفي سبيل الحلولة دون إساءة استعمالها قيدها بعدم الإضرار بالناس كافة وعدم الإضرار بالأفراد كالجار وغيره إلا إذا كان الضرر أقل مما يصيب المالك من منعه وفي ذلك يقول صلى الله عليه وسلم ( لا ضرر ولا ضرار ) رواه أحمد وابن ماجه وعلى ذلك إذا ابتغى المالك بملكه

أولا وآخره ولا يضرك فأصر على إباته فرفع الضحك أمره إلى عمر رضي الله عنه فدعا محمد بن مسلمة فسلمه وأمره أن يتلى سبيل ابن عمه يرمي الماء فأبى فقال له عمر: لم تمنع أخاك ما ينفعه وهو لك نافع تسقى أولا وآخره وهو لا يضرك؟ فقال محمد لا والله فقال عمر والله ليمرن ، لو على بطنك وأمر عمر الضحك أن يمر به ففعل (الموطأ ج ٦ ص ٤٧) والخراج ليحيى بن آدم (١١١) وبمثل ذلك قضى عمر أيضا لعبد الرحمن بن هوف فقد روى عمرو بن يحيى المازني عن أبيه أنه كان في حائط جده وبيع وساقية ، لعبد الرحمن بن عوف فأراد عبد الرحمن بن عوف أن يحوله إلى ناحية من الحائط هي أقرب إلى أرضه فمنعه صاحب الحائط فسكاهم عبد الرحمن بن هوف عمر في ذلك فقضى لعبد الرحمن بتحويله غير أنه بمنع صاحب الحائط ، للبدستان ، إذ لم يرد بمنعه إلا الضرر (الموطأ ج ٦ ص ٤٧) .

وفي سبيل الحد من ضخامتها وتسكين النفوس الحاقدة الشائرة لحرمانها والرغبات الطامنة المتطلعة إليها أوجب الصدقات والصلوات فجعل منها ما هو واجب في المال ومنها ما هو أمر مرغوب حض عليه ولم يصل به إلى مستوى الأمر الواجب المفروض - ففرض الزكاة وجعلها ركنا من أركان الدين وأوجبها في النعم السائمة وفي الذهب والفضة وفي أموال التجارة على اختلاف أنواعها عقارا كانت

أم منقولا وفي الثمار والزرع وأوجب الخس في الغنائم والإتفاق على الأهل والولد وذريته اقربى وأوجب الخراج على الأرض الخراجية وأوجب المساهمة في نفقات ما يعرض للأمة من ضرورات وما ينزل بها من نوازل وما تتطلبه من مصالح وما يجب لها من عده للدفاع أو لحفظ الأمن والنظام والمساهمة في إطعام الجائع وإغاثة الملهوف وفك الأسير وعلاج المرضى من الفقراء المعوزين إذ لم يكن في بيت المال ما يكفي لذلك وقد أشهد إلى هذا في قوله تعالى: (ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين) وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة (البقرة ١٧٧) ، وكذلك أوجب قرى الضيف عند الحجة على ما ذهب إليه بعض الفقهاء لأنار وودت في ذلك (المحلى ج ٩ ص ١٧٤) ، وإلى ذلك كله حض القرآن في هذه الفضيلة كثيرة العدد مختلفة الأساليب فمنها آيات آرة مثل قوله تعالى: (أو تفقراني سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة وأحسنوا أن الله يحب المحسنين) (البقرة ١٩٥) ، وآيات مرغبة مثل قوله تعالى: (والذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم) (التوبة ٣٦) ، ومثل قوله: (قلوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين)

(المصدر ٤٤) إلى غير ذلك من الأساليب .  
ذلك ما يرجع إلى ما جاء به الكتاب العزيز  
أما ما جاء في السنة فهو من الكثرة بحيث  
أن نشير إلى مثل قوله صلى الله عليه وسلم  
(يقول العبد مالى مالى وإنما له من ماله ما أكل  
فأفنى أو لبس فأبلى أو أعطى فأفنى وما سوى  
ذلك فذهب وتارك للناس) رواه مسلم .  
وعلى الجلة فتوجيه الإسلام في ذلك يرى إلى  
عدم ترغيب الناس في اكتناز المال وحبسه  
وإلى أن الخير لم في إنفاقه في سبيل الله  
وفي ذلك ما رواه أبو ذر إذ يقول ( خرج  
رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً نحو أحد  
وأنا معه فقال : يا أبا ذر قلت : لبيك  
يا رسول الله فقال : ألا كثرون هم الآفلون  
يوم القيامة إلا من قال كذا وكذا عن يمينه  
وعن شماله وقدامه وخلفه وقليل ما هم ثم قال  
يا أبا ذر ، قلت : نعم يا رسول الله بأبي  
أنت وأمي ، فقال : ما يسرنى أن لي مثل أحد  
ذهباً أنفقته في سبيل الله ، أموت وأترك  
منه قيراطين قلت : أو قنطارين يا رسول الله  
قال : بل قيراطين . ثم قال : يا أبا ذر أنت  
تريد الأكثر وأنا أريد الأقل ) . رواه  
الشيخان : وهذا عندما يكون الانفاق حال  
الحياة . أما فيما يوصى به الإنسان بعد الوفاة  
فإن الخير له أن يبقى من أمواله لورثته ما يدفع  
عنهم أن يكونوا حالة على غيرهم . وفي ذلك  
يقول صلى الله عليه وسلم لسعد بن أبي وقاص

وهو مريض يريد الوصية : ( الثلث والثلث  
كثير . إنك أن تذر ورثتك أغنياء خير  
من أن تتركهم عالة يتكففون الناس ) رواه  
الشيخان ومما تقدم يرى أن الشارع حين أقر  
الملكية الفردية لم يقرها مطلقة في آثارها  
بل أقرها مقيدة بقيود عديدة أريد  
بها تخليصها من شرورها وأخطائها وتوجيهها  
الوجهة السليمة التي تعطي معها فتكون خيراً  
محضاً لصاحبها وصالحاً لمجتمعها . وذلك  
ما يتسق مع ما قدمناه من أنها نوع من  
الحلقة يقوم فيها الفرد خليفة عن مجتمعه  
أو عن الله سبحانه وتعالى وذلك ما يستوجب  
مسئالته مساءلة الوكيل أمام موكله وإلزامه  
بألا يحيد عما قيد به وعما أوجبه عليه من  
واجبات أراد بها الخير لخلق الله والصالح لم  
وذلك هدف الشريعة وغايتها كما يدل على ذلك  
مثل قوله تعالى : ويريد الله بكم اليسر ولا يريد  
بكم العسر ، ( البقرة ١٧٥ ) وقوله تعالى :  
وما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن  
يريد ليطهركم . ولينعم نعمة عليكم واعلمكم  
تشكرون ، المائدة ١ وقوله تعالى قل إنما حرم  
ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم  
والبغى بغير الحق ، ( الأعراف ٣٣ ) ولهذا  
الغرض قيدت الملكية الفردية لتخلص من  
آثارها وسيئاتها وينعم الناس بخيرها .  
( للبحث بقية )

على التقدير

# المجتمع الاشتراكي في ظل الإسلام

للأستاذ عبد الرحيم فوده

الاستغلال الحلال للمال

- ١٠ -

بيان ذلك في مقال سابق ، وهذا يستتبع أن تكون حرية التصرف فيه بالقدر المناسب الذي لا ينشأ عنه ضرر أو ضرار ، فقد قال صلى الله عليه وسلم لا ضرر ولا ضرار ، وقامت أحكام الإسلام كلها على هذه القاعدة الشرعية العامة المرعية ، ومن ثم كان حق الشفعة وحق الارتفاق ، وحق الفقراء في أموال الأغنياء ، وحق ولي الأمر في أن يفرض من الضرائب ما يشاء ليحقق بها مصلحة عامة ، أو يسد بها حاجة مهمة للأمة كان ذلك كله ، وما إليه من مظاهر النسبية في الملكية الفردية ، والنسبية في حرية تصرف المالك ، ومعنى ذلك بعبارة أصرح وأوضح أن الملكية الفردية ليست مطلقة ، وأن حرية تصرف المالك فيما يملك ليست مطلقة ، وعلى هذا الأساس كان استغلال المال محدودا بالحلال ، ومعناه أن يكون بالطرق التي أحلها الله وبينها كتابه وسنة رسوله :

معنى استغلال المال استخدامه فيما يعود على صاحبه بالنفلة ، وهي المنفعة أو الثمرة أو الأجرة ، وإن حق المالك أن يستغل ماله وينيه بالطرق التي يرى فيها مصلحته مادامت لا تعارض مع المصالح العامة ، ولا تؤدي إلى ضرر يحقق بغيره ، ولا تنحرف به أو ينحرف بها إلى مآثم أو محرم ، لأن حرية تصرف المالك فيما يملك هي معنى الملكية أو النتيجة الطبيعية لمعنى الملكية ، ولكن الحرية لا يقصد بها السفه أو البله أو إطلاق العنان لذوات الشيطان ، أو تعدى حدود التقصد إلى البنى والطغيان ، ولهذا أمر الله بالحجر على السفهاء كما يفهم من قوله تعالى : « ولا توفو السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياما ، وذكر أن المبذرين كما يقول سبحانه « إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا » .

١ - فالتجارة طريق مشروع من طرق الاستغلال الحلال كما يفهم من قول النبي

ثم إن ملكية الإنسان للمال إنما هي ملكية نسبية ناقصة لا ملكية حقيقية تامة كما سبق

كل منهما في الربح والخسارة ، النصف أو الثلث أو الربع أو أقل من ذلك أو أكثر أما الاتفاق على نصيب عدد مضمون لصاحب المال لا يزيد بزيادة الربح ولا ينقص بنقصه ولا يتحمل المال نصيبه في الخسارة إن أصيب المشروع بخسارة ، فهذا مما لا يبيحه الإسلام بل يجعل هذا النوع من الاستغلال الحرام ولا شك أن استغلال المال في هذا النوع السليم من المعاملة يفتح له مجالات واسعة ، في شركات الأسهم المتنوعة .

٣ - وإذا كان المال أرضا زراعية فلصاحبه أن يستغله بعدة طرق ، كأن يتعهدها بنفسه فيصلحها ويحلب للآباء إليها ، ويتولى زرعها وسقيها ورعايتها حتى تخصب وتؤتي أكلها ، وله أن يعطيها لمن يزرعها بآلته وبذره وحيوانه على أن يكون له نسبة مما يخرج منها كالنصف أو الثلث أو الربع حسبما ينعقد عليه اتفاقهما ، وهذا النوع من الاستغلال يسمى مزارعة أو مساقاة أو مخابرة ، والأصل فيه عمل النبي صلى الله عليه وسلم كما ورد في الصحيحين ، فقد عامل أهل خيبر بشرط ما يخرج منها من زرع وثمر ثم عمل به الخلفاء الراشدون من بعده وحمل به أهل المدينة حتى قيل إنه لم يبق من المدينة أهل يبيع إلا حمل به : أما إجارة الأرض بنقد معين معلوم فقد أجازها كثير

صلى الله عليه وسلم : « الجالب مرزوق ، والمحتكر ملعون ، واسكن التجارة في الإسلام مشروطة بالتراضي بين البائع والمشتري ، فإذا خرجت من ذلك إلى استغلال الحاجة واختزان السلع ليشهد الطلب عليها ويرتفع سعرها ، وتباع بثمان مرتفع ، دخلت فيما يفهم من قوله تعالى : « ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل » ، ودخل أصحابها في مفهوم قوله صلى الله عليه وسلم : « والمحتكر ملعون ، وقوله عليه السلام : لا يحتكر إلا خاطيء » ، وقد بين صلى الله عليه وسلم حال المحتكر بقوله : ( بئس العبد المحتكر إن سمع برخص ساءه وإن سمع بغلاء فرح ) ومن ثم كان على الدولة أو ولي الأمر أن يتدخل لمنع الاحتكار والتلاعب بالأسعار ، تطبيقا لقاعدة لا ضرر ولا ضرار وتحقيقا لمصلحة المجموع التي تقدم على مصلحة الأفراد .

٢ - والقراض أو المضاربة من طرق الاستغلال الحلال ، وهو نوع من التعاون على أساس عادل بين العمل ورأس المال ومعناه أن يشترك صاحب المال بماله مع العامل بعمله أو بجزء من ماله وعمله في مشروع من المشروعات المصنافية أو الزراعية أو التجارية ، فإذا ربح المشروع الذي تعاقدوا عليه اشتركا في الربح وإذا خسر اشتركا في الخسارة حسبما اتفقا عليه من نسبة

## المجتمع الاشتراكي في ظل الإسلام

٢١٧

لها والخسارة عليهما ، وقد أجز هذا النوع من الشركة بطريق القياس على الشيء الموهون فقد روى البخاري عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « الظاهر يركب بنفقته إذا كان مرهونا ، وابن الدري شرب بنفقته إذا كان مرهونا ، وعلى الذي يركب ويشرب النفقة ، وقد علق الأستاذ يوسف القرضاوي على هذا الحديث في كتابه القيم « الحلال والحرام » فقال : في هذا الحديث جعل النبي صلى الله عليه وسلم النفقة على الحيوان مقابل ركوبه إذا كان ذا ظهر يركب أو مقابل لبنه إذا كان ذا در ي حلب ، وإذا جاز هذا في الرهن لحاجة التعامل واستيثاق الناس بعضهم من بعض — مع أن قيمة النفقة على الحيوان قد تكون أقل أو أكثر من قيمة ما يتففع به من ركوبها أو درها — فلا بأس أن نبيز مثل ذلك في شركة الحيوانات التي ذكرناها لحاجة الناس إليها وهذا الذي استتجنه من هذا الحديث وأى خاص لنا ، أرجو أن يكون سداداً .

وأما الاشتراك في العجول الصغيرة التي لا يتففع فيها بعمل ولا لبن على أحاس أن يكون الثمن من جانب . والنفقة من جانب . فإن قواعد الإسلام تأبى إباحة ذلك . لأن الطرف المنفق يغرم وحده دون مقابل يعود عليه من عمل أو لبن ، والطرف

من الفقهاء ، ومنهما آخرون ولكل وجهة لا يتسع المقال للحديث عنها وتفصيل القول فيها ، ولا شك أن أفضل الطرق التي تتبع في استغلال الأرض بصفة عامة هي منحها لمن يزرعها ، فقد قال صلى الله عليه وسلم : من كانت له أرض فليزرعها أو لينحها أخاه وعن جابر رضي الله عنه قال : كنا نخابر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم . فنصيب من القصرى (١) ومن كذا ، وكذا فقال النبي صلى الله عليه وسلم : من كانت له أرض فليزرعها أو ليحرثها أخاه وإلا فليدعها . — وإذا كان المال حيواناً . فاستغلاله بالتربية والتغذية لاقتاج اللبن أو الصوف أو التسمين أو إنسال العجول حلال مشروح ويجوز كراء الدواب في مختلف الأعمال التي يحتاج فيها إلى الدواب من حرث أرض ونقل أمتعة وإدارة آلة كالساقية ونحوها ، وقد قيل كلام كثير حول الشركة في تربية الحيوان والمواشي ، ولم يجد بعض العلماء بأساً في هذه الشركة ، إذا دفع أحد الطرفين ثمن الحيوان أو الماشية على أن يقوم الطرف الثاني بالنفقة عليها ورعايتها ويتففع في مقابل ذلك بلبنها أو عملها في حرثه ثم يكون الربح

(١) القصرى بضم القاف أو كسرهما ممدودا ما يبقى من الحب في نثره أو شيا به بعد الدوس أو الدوس .

الآخر هو المستفيد الغانم على حساب هذا ، وليس ذلك من العدل الذي يتحراه الإسلام في كل صور المعاملات .

ويظهر أن الأستاذ فضل عن جانب من الصورة الأخيرة كان ينبغي ألا يغفله أو يهمله ، فإن صاحب المال قد يفرم المال كله إذا نفق العجل والمجول التي اشتراها ولا يتحمل الطرف الثاني من الغرم إلا ما أنفق أو بذل من عمل في التربية والتغذية ، وقد تكون خسارته في هذه الحال ضئيلة قليلة بالنسبة إلى خسارة صاحب المال ، ومع هذا فإنني لا أسمح لنفسي بالحكم على هذا النوع من الشركة . وقد يكون حكم الأستاذ الفاضل أقرب إلى الورع منه إلى العدل والإنصاف ، ولعلنا نسمع كلمة مجمع البحوث في هذا الموضوع .

أما استغلال المال في بناء المساكن والاتقاع بتأجيرها فلم يقل أحد بمنعه ، ولكن لولى الأمر - متى رأى جوراً في الاستغلال - أن يتدخل لمنعه ورده إلى حده الذي يجب أن يقف عنده ولا يتعداه وهكذا نرى استغلال المال بالطرق التي ذكرناها حلالاتاً لا إثم فيها ، وليس معنى ذلك حصر الاستغلال في هذه الطرق ، ف شراء الآلات الزراعية والصناعية والسيارات وما إليها واستخدامها فيما يحقق لأصحابها الخير والمنفعة ويجلب لهم مزيداً من الربح والكسب كل هذا حلال مشروع ما لم يخرج إلى أكل أموال الناس بالباطل واستغلال حاجتهم ، والثراء على حسابهم .

ويلاحظ مع كل هذا أن استغلال المال واستثماره في الوجوه المشروعة النافعة قد ورد الأمر به حتى لا تأكله الزكاة ، ثم هو إلى ذلك سبيل إلى أداء ما فرضه الله علينا من العبادات المالية ، وما أكثرها في شريعة الإسلام وما أجدرها بأن تشرف بها القيم الفاضلة للاشتراكية العادلة ؟

عبد الرحمن فودة

وما المال والأهلون إلا ودائع

ولا بد يوماً أن ترد الودائع

، لبيد ،

# الذوق الأدبي

## كما يراه ابن خلدون

### للأستاذ علي العماري

- ٢ -

به الملسكة من شعر على الطبقة ، وجميع متساو في الإجابة ... حتى مسائل اللغة والنحو ، وأيام العرب ، وأنسابهم ، وأخبارهم العامة ، كل ذلك قصد بدراسته الاستعانة على فهم كلام العرب ، وأساليبهم ومناحي بلاغتهم ؛ لأن الملسكة - كما يقول ويردد - لا تحصل من حفظه إلا بعد فهمه ، فيحتاج إلى تقديم جميع ما يتوقف عليه فهمه .<sup>(١)</sup>

والملسكة تتبع نوع المحفوظ ؛ لأن النفس وإن كانت واحدة في حيلتها - تختلف في الناس بالقوة والضعف في الإدراكات ، واختلافها إنما هو باختلاف ما يرد عليها من الإدراكات ، فالملسكة الشعرية تنشأ بحفظ الشعر ، وملسكة الكتابة بحفظ الأبحاث والكلام المرسل ، والملسكة العلمية تنشأ من غاطلة العلوم والإدراكات والأبحاث . والفقيه من غاطلة الفقهاء ، وتظهر المسائل ، وتخرج الفروع على الأصول .. وهكذا .

ولطرق تعليم الناشئة أثره في تربية الملسكة أو تعطيلها ، وعند ابن خلدون أن حفظ القرآن وحده لا ينشأ عنه - في الغالب - ملسكة

(١) المقدمة ص ٥٥٣ .

ويعضى ابن خلدون في حديثه عن الملسكة غير أن كل ملسكة تحتاج إلى أمور : ممارسة العمل ، وتكرار هذه الممارسة ، ثم طبع سليم يساعد على تكوين الملسكة .

فلا بد لتكوين ملسكة البلاغة من حفظ كثير من جيد الكلام العربي ، شعره وخطابته ، ورسائله ، وتفهم هذا الكثير ، ثم لا بد أن ينصرف المتأدب - بعد ذلك - في التعبير عما في ضميره على حسب عباراتهم ، وتأليف كلامهم ، وما وطاه وحفظه من أساليبهم ، وترتيب ألفاظهم ، وكلما ازداد حفظه واستعماله ازدادت الملسكة وسوخاً وقوة ، على أنه يحتاج - مع ذلك - إلى سلامة الطبع ، والتفهم الحسن لمنازع العرب وأساليبهم في التراكيب ، ومراعاة التطبيق فيها وبين مقتضيات الأحوال .

وعندما يتحدث ابن خلدون عن علم الأدب لا يرى له ثمرة إلا تربية الذوق ، ذلك الذوق الذي به يدرك إعجاز القرآن ، فشعره عند أهل اللسان الإجابة في فن المنظوم والمنثور فهم يجمعون من كلام العرب ما عساه تحصل

وليس ذلك لانه كان يلزمهم أن يحتذوا  
فصرفوا عنه ، وإنما ذلك لأن الاحتذاء  
لكل أثر أدبي احتذاء تاما يجعل عمل المحتذى  
ساقطا .

وابن خلدون يرى أن الذي يقتصر في  
حفظه على القرآن لا ينشأ عنده ملكة ،  
وبذلك يعطل قصور أهل أفريقيا والمغرب  
عن ملكة اللسان جملة باقتصارهم على دراسة  
القرآن ، ويقول إن أهل أفريقية أخف في  
ذلك من أهل المغرب ، لأن هؤلاء يخلطون  
في تعليمهم القرآن بعبارات العلوم ، وأما  
أهل الأندلس فقد أقدموا التمكن في التعليم ،  
وكثرة رواية الشعر والترسل ، ومدارسة  
العربية من أول العمر حصول ملكة صاروا  
بها أعرف في اللسان العربي ، وقصروا في سائر  
العلوم لعدمهم عن مدارسة القرآن والحديث .  
وقد رقت طويلا عند هذه العبارات  
لابن خلدون ، فقد سبق هذا الكلام بقليل  
قوله : « وأما أهل الأندلس فذهبهم تعليم  
القرآن والكتاب من حيث هو ، وهذا هو  
الذي براعونه في التعليم ، إلا أنه لما كان  
القرآن أصل ذلك وأساسه ، وضيع الدين  
والعلوم جعلوه أصلا في التعليم ، فلا يقتصرون  
لذلك عليه ، بل يخلطون في تعليمهم الولدان  
رواية الشعر في الغالب ، والترسل وأخذهم  
بقوانين العربية ، وحفظها . »

وحلل ذلك بأن البشر مصروفون عن الإتيان  
بمثله ، فهم مصروفون لذلك عن الاستعمال  
على أساليبه ، والاحتذاء بها .

هذا رأيه ، وهذا تعليقه . ولو أننا  
تفاضلنا عن رأيه في صرف العرب عن  
الإتيان بمثل القرآن لأن هذا موضوع طويل  
الذيول لكان لنا أن نقول إنه ليس معنى  
الملكية الاحتذاء الكامل لأسلوب من  
الأساليب ، وإن أسرف ابن خلدون في  
التمسك بهذه النظرية ، وأكثر من ترديدها  
حتى عهد المتنبى وأبا العلاء خارجين عن  
أصول الشعر العربي لأنها لا يجريان على  
أساليب العرب في نظمهم ، وإنما معنى الملكية  
أن دراسة الكلام الجيد تمكن الكاتب  
صاحب الطبع الموهوب أن ينشئ كلاما  
جيدا ، ولا يلزمه أن يحتذى في كل خصائص  
الكلام ما درسه ، وتخرج عليه ، فليس يحتم  
— مثلا — لمن أطال النظر في كلام الجاحظ  
أن يكون أسلوبه كأسلوب الجاحظ حذر  
القذة بالقذة ، وإنما قد يساعده هذا على  
تكوين ملكة ، فيكتب بأسلوب لعله ما كان  
في العربية إلى عهد الجاحظ ، كما تشاهد ذلك  
في كثير من كتابنا الذين استقرت لهم  
أساليب عرفوا بها .

والذين حفظوا القرآن من شعراء العربية  
وخطبائها وكتابها لم يحتذوا أسلوب القرآن ،

## الدوق الأدبي

٣٢١

أو العباد الإصم - اني لنزول طبقة هؤلاء . من أولئك (١) .

وعنده أنه نهياً للإسلاميين من حفظ الكلام الجيد بالم نهياً للجاهليين ، فالإسلاميون حفظوا من القرآن والحديث ومن كلام أهل الجاهلية في حين أن هؤلاء لم يحفظوا هذا كله ، ورتب على ذلك أن الشعراء الإسلاميين من أمثال عمر بن أبي ربيعة والخطبة وجريرو والأحوص وحسان بن ثابت وبشار أرفع طبقة في البلاغة من الشعراء الجاهليين أمثال النابغة وعترة وزهير ؛ وكلام الإسلاميين في نظمهم ونثرهم أحسن ديباجة ، وأصنر روقاً ، وأرصف مبنى ، وأهدل ثقيفاً من كلام الجاهليين ، ثم يحتكم أخيراً إلى الطبع والدوق فيقول : والطبع السليم ، والدوق الصحيح شاهدان بذلك للناقد البصير بالبلاغة ، ويعود فيقول : وتأمل ذلك يشهد لك به ذوقك إن كنت من أهل الدوق والبصر بالبلاغة ، ويذكر أنه حدث بذلك شيخه أبا القاسم قاضي غرناطة لعنه ، وكان - كما يقول - شيخ هذه الصناعة ، استبحر في علم اللسان ، وجاء من وراء الغاية فيه ، قال : سألت يوماً ، ما بال العرب الإسلاميين أهل طبقة في البلاغة من الجاهليين ؟ ولم يكن ليستنكر ذلك بنوهم ، فسكت طويلاً ، ثم قال لي : والله ، ما أدري ،

فرايته - فيما بد لي - يرجع عما قاله ، ثم رجعت إلى نفسي فقلت لعله أراد - أولاً - من جعل القرآن أصلاً ، ومن تعلم القرآن من حيث هو تحفيظه للولدان دون دراسة شيء من علومه كالتفسير والبلاغة والنحو ، وهو ما أراد في عبارته الثانية ، وأياً ما كان فأهل الأندلس - في الحقيقة ، وكما يرى ابن خلدون - أهل أدب بارع ، أو مقصر ، هل حسب اختلاف الدراسة والطبع .

ويظهر من كلامه أن هناك تعليمياً أولاً ، وهو تعليم العربي ، وتعليمياً ثانياً ، وهو تعليم الولدان في عصر الشيبية ، وربما فسر لنا ذلك بعض ما يقرأ من التفاضل بين بعض عباراته .

ويسلمه المنطق ، والتحميد العلي .  
والخضوع إلى التعليقات النظرية البحتة إلى قضية أبدى رأيه فيها بكل صراحة ووضوح .

فقد أصل هذا الأصل ، وهو أن جودة الملكة بجودة المحفوظ ارتفاعاً وانخفاضاً ، فهو يرى - مثلاً - أن من كان محفوظه شعر حبيب أو المتأني ومن في طبقتهم ، أو رسائل ابن المقفع أو سهل بن هارون ومن في طبقتهم تكون ملكته أجود وأهل مقاماً ورتبة في البلاغة ممن يحفظ شعر ابن سهل من المتأخرين أو ابن الزبيبي أو ترسل الياساني

فالمعاني موجودة عند كل واحد ، وفي طوع كل فذكر منها ما يشاء ويرضى ) وهو بالطبع تابع في ذلك للفظيين من أمثال الجاحظ وأبي هلال وابن رشيق ، وقد ردد كلمة الجاحظ ، المعاني مطروحة في الطريق ، يعرفها المعنى والعربي وإنما الشأن في إقامة الوزن . إلخ .

وثاني هذه الملاحظات أن آخر عباراته يدلنا على هذا الخلق الذي كان يسيطر على ابن خلدون ، والذي ظهر في كثير من كتاباته عن نفسه ، وخاصة في كتابه ( التعريف ) وهو خلق الإعجاب بالنفس ، فشيخه قاضي غرناطة أنفى ثناء مستطابا على رأيه هذا ، وكان بعد ذلك يؤثر محله ، وهو يلقى أول درس في مصر بالمدرسة القمحية ، ويصف هذا الدرس ويقول في ختام وصفه : وانفض ذلك المجلس ، وقد سبقتني العيون بالتجلة والوقار .

وكذلك يقول حين يتولى كرسى الحديث في مدرسة صرغتمش ، ويلقى أول درس فيها ، ويختم حديثه قائلا : وانفض ذلك المجلس وقد لاحظتني بالتجلة والوقار العيون ، واستشعرت أهليتي للنائب القلوب ، وأخلص في ذلك الخاصة والجمهور .

وكان لهذا الخلق مظهر آخر تحدث عنه ابن حجر فقال : كان ابن خلدون يتمسك

فقلت : أعرض عليك شيئاً ظهر لي في ذلك ، ولعله السبب فيه ، وذكرت له هذا الذي كتبت ، فسكت ، مجاباً ، ثم قال لي : بإفقيه (١) ، هذا كلام من حقه أن يكتب بالذهب ، وكان من بعدها يؤثر محلي ، ويصيح في مجالس العلم إلى قولي ، ويشهد لي بالنباهة في العلوم .

وقبل أن تناقش هذا الرأي نحب أن نفسير إل بعض ملاحظتنا على كلام ابن خلدون هذا .

فأول ما نلاحظه أن مدار البلاغة عند ابن خلدون على اللفظ ، فقد جمل وجه التفضيل بين الجاهليين والإسلاميين الديباجة الحسنة ، والرواق الصافي ، ويدخل في هذا ما يشير به إلى الصنعة من مثل المبنى المرحوف ، والتثقيف المعتدل ، وهذه الكلمة الأخيرة واضحة الدلالة على أن ابن خلدون يؤثر الصنعة على الطبع ، فالتثقيف والتهديب للشعر أعدل عند الإسلاميين .

وهو يصرح في موضع آخر بأن فضيلة الكلام ترجع إلى اللفظ حيث يقول في أول الفصل السابع والأربعين : ( اعلم أن صناعة الكلام نظماً ونثراً إنما هي في الألفاظ لا في المعاني ، وإنما المعاني تبع لها ) ويقول بعد أن يسير قليلاً في هذا الفصل : ( وأيضاً

(١) كان لقب الفقيه عند أهل الأندلس أعلى الألقاب العلمية .

## الذوق الأدبي

٢٢٢

خدش وجه ملكته ، تلك التي استعد لها بالمحفوظ الجيد من القرآن والحديث وكلام العرب .

ولعل ذوق شيخه أبي القاسم لا يسمو كثيراً من ذوقه .

وليس يقف المحفوظ مهما جاد وكثر أمام الطبع الصافي ، وقد انفقت كلفة النقاد على أن أحسن أشعار الأمم ما قالته أيام بداوتها ، وأن السر في ذلك هو صفاء الطبع وسلامته ، وقد قالها الناقد العربي الأصيل واضحة قوية ، ذكر الأموي في كتابه ( الموازنة بين الطائيين ) أن ( الذي يورده الأعرابي ، وهو محتذ على غير مثال أحلى في النفوس ، وأشهى إلى الأسماع ، وأحق بالزيادة ، والاستزادة مما يورده المحتذون على الأمثلة ) . . . وقد أخذ هذا الكلام من الجاحظ حيث يقول : ليس في الأرض كلام هو أمتع ولا أنقى ، ولا ألد في الأسماع ، ولا أشد اتصالاً بالعقول السليمة من حديث الأعراب العقلاء الفصحاء والعلماء البلغاء <sup>(١)</sup> .

ومن عجب أن ابن رشيق - ولعل ابن خلدون نظر إليه - يفضل الصنعة على الطبع ، فيرى أن البيت المصنوع إذا كان في جودة المطبوع كان أفضل ، ويقول : ولنا فدفع أن البيت إذا وقع مطبوعاً في غاية الجودة ، ثم وقع في

بزيه المغربي ، ويأبى أن يرتدى زى القضاة لا شيء سوى حبه المخالفة في كل شيء .

قلت : وأهل رأيه في الجاهليين والإسلاميين من هذا ، من حبه المخالفة في كل شيء .

وثالث هذه الملاحظات أنه فضل الإسلاميين جملة ، هؤلاء الذين عاصروا النبي صلى الله عليه وسلم ، والخلفاء الراشدين ، والذين عاصروا الدولة الأموية ، وسعدراً من الدولة العباسية ، على الجاهليين جملة ، فكل واحد من أولئك يفضل كل واحد من هؤلاء . فبشار - مثلاً - أعلى طبقة في البلاغة من أي شاعر جاهلي ... وهكذا .

ورابع هذه الملاحظات أن ابن خلدون اعتمد - في حكمه - على شيئين ، طبقة الجودة في المحفوظ وكثرته ، ثم الذوق السليم .

ثم نعود بعد هذه الملاحظات إلى مناقشة رأي ابن خلدون فنرى أنه وقع في أخطاء . أولاً : اعتماده على ذوقه ، وهو ذوق أدبي متهم لأن الرجل خلط محفوظه من الشعر والنثر بكثير من قوانين العلوم . فقد حفظ - كما حدث عن نفسه - قصيدتي الشاطبي الكبير والصغير في القراءات ، وتدارس كتابي ابن الحاجب في الفقه والأصول ، وجل الخرنجي في المنطق ، وبعض كتاب التسهيل ، وشهد هو بأن ذلك المحفوظ من قوانين التعليم الذي امتلأت به ذاكرته قد

(٤) البيان والتبيين ج ١ ص ١٤٥ ط هارون.

ابن رشيق وحلى باباً من أبواب كتابه -  
كما يقول :

ولناخذ على سبيل المثال بعض أبيات من  
قصيدة الصمة بن عبد الله القشيري :

قفنا ودعا نجداً ومن حلى بالحنى  
وقل لنجد عندنا أن يودعا  
بنفسى تلك الأرض ما أطيب الربا  
وما أحسن المصطاف والمقربا

بسكت عيني اليسرى فلما زجرتها  
عن الجهل بعد الحلم أسبلتاً معا  
وأذكر أيام الحى ثم أنثى  
على كبدى من خشية أن تصدعا

فأين أبيات مولى ابن رشيق الساذجة من  
هذا الشعر الرائع المطبوع ، كبده بجروحة  
من فراق الأحبة ، وقد تمنّتهم شوقاً إليهم  
وصبوة ، عسى الله أن يحقق لها أمنيتها ،  
وعينه جفاها النوم ، واعتادها البكا ، وإذا  
حضر ذكر الوطن استهلّت ، إن كل هذه  
المعاني البسيطة الساذجة لا تعدل كلمة واحدة  
من شعر الصمة ، وأين استهلال العين بالبكاء  
إذا ذكر القيروان بما أبدع به الصمة في البيت  
الآخر ؟

أنا لا أنهم ابن رشيق بالتعصب لذلك  
المولى ، ولكنى أنهم ذوق ابن رشيق نفسه  
في هذا الموضع على الأقل .

معناه بيت مصنوع في نهاية الحسن لم تؤثر  
فيه الكلفة ، ولا ظهر عليه التعمّل كان  
المصنوع أفضلهما (١) .

وهو كلام غريب ، ولا يعتد به - في رأيي -  
إلا الأدباء الذين غلبت الناحية العلمية على  
أذنانهم ، أما أصحاب الأذواق الأدبية  
الخالصة فلا يؤثرون على الطبع شيئاً ، في أى  
فن من الفنون المسموعة أو المنظورة .

ويؤيد اتجاه ابن رشيق هذا أنه أورد ثلاثة  
أبيات لبعض الرؤساء يتشوق فيها إلى أهله ،  
وقال إن أحداً إن يزيد عليها شيئاً ولو كان  
أمرأياً يتشوق إلى نجد ، وكأنه شعر بأنه  
منهم في حكمه ، ولكنّه - أى ابن رشيق -

رأى الحق فعرّفه ، وهذه هي الأبيات :  
ولى كبده مسكومة من فراقكم  
أطامتها صبراً على ما أجنّت  
تمنّتمكم شوقاً إليكم وصبوة  
عسى الله أن يدنى لها ما تمنّت  
وعين جفاها النوم واعتادها البكا  
إذا عن ذكر القيروان استهلّت

وقد أكثر شعراء العرب من الحنين إلى  
نجد ، وجاءوا في ذلك بأشعار غاية في الرقة  
والطبع ، ولن يسع صاحب الذوق السليم  
إلا أن تعاربه هذه الأبيات التي زين بها

(١) المجلد ج ١ ص ٨٥ طبعة أولى .

## الدوق الأدبي

٢٢٥

على أن المعاني الجاهلية في دقتها ووضوحها لا تقل روعة عن المعاني اللاحقة بها ، ولا واثقك فضل سبق حين يشترك المعنيان أو يتقاربان ، ولا تقول - في المحدثين - كما كان يقول أبو عمرو بن العلاء : ( ما كان من حسن فقد سبقوا إليه ، وما كان من قبيح فهو من عندهم ، ليس النمط واحدا ، ترى قطعة ديباج ، وقطعة مسح ، وقطعة نطع ... )<sup>(١)</sup> .

بل تقول : إن للشعراء في كل عصر من المعاني الجديدة ما لا يخطر على سبوقهم على بال . وقد وقف الشاعر هند معنى لأبي نواس ، وأشاد بشعر هذا الشاعر ، ووصفه بهودة السبك ، وجودة الطبع ، والحدق في الصنعة . وقال : إن الذي لا يخضع لعصية يفضل أبا نواس ، فإن اعترضته العصية لا يبصر الحق من الباطل .

والمعنى الذي وقف عنده الجاحظ هو وصف أبي نواس لكلاب الصيد بأنهم ( يرفعن ما لم يقع ، وهو معنى جميل - ولا شك - ولكن الذي أوجب الجاحظ - كما هو واضح من كلامه - إنما هي الناحية اللفظية ، ولا اعتراض لنا على ما قاله في أبي نواس ، ولكن ، أليس وصف امرئ القيس أفرسه بأنه ( مكر ، مفر ، مقبل ،

وثاني أخطاء ابن خلدون أنه لم يمر المعنى أية هناية ، وجعل الشأن كله للفظ في حين أنه لو نظر إلى المعاني ، وفاضل بين الجاهليين والإسلاميين فيها لوجد مجال القول أمامه مقسما ، فقد كان يمكن أن يقول - مثلا - إن الإسلاميين وجدوا من اتساع الحياة أمامهم ، ومن تغير نظام المعيشة ، ونظام الحياة السياسية والاجتماعية ما يسر لهم من المعاني ما لم يعرفه الجاهليون ، كان يمكن أن يقول شيئا مثل هذا فيجد من يصيخ إلى قوله ، ويؤمن على حكمه .

لكنه وقف عند اللفظ ، وجاء بقشبيه غير سليم حين شبه المعاني بالماء والالفاظ بالأواني التي منها آنية الذهب والفضة والصدف والزجاج والخزف ، فالجسود تختلف في الأواني المملوءة بالماء باختلاف جنسها باختلاف الماء ، لأنه واحد ، وقاس على ذلك جودة اللغة وبلاغتها في الاستعمال فإنها تختلف باختلاف طبقات الكلام في تأليفه ، والمعاني واحدة في نفسها .

وأنا - والله - ما أدري ، كيف يذهب عن هذا العبقرى النابغة أن المعاني تختلف أيضا ، وأن الذي يوضع في الأواني ليس نوعا واحدا من السوائل ، وإنما يوضع فيها الماء والخمر والزيت والنفط ، وما إلى ذلك .

(١) العمدة لابن رشيق - ١ ص ٥٧ . ط أولى .

مدبر ، معا ) لا يقل روعة ودقة ، وحسن أداء هن معنى أبي نواس ، وإن كانت كلمة أبي نواس - عندي - أحلى .

أصدق طبعاً ، والطبع مقدم على الصنعة في كل فن ، وأن المعانيهم وقفاً في القلب ، ولم فضل السبق بها ، وأن من جاءوا بعدهم ربما فضلوهم باتساع المعاني وجدتها ، وبذلك يبدو لنا ضعف الحكم الذي ذهب إليه ابن خلدون .

نعم ، للحدثين معان كثيرة لا ترى لها شبيهاً في الشعر الجاهلي ، ويحضرني منها الآن وأنا أكتب هذا البحث معنى جميل لإبراهيم ابن العباس الصولي في وصف قصر ليلة من من ليالى السرور :

وسواء التفتنا إلى المعاني أم لم نلتفت إليها فإن هذه المدرسة التي أنشأها الجاحظ ، وكان من تلامذتها العسكري ، وابن رشيقي ، وابن خلدون يرون أن المولد ( أرق حركاً ، وأحسن ديباجة ) .

وايلة من الليالى الزهر

قابلت فيها بدرها بيدري

لم تك غير شفق وجفر

وثالث أخطاء ابن خلدون أنه ذكر في الشعراء الإسلاميين الذين فضلهم على الجاهليين سيدنا حسان بن ثابت ، والنقاد يكادون يجمعون على أن شعر حسان نفسه كان في الإسلام أضيق منه في الجاهلية ، فكيف يفوق حسان من سبقوه ، وهو لم يفق - وهو مسلم - نفسه ، وهو جاهلي .

حق نولت وهي بكر الدهر

فقد تغن الذين سبقوه في وصف أيام السرور ولياليه بالقصر ، ولكن واحداً منهم - فيما أعلم - لم يقع على هذا المعنى ( لم تك غير شفق وجفر ) .

وقد يكون هذا وجهاً من وجوه تفضيلهم على الجاهليين ، ولكن ابن خلدون وسلفه ومشايخه لا يرون لأحد فضلاً عن طريق المعاني ، مع أن ابن خلدون انساق مع الطبقة حين حكم على شعر الربانيات والنبويات بأنه قليل الجودة لأن معانيها متداولة (١) .

رابع هذه الأخطاء أن ابن خلدون لم يجهل لغیر المحفوظ دخلاً في المفاضلة ، وهو تحجير واسع ، لأن لنبوخ الشاعر وتقدمه أسباباً كثيرة غير نوع المحفوظ لعل في مقدمتها ما منحه الشاعر من طبع ، وما يفاض عليه من أسرار ؟

والذي أريد أن أؤكد، هنا أن الجاهليين

على العمارة

## غزوة أحد بين القرآن والشعر

للدكتور أحمد عبد الله

- ٣ -

حمل بنو عبد الدار اللواء ، وقد رأينا  
هند امرأة أبي سفيان تحرضهم على الثبات  
في الميدان ، ورأينا أحدهم يرتجز موطناً  
نفسه على صدق القتال .

وكان ذلك ، بدون ريب ، مجالاً للمشركين  
فياء حسان ، وحاول أن يجد منفذاً يقلل به  
من شأن هذا الفخر ، فرة يعترف لبني  
عبد الدار بالشجاعة والشهامة والصبر على  
القتال حتى ماتوا ، ولكنه يعير قريشاً  
بأنها لم تستطع حماية اللواء ولا حمله بعد أن  
سقط من يدي بني عبد الدار ، بل مضوا  
من الميدان يفرون في خفاء ، وقد كان ذلك  
في أول المعركة عند ما كان النصر في جانب  
المسلمين ، واستمع إليه يقول متحدثاً  
عن صبر بني عبد الدار ، وانهمام بني مخزوم :

وهو طليحة بن أبي طلحة دفع أحد الشعراء  
إلى مدح علي بقوله :  
فه أي مذهب عن حرمة  
أعني ابن فاطمة الميم الخولا  
سبقت يدك له بعاجل طعنة  
تركت طليحة للجبين مجدلاً  
وشددت شدة بأسل ، فتركتم

بالجر إذ يهون أجدل أجدلاً  
وكان آخر من حمل اللواء صواب ، وهو  
غلام لبني عبد الدار حبشي ، أخذ اللواء ،  
وقاتل به حتى قطعت يده ، ثم برك عليه ،  
فأخذ اللواء بصدرة وهنة ، حتى قتل عليه ،  
ولي البأس منكم إذ حضرتم  
أسره من بني قصي صميم  
تسعة تحمل اللواء ، وطارت  
في رعا من القنا مخزوم  
لم يولوا حتى أبيدوا جميعاً  
في مقام : وكلهم مدموم

وكان قتل أصحاب اللواء بحال نحر السكع  
ابن مالك ؛ لأن حملة اللواء يكونون سادة  
الناس وأشرافهم ، إذ يقول :

أبلغ قريشاً ، وخير القول أصدقه  
والصدق عند ذوى الألباب مقبول  
أن قد قتلنا بقتلنا سرانكم

أهل اللواء ، ففيا يكثرو القيل  
أما نحر المشركين بمن قتلوا من المسلمين  
يوم أحد فقد قابله شعراء المسلمين ؛ نحر مثله  
بمن أصابوا من المشركين يوم بدر ، فالجرب  
دول ، ويوم بيوم ، وإذا كانوا قد أصابوا  
يوم أحد من المسلمين ، فقد أصاب المسلمون  
منهم كذلك في تلك المعركة ؛ فتسمع حسان  
يرد على نحر ابن الزبيرى ، ويقول له :  
إن هذا الفخر مصدره ما ذهب بلبه من وقعة  
بدر التي تفضل هذه المعركة ، وتدل على بسالة  
المسلمين وشجاعتهم ، ولقد كان النصر لنا  
في أول المعركة ، حيث فررتهم أمام قوة بأسنا  
قال حسان :

ذهبت بابن الزبيرى وقعة  
كان منا الفضل فيها لو هدل  
ولقد نلتم ، ونظنا منكم  
وكذلك الحرب أحيانا دول  
نضع الأسياف في أكتافكم  
حيث نهوى هلالا بعد نهل  
إذ تولون على أعقابكم  
هربا في الشعب أشباه الرسل

بدم عاتك ، وكان حفاظاً  
أن يقيموا ، إن الكريم كريم  
وأقاموا حتى أزيروا شعوباً

والقنا في نحرهم عطوم  
وقريش تلوذ منا لوإذا  
لم يقيموا ، ونخف منها الخلوم

لم تطلق حملة العواتق منهم  
إنما يحمل اللواء النجوم  
وهكذا وجد حسان في ترك اللواء ملقى  
لم يحمله رجل من قريش بعد أن سقط من يدي  
بنى عبد الدار بجالا للفض من قريش ، كما وجد  
في هربهم في أول المعركة بجالا للخط من شأنهم  
وإضعاف ما افتخروا به من أثبات  
حول اللواء .

وحينا يجد حسان في حمل ، صواب ، اللواء  
بجالا للذم لا للفخر ، إذ يقول :  
نخرتم باللواء ، وشر نخر  
لواء حين رد إلى صواب  
جعلتم نخركم فيه لعبد

من الأم من يطا هفر التراب  
أقر العين أن عصبت يدها  
وما إن تمصبان على خضاب  
أما الحارثية التي رفعت اللواء بعد  
صواب ، ففضلها عليهم لا ينكر ، فلولاها  
لأصبحوا أرقاء يباهون صبيدا في الأسواق .  
فلولا لواء الحارثية أصبحوا  
يباهون في الأسواق يبيع الجلائب

إذا شددنا شدة صادقة  
فأجأناكم إلى صفح الجبل  
رجال لستم أمثالهم  
أبدوا جبريل نصراً فزل  
وعلونا يوم بدر بالتقى  
طاعة الله ، وتصديق الرسل  
وقتلنا كل رأس منهم  
وقتلنا كل حجاج رقل  
وتركنا في قريش هورة  
يوم بدر ، وأحاديث المثل  
ويتحدث عبد الله بن رواحة عن بدر ،  
وعمن سقط صريعاً من رؤساء المشركين  
فيقول :  
وقبل اليوم ما عرفوا ، وذاقوا  
وقائعنا بها يشفي الغليل  
نسيت ضربنا بقلب بدر  
غداة أتاكم الموت العجيب  
غداة ثوى أبو جهل صريعاً  
عليه الطير جاثمة نجسول  
وعتبه وابنه خيراً جميعاً  
وشية عضه السيف الصقيل  
ومتركنا أمية مجلباً  
وفي جزوه لدن نبيل  
وهام بن ربيعة سائلوها  
ففي أسافنا منها فلول  
فاذا كان أبو سفيان وغيره من شعراء

قريش يفتخرون على حمزة فها هو ذا كعب يمدد  
بعض من أصابوه يوم بدر ، كما فعل حسان  
أيضا ، وهو يرد على أبي سفيان ، ويقول :  
ذكرت القروم الصيد من آل هاشم  
ولست لزور قلته بمصيب  
أتعجب أن أقصدت حمزة منهم  
نجيباً ، وقد سميت بنجيب  
ألم يقتلوا حمزاً ، وعتبة وابنه  
وشية ، والحجاج ، وابن حبيب  
غداة دعا العاصي علياً ، فراه  
بضربة غضب به بخضب  
ويفخر كعب بن مالك بأنهم قد انتصروا  
بالملائكة في يوم بدر :  
ويوم بدر لقيناكم لنا مدد  
فيه مع النصر ميكال وجبريل  
ويذكر حسان أنهم في معركة أحد أيضاً  
قد قتلوا بعض صناديد الشرك ، كما قتل بعض  
صناديد المسلمين ، إذ يصف جند الرسول  
قائلاً :  
بأيديهم بيض إذا حش الوغى  
فلا بد أن يردى لمن صريع  
كما غادرت في النقع عتبة ثاويًا  
وسعداً صريعاً ، والوشيج شروع  
وقد غادرت تحت العجاجة مسنداً  
أبياً وقد بل القميص نجيع  
بكف رسول الله حيث تنصب  
على القروم بما قد يثرون قروع

رمام بها المشركون ، فهذا ضرار بن الخطاب  
يتحدث عن مصرع حمزة ، وأنه كان عندما  
سقط في الميدان كأنه :

حوار ناب ، وقد ولي صحابته

كما تولى النمام الهارب الشرذ  
وحسان يرد على ذلك بأن الحق سوف  
يتضح ، فتتأخر أمامه هذه الدهوى الكاذبة ؟  
لأن الأوس والخزرج ثبثوا في الميدان ،  
ودافعوا دفاعاً مجيداً ، وما كان منهم جبان  
ولا هيب ، وذلك إذ يقول :

وقل : إن يكن يوم بأحد يمهده

سفيه فإن الحق سوف يفيح  
فقد صابرت فيه بنو الأوس كلهم

وكان لهم ذكر هناك رفيح  
وحامى بنو النجار فيه ، وصابروا

وما كان منهم في اللقاء جزوع  
ولذلك أكثر شعراء المسلمين من وصف  
شجاعتهم التي ورثوها عن آبائهم ، وسيورثونها  
أبنائهم من بعدهم ، يقول كعب بن مالك :

فإن كنت عن شأنا جاهلا

فسل عنه ذا العلم بمن يلينا  
بنا ، كيف نفعل إن قلصت

عوانا ، ضروسا ، عضوضا ، حجونا  
السنا نشد عليها العصا

ب ، حتى تذر ، وحتى تلينا

أولئك قوم سادة من فروعكم  
وفي كل قوم سادة وفروع  
فكأنه يقول لهم : إن أصبتم منا في معركة  
أحد فقد أصبنا منكم فيها .

وافترش شعراء الإسلام بالصبر في الحرب  
وبأنهم يتحملون نتائجها في شجاعة وثبات ،  
فلا يستطيع شيء أن يفت في عضدهم ، يقول  
كعب بن مالك مجيباً هبيرة بن أبي وهب :

ونحن أناس لا نرى القتل سبة

على كل من يحمي الفئار ويمنع  
جلاد على ريب الحوادث لا نرى

هل هالك عينا لنا الدهر تدمع  
بنو الحرب ، لا نعيأ بشيء نقوله

ولا نحن مما جرت الحرب نخرج  
بنو الحرب إن نظفر فلسنا بفحش

ولا نحن من أظفارها تتوجع  
والشاعر بذلك يؤكد الأعداء أنهم

يستقبلون الهزيمة من غير أن ينهار لهم هزم ،  
أو تتضع لهم إرادة ، بل إنهم يستعدون  
لجولة جديدة ، مطمئنين إلى النصر فيها ،  
يقول عبد الله بن رواحة :

ألا من مبلغ عنا أويا

فبعد اليوم دائرة تدول  
وقبل اليوم ما عرفوا وذاقوا

وقائنا بها يشفي الغليل  
وعنى شعراء المسلمين برد تهمة الحرب التي

ويوم له رمج دائم  
 شديد التأول حامي الأربنا  
 تخال الكاة بأهراضه  
 ثملاً على لذة مزفينا  
 تعاور أيمانهم بينهم  
 كئوس المنايا بمد الظبينا  
 شهدنا ، فكنا أولى بأسه  
 ونحت العاية والمعلينا  
 وعلنا الضرب آباؤنا  
 وسوف نعلم أيضاً بنينا  
 حديث شعراء المسلمين عن الشجاعة  
 يدفعون به تهمة الفرار من ميدان القتال .  
 وظهر الفخر بالعقيدة الجديدة عند شعراء  
 المسلمين ؛ فرأينا حسان بن ثابت يعترف  
 بنصرة رسول الله ، ويعير قريشاً بكفرهم ،  
 ويعلم أن الكافر والمسلم ليسا سواء ،  
 فيتحدث عن الأوس والخزرج ، وأنهم .  
 أمام رسول الله ، لا يخذلونه  
 لم ناصر من ربهم وشفيع  
 وفوا إذ كفرتم يا سجين بربكم  
 ولا يستوى عبد وفي ومضيع  
 كما يذكر لهم أن قتل المسلمين في الجنة ،  
 وقتلام في النار :  
 فلا تذكروا قتل ، وحمزة فيهم  
 قتيل ثوى لله ، وهو مطيع  
 فإن جنان الخلد منزلة له  
 وأمر الذي يقضى الأمور سريع  
 وقتلهم في النار أفضل رزقهم  
 حيم مما في جوفها وضرب  
 ويقول كعب بن مالك :  
 وأشياح أحمد إذ شابهوا  
 على الحق ذي النور والمهج  
 فإبرحوا يضربون الكاة  
 ويمضون في القسطل المرمج  
 كذلك حتى دعاهم ملك  
 إلى جنة دوحة الموج  
 أولئك ، لا من ثوى منكم  
 من النار في الدرك المرمج  
 بل ظهر أثر العقيدة الجديدة في الترحيب  
 بالموت في سبيل الله ، يقول :  
 إن تقتلونا فدين الحق فطرتنا  
 والقتل في الحق عند الله تفضيل  
 ويقول أيضاً مخاطباً المشركين :  
 فخرتم بقتلي أصابتهم  
 فواضل من نعم المفضل  
 خلوا جناناً ، وأبقوا لكم  
 أسوداً تحامي عن الأشبل  
 فهو يرى القتل فضلاً يمنحه الله من يستشهد  
 في سبيل دينه ، وذلك أثر العقيدة الجديدة  
 التي جاء بها القرآن الكريم ؟  
 والبحث بقية ،  
 دكتور أحمد أحمد بدوي

# رسالة المسجد في نشر الثقافة والحضارة

للأستاذ أحمد الشراصي  
(تتمة البحث)

ومع أن تعليم الجموع والكبيرة من  
الصبية أو الفتية قد انتقل من المسجد إلى  
المدرسة ، فقد ظل الارتباط بين المسجد  
والمدرسة قائما ، بحيث نجد العادة تجري  
بأن تلحق بالمسجد مدرسة ، وظل التشابه  
بين المسجد والمدرسة قويا ، فهناك مدرسون  
يعينون في المساجد ، وهناك أئمة أو مؤذنون  
يعينون في المدارس ، فكأن المدرسة مسجد  
وكان المسجد مدرسة .

يقول الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده  
في كتابه الإسلام والنصرانية مع العلم  
والمدينة ، هذه العبارة :  
« إن التعليم عند المسلمين كان غريبا أمره  
بأن يكون خفيا سره : مسجد أو مدرسة  
تابعة لمسجد ، مجلس فيها للتدريس الفقيه  
والمسكلم والمحديث والنحوي والمتأدب  
والفيلسوف والفلكي والمهندس ، ينتقل  
الطالِب من بين يدي الفقيه ليجلس بين يدي  
الفيلسوف ، ومن مجلس الحديث إلى مجلس  
الأدب ، وإذا وقعت مذاكرة بينهم في مسألة  
من المسائل أخذت الحرية مأخذها في الإقناع

بين المسجد والمدرسة :  
تنقل التعليم في المجتمع الإسلامي في أماكن  
متعددة ، فهناك الكتاب ، أو المكتب ،  
الذي بدأ منذ عهد بعيد لتعليم القراءة  
والكتابة ، وتحفيظ القرآن الكريم ، وهناك  
قصور الخلفاء والأمراء ومنازل العلماء ،  
وهناك حوانيت الوراقين ، وهناك المساجد  
والجوامع والزوايا والخلاوي ، ثم كانت  
هناك المدرسة .

وقد بدأ التعليم في المسجد ، ثم انتقل إلى  
المدرسة ، وذلك لمنع الضجيج الذي يحدث  
في أثناء التدريس ، وللحفاظ على وقار  
المسجد وإبعاده عن حدة المحاور والمناقشة  
ولكي يجد المعلمون في المدارس وظائف  
يخترقونها ويرتقون منها ؛ لأن التعليم  
في المساجد يقوم على النطوق والاحتساب ،  
فالرسول صلى الله عليه وسلم كان يحسب حين  
يُعلم ويثقف الناس في المساجد ، والصحابة  
اقتدوا به في ذلك ، وكذلك التابعون وكان  
لصحابة يرون أن أخذ الأجر على تعليم  
القرآن أمر مكروه .

وهناك المدرسة القمحية التي أنشأها صلاح الدين سنة ست وستين وخمسة بجوار جامع عمرو . ومسجد الإمام الشافعي كان أصله مدرسة تسمى بالمدرسة الصالحية ، بناها صلاح الدين سنة خمس وسبعين وخمسة بجوار قبر الإمام الشافعي .

وهناك المدرسة الأقباقية الملحقة بالجامع الأزهر الشريف ، وقد أنشأها الأمير علاء الدين أقباسنة أربعين وسبعائة ، وهناك المدرسة الطبرسية الملحقة أيضاً بالجامع الأزهر الشريف ، أنشأها الأمير علاء الدين طبرس الحازندري سنة تسع وسبعائة . وهاتان المدرستان تشغلها الآن المكتبة الأزهرية ، الموجودة على يسار الداخل من باب الجامع الأزهر الشريف ، وفيه ول كتاب تاريخ الجامعات الإسلامية الكبرى ، هتما :

، وهاتان المدرستان تمثلان تطوراً في حياة المسجد والمدرسة معاً ، فقد أصبحت المدرسة هي المعهد العلي المفضل ، وهي تمثل أيضاً نوماً جديداً من الجامعات يتحد فيها المسجد بالمدرسة ، وقد أكد هذا من صفة الأزهر العلمية ، وأصبح مسجداً تعليمياً دائماً ، تعاونه في عمله كلياتان ملحقتان به ، وهو أمر لم يكن معروفاً في المسجد من قبل .

ويحدثنا التاريخ عن المدرسة الناصرية بجوار الجامع العتيق في مصر ، وكذلك المدرسة القمحية وكانت خاصة بفقهاء المالكية والمدرسة الصرغتمشية الملاصقة لجامع ابن طولون بناها

والإلزام ، وسقطت قيمة الفسول في التعبير ، وأخذ التسامح بينهم مأخذه .

وينبغي أن نلاحظ هنا أن المدارس بصورتها النظامية قد تأخر إنشاؤها في المجتمع الإسلامي ، وأول مدرسة منظمة - وهي المدرسة النظامية ببغداد المنسوبة إلى الوزير نظام الملك من السلاجقة - أنشئت وتمت سنة سبع وخمسين وأربعمائة ، فكان المسجد ظل هذه القرون السابقة لهذا التاريخ يقوم بواجب التثقيف والتعليم .

ولقد قلت : إن المدرسة كانت تقوم بجوار المسجد في العادة ، وعلى ذلك عشرات من الأدلة والأمثلة فهناك المدرسة المستنصرية ببغداد التي أنشئت بين عامي ٦٢٥/٦٣١ هـ كان فيها إيوان لكل مذهب يوجد به المسجد وتوضع التدريس ، وهناك مسجد ديوبندي ، ومدرسته في تركيا ، تم سنة ست وعشرين وسبعمائة ، ومعه مدرسة وتعلو جميع أروقة الجامع والمدرسة قبوات وتقع المدرسة خلف جدار المحراب ، وبناؤها من طراز بناي الجامع . وهناك مدرسة صيرت جالي بقونية ، بتركية ، أسست سنة أربعين وسبعمائة ، وتتألف هذه المدرسة من إيوان لبيت الصلاة ، به محراب تحف به قاعتان لكل منهما قبة . وهناك مسجد إينجه ، ومدرسته بقونية في تركيا ، وهناك مدرسة وجامع قرامين ، من العصر السلجوقي في إيران ، تمها سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة .

بنائها أن الأمير حسن الظاهري من أمراء الماليك كان قد بنى المدرسة القديمة للملك الظاهر خشقدم ، ثم بعد وفاته سأل الملك الأشرف قايتباي قبولها ، فقبلها منه ونسبها إليه ، ورتب لها شيخا وصوفية وفقهاء ، وصرف لها المعاليم .

ثم حضر الملك الأشرف قايتباي إلى القدس في سنة ٨٨٠ هـ فلم تعجبه ، وهدمها وأنشأ أخرى مكانها أوسع مساحة وأغنى بناء .

وبما أننى . حول المساجد من المدارس المدرسة الناصرية التي سميت فيما بعد بالغازالية لإقامة الإمام أبي حامد الغزالي بها . وقد أعاد إنشائها الملك المعظم عيسى الأيوبي ، وجعلها زاوية لقراءة القرآن ، ووقف عليها كتبها من جملتها إصلاح المنطق لابن السكيت ، وذلك سنة ٦١٠ هـ . قال مجير الدين المقدسي : وقد دثرت الزاوية المذكورة في عصرنا ولم يبق لها نظام ، وتوفي المقدسي هذا سنة ٩٢٨ هـ - فتلك إذن حالها في مطالع القرن العاشر الهجري .

والمدرسة المنحوية على طرف صحن الصخرة من جهة القبلة إلى الغرب ، بناها الملك المعظم عيسى الآنف الذكر ، وكان بناؤها سنة ٩٠٤ هـ . والمدرسة التنكزية ، واقفها الأمير تنكز الناصري نائب الشام في العصر المملوكي ، وهي مدرسة عظيمة ليس في المدارس أتقن من بنائها - كذا يقول المقدسي .

والمدرسة السكرية ، بناها كريم الدين

الأمير سيف الدين صرغتمش الناصري سنة سبع وخمسين وسبعمائة ، ومدرسة السلطان حسن كانت مدرسة وجامعة ، وهي التي تسمى الآن جامع السلطان حسن ، ومدرسة الظاهر برقوق ، كانت تستخدم كمدرسة وخانقاه ، ثم صارت تستخدم مسجدا للصلاة .

وهناك مدرسة الصهرج بفاس ، بناها الأمير أبو الحسن بن أبي سعيد ، وموضعها غربي جامع الأندلس من حضرة فاس ، والمدرسة العظمى أو مدرسة العطارين بفاس ، يازام جامع القرويين ، أشرف على إنشائها الشيخ أبو محمد عبد الله بن قاسم المزوار ، والمدرسة العظمى بمراكش قبلي جامع ابن يوسف .

وهناك المدرسة المصباحية بفاس ، التي أنشأها السلطان أبو الحسنة ثنتين وأربعين وسبعمائة ، وموضعها جوف جامع القرويين وسميت بهذا الاسم نسبة للفقير أبي الضياء مصباح بن عبد الله الياسوتي الذي كان يتولى التدريس بها ، وتسمى أيضا مدرسة الرخام .

ويتحدث كتاب د تاريخ الجامعات الإسلامية ، عن المسجد الأقصى وتاريخه ، ثم يسرد المدارس التي أنشئت حوله بقوله : وفي العصرين الأيوبي ثم المملوكي أنشئت بداخله وحوله عدة مدارس أكدت صبغته العلمية ، وجعلت منه جامعة إسلامية كبرى ، أهمها المدرسة الشريفة السلطانية الأشرفية داخله ، بالقرب من باب السلسلة ، وسبب

رسالة المسجد

٢٣٥

عرفت نظام المكتبات منذ عهد بعيد ،  
والمكتبة منبع ثرار عظيم للثقافة والحضارة  
وقد جاء في الجزء الثالث من كتاب تاريخ المدن  
الإسلامي ، ما نصه : « وكانوا يجعلون في كل  
جامع خزانة كتب للطلالة أو الاستنساخ » .  
ولو أردنا أن نأخذ صورة متكاملة عن  
رسالة المسجد في نشر الثقافة والحضارة لكان  
من واجبا أن نتبع الجهد التعليمي التي  
صدرت عن المساجد الكبيرة المشهورة التي  
يعد كل منها جامعة وهي : المسجد الحرام ،  
والمسجد الأقصى ، والمسجد النبوي بالمدينة  
والمسجد الأموي بدمشق ، والمسجد الجامع  
بالبصرة ، والمسجد الجامع بالكوفة ،  
والمسجد الجامع بالفسطاط ( جامع عمرو )  
و جامع الزيتونة بتونس ، والمسجد الجامع  
بالقيروان ، و جامع انصوري بغداد ، والجامع  
الاعظم بقرطبة ، و جامع القرويين ، و جامع  
ابن طولون ، والجامع الأزهر الشريف ،  
وقبة علي بالنجف بالعراق ، وغيره مما غاب  
عن الذاكرة .

إن هذا الموضوع طريف وواسع ونافع  
حين تقبفه وتجميع كل ما يتعلق به ، وإذا  
كنت وضعت على طريقه فتديلا متواضعا ،  
فاني آمل أن تتابع من خلفه فتاديل وثریات  
تضيء وتنير ، وتمتع وتفيد ، وعلى الله  
قصد السبيل .  
أحمد الترمذي

عبد الكريم من رجال الدولة المملوكية بالقرب  
من باب يسمى باب حطة .

ولا شك أن ارتباط المساجد بالمدارس ،  
على هذا النحو الذي قدمنا له عشرات من  
الأمثلة ، يدل على ارتباط رسالة المساجد  
برسالة المدارس ، كما يدل على أن كلا من  
المسجد والمدرسة كان يؤثر في الآخر ويتعاون  
معه ويكمل رسالته ، وبخاصة في مجال التوعية  
والتوجيه والتثقيف الديني والدنيوي .

ولقد كان للمسجد تأثير آخر في لون من  
ألوان الحضارة وهو المعمار ، فإن المساجد  
قد اتخذت أشكالا وأنماطا من الهندسة والبناء  
والزخرفة والتصميم والتزيين ، وهذه الأشكال  
صارت قدوة عند الكثيرين في الأبنية المختلفة  
وفي القرن التاسع للهجرة - كما يبين بعض  
المؤرخين - قلب تصميم المدرسة على المسجد  
فأنشئ على طرازها مساجد كثيرة ، ولكن  
تصميم المسجد ظل سائدا جنبا إلى جنب مع  
المدرسة ، وزيد على المسجد إلحاق « السبيل »  
و « الكتاب » به .

ونستفيد من هذا فائدتين : الأولى أن  
المسجد كان له تأثير حضاري من ناحية المعمار  
والزخرفة ، والأخرى أن المسجد كان يرتبط  
بالمدرسة حتى في هذه الناحية ، مما يدل على أن  
المسجد كان يسير جنبا إلى جنب مع المدرسة  
ينشران الثقافة ويبثان ألوان الحضارة .  
ويتصل بالموضوع الذي نعالجه أن المساجد

نظرات في الأدب والتصوف :

# مناجاة الخالق

للأستاذ محمد إبراهيم الجبوري

المناجاة من الأغراض التي انفرد الصوفية بها ، فلم يطرّفها غيرهم ، ولم ينهج صيلها سواهم ، فهم فرسان حلبتها ، وآباء هذرتها وأبناء بجذتها ، لأنها تعبر عن إحساساتهم الرقيقة ، ومشاعرهم السامية ، وعواطفهم الراقية ، وأرواحهم الصافية ، وفلوبهم المتصلة بنور الله ، ترى عظمتهم في كل موجود ، وتحس قدرته في كل ما يقع بين أيديهم ، وتحت أبصارهم .

والادب الحى وليد الإحساس المرتفع ، وصدى الانفعالات النفسية الصادقة ، وبقدرة ما يهبها لهذه المشاعر والأحاسيس من صدق وتجارب مع ما تحس به ، بقدر ما يكون رقى الأثر الأدبي الذي يعبر عنها ، وما يمتاز به من علو ، وما يحفل به من رؤى شعرية سامية ، ونماذج فنية تكون قدوة تهتدى ، وأمثلة تراعى .

ومن أبداع ما أثر عن الصوفية من هذه الألوان مناجاتهم لخالقهم وتوسلاتهم لبارئهم ، فهي غنية بالقوى الجبارة ، والذخائر الحية ، وإن قوبلت بالإهمال ، ولم تحظ بما تستحق .

من تقدير ، وما تتمتع به من أثر فعال في ترقية الأحاسيس ودفع النفوس إلى السمو والصفاء في الخلق والروح .

وهذه هي الوظيفة الأصلية الأولى للأدب ، وهل كان الأدب في يوم ما إلا مأملاً من عوامل سمو الخلق وعلو النفس ، وهذا هو الذي دفع هرير الخطاب رضى الله عنه إلى أن يقول : ( وروا أبنائكم ما حسن من الشعر ، فإنه يعلم مكارم الأخلاق ) وما روى عن خلفاء الأمويين في هذا المعنى .

وقد يتبادر إلى الظن أن في هذا تعالياً بقيمة الأدب الصوفي ، وإلباسه ثوباً فضفاضاً ، ويكفى لدفع هذا الظن أن نقف على آثارهم ، ونزقب معاهدة النماذج العالية ، حين تلقى بأسماعنا إلى هذه التريمة السماوية الرائعة ، ثم تتحسس نفوسنا حين تتلى لئرى إن كانت لا زالت على الأرض أو ارتقت إلى السماء ، يقول ابن عطاء الله في حكمة مناجياً مستغنياً .

إلهي : أنا الفقير في غناي ، فكيف لا أكون فقيراً في فقرى ؟

أن ماله من عمل لا قيمة له بمجانِب فضل الله  
سبحانه فيقول :

إلهي : كلما أخرسني لؤي أنطقني كرمك  
وكلما آيستني أوصاني أطمعني منتك .

من كانت محاسنه مساوي ، فكيف  
لا تكون مساويه مساوي ؟

ومن كانت حقائقه دعاوي ، فكيف  
لا تكون دعاويه دعاوي ؟

إلهي : كيف يستدل عليك بما هو  
في وجوده مفتقر إليك ؟ أيبكون لنفوسك  
من الظهور ما ليس لك ، حتى يكون هو  
المظهر لك ؟ متى غبت حتى نحتاج إلى دليل  
يدل عليك ؟

ومتى بعدت حتى تكون الآثار هي التي  
توصل إليك ؟

إلهي : أمرت بالرجوع إلى الآثار ،  
فارجعني إليها بالأنوار ، وهداية الاستبصار ،  
حتى أرجع إليك منها كما دخلت إليك مصون  
للسر عن النظر إليها ، مرفوع الهامة عن  
الاعتماد عليها ، إنك على كل شيء قدير .

إلهي : منك أطلب الوصول إليك ، وبك  
أستدل عليك ، فاهدني بفؤدك إليك ،  
وأقني بصدق العبودية بين يديك .

تراه في هذه الفقرات يتلهم على الوصول  
إلى الله ، ثم يتحاور متفلسفا فيقول :

إلهي : أنا الجاهل في علمي ، فكيف  
لا أكون جهولا في جهلي ؟

إلهي : وصفت نفسك بالالطف والرافة بي  
قبل وجود ضعفي ، أتمنعني منهما بعد  
وجود ضعفي ؟

إلهي : متى ما يليق بلؤي ، ومنك ما يليق  
بكرمك .

إلهي : إن ظهرت المحاسن مني فبفضلك ،  
ولك المنة على ، وإن ظهرت المساوي  
فبعدمي ولك الحجة على .

ما أنا أتوسل إليك بفقرتي إليك ،  
وكيف أتوسل إليك بما هو محال أن يصل  
إليك ؟

أم كيف أشكو إليك حالي وهي لا تخفى  
عليك ؟

أم كيف أترجم لك بمنالي ، وهو برز  
إليك ؟

أم كيف تخيب آمالي ، وهي قد برزت إليك ؟  
أم كيف لا تحسن أحوالي ، وبك  
قامت ؟ (١)

ألا ترى معي أن هذه الفقرات معبرة  
أصدق تعبير عن الفكرة الصوفية القائلة  
بأن الخير كله في نسيان الذات ، فهو يرى  
أن من لعبث العسكوى إلى عالمها ، ثم يرى

(١) ثبت المواعب الدينية على شرح الحكم  
المطانية ص ٨٧ ج ٢ .

بعدك فلم تدع لي رجاء ، فليت شعري كيف  
أرى إحساناً مع إحسانك ؟ أم كيف أجمل  
فضلك مع عصيانك (١) .

إعالك بعد قراءة هذا الدعاء قد وثب إلى  
ذهنك الأثر النبوي الشريف ، المؤمن بين  
مخافتين ، وقد سبغ فكرك كيف استطاع  
الصوفية أن يتغلغلوا إلى أعماق هذه الجوامع  
النبوية فيحللونها تحليلًا فلسفياً أدبياً دقيقاً  
رائعاً يأخذ بالألباب ويستهوئ الأفتدة .

وهذا توسل آخر لذى النون المصري :

(إلهي : وسيلتي إليك نعمك ، لي ، وشفيعي  
إليك إحسانك إلى) .

(إلهي : أدعوك في الملا كما تدمي الأرباب ،  
وأدهوك في الخلا كما تدمي الأحباب) .

(أقول في الملا : يا إلهي ، وأقول في الخلا  
يا حبيبي ، أرغب إليك ، وأشهدك بالربوبية  
مقراً بأنك ربي ، وإليك مردي ، ابتدأتني  
برحمتك من قبل أن أكون شيئاً مذكوراً ،  
وخلقتني من تراب) .

وقوله : (إلهي ، ما أصغى إلى صوت حيوان  
ولا حفيف شجر ، ولا خرير ماء ، ولا ترنم  
طائر ، ولا تنعم ظل ، ولا دوى ريح ، ولا  
قعقة رعد ، إلا وجدتها شاهدة بوحدانيتك  
دالة على أنه ليس كمثلك شيء ، وأنت غالب

إلهي : تقدس رضاك عن أن يكون له علة  
منك ، فكيف يكون له علة مني ؟

أنت الغني بذاتك عن أن يصل إليك  
المنفع منك ، فكيف لا تكون غنياً عني ؟

إلهي : إن رجائي لا ينقطع عنك ، وإن  
عصيتك ، كما إن خوفي لا يزالني وإن  
أطمعتك

(إلهي : هذا ذل ظاهر بين يديك ، وهذا  
حالي لا يخفى عليك ، بك أسقصر فانصرني ،  
وعليك أتوكل فلا تنكفي ، وإياك أسأل فلا  
تخيبني ، وفي فضلك أرغب فلا تحرمني ،  
ولجنا بك أنقشب فلا تبعدي ، وببابك  
أقف فلا تطردني) .

خبرني بربك ، ماذا أنت شاعري به من  
المعاني والآحاسيس والانتفعالات بعد أن  
تتلو هذا التوسل الفريد ؟ هل كنت ترى  
بعد هذا مجالاً لإبداع ؟ أو تجد قولاً لقائل ؟  
اللهم لا . غير هؤلاء الصنف من الناس الذين  
سمت أرواحهم فأتت بهذا الضرب من الإعجاز  
في البيان .

وإليك توسلاً آخر لآبي العباس المرسى :  
(إلهي : معصيتك ناديتني بالطاعة ، وطاعتك  
ناديتني بالمعصية ، فني أيهما أخافك ؟ وفي أيهما  
أرجوك ؟ إن قلت بالمعصية قابلتني بفضلك  
فلم تدع لي خوفاً ، وإن قلت بالطاعة قابلتني

لا تغلب ، وعالم لا تجهل ، وحليم لا تسفه ،  
وعدل لا تهجر ، وصادق لا تكذب .  
البتهم خلع محبتك ، وخلعت عنهم لباس  
التزين لفيرك .

إلهي ، فإنني أعترف لك اللهم ، بما دل  
عليه صنعك ، وشهد لك فعلك ، فهب اللهم  
طلب رضاك برضائي ، ومصرة الوالد لولده ،  
ووقار الطعام نينة ، وطلب المزيمة إليك ،  
لأن من يشبهه الولوع باسمك ، ولم يروه من  
ظلمته ورود غدران ذكرك ، ولم ينس جميع  
الهموم وضاء عنك ، ولم يلبه من جميع  
الملاهي تعداد آلائك ، ولم يقطعه عن الأنس  
بغيرك مكانه منك كانت حياته ميتة ، وميتته  
حسرة ، وسروره غصة ، وأنسه وحشة .  
إلهي ، عرفني عيوب نفسي ، وافضحها  
هندي ، لاتضرع إليك في التوفيق للتزهد  
هنا ، وأبتهل إليك بين يديك خاضعا ذليلا  
في أن تغسلني منها ، واجعلني من عبادك الذين  
شهدت أبدانهم ، وغابت قلوبهم تجسول في  
ملكوتك ، وتفكر في صنعك ، ترجع  
بفوائد معرفتك ، وعوائد إحسانك ، وقد

إلهي ، كيف أستزق من لا يرزقي إلا  
من فضلك ، أم كيف أسخطك في رضى من  
لا يقدر على ضرى إلا بتمكينك ، فيا من  
أسأله إيناسا به ، وإيحاشا من خلقه ، ويا من  
إليه التجأ في شدة ورجائي ، ارحم غريبى  
وهب لي من المعرفة ما أزداد به يقينا ، ولا  
تكن لي إلى نفسي الأمانة بالسوء طرفة عين .

ابراهيم الجيوشى

## يظلمني وأرحمه

قال أحد الشعراء :

إني وهبت لظالمى ظلى  
ورأيت أسمى إلى بدأ  
ما زال يظلمني وأرحمه  
وغفرت ذاك له على  
لما أبان بجهله على  
حتى دئت له من الظلم

# الهندوكية

للاستاذ محيي الدين الألواني

الديانة الهندوكية ، أو الهندوسية ، أقدم ديانات الهند ويدين بها الآن ٨٠٪ من مجموع سكانها ، والهندوكية لا ترجع بأصلها إلى نبي معين ، ولا إلى كتاب واحد ، بل نمت على مر السنين ، واستندت إلى عدد من الكتب التي تحمل وتجمع فلسفة الحكماء القدامى ومعرفتهم وتعاليمهم ، التي تحتوي على أفكار عالية وقصص ذات هظاك وعبر ، استلهموها خلال تأملاتهم العميقة المصحوبة بإنكار الذات والتفاني في سبيل معرفة الحق . وأقدم الكتب التي تضم المبادئ الهندوكية

وفلسفتها ونظامها « الفيدا »<sup>(١)</sup> ، وربما هو أقدم الكتب في الدنيا ، ومعنى كلمة « الفيدا » المعرفة لأنها تتضمن المعرفة التي نالها حكماء العصور القديمة والذين كانوا يسمون « ريشيس »<sup>(٢)</sup> ، و « مونيس »<sup>(٣)</sup> ، وقد كتبت في لغة سنسكريتية بالإناشيد والأغاني التي اعتاد الآريون القدماء أن يتغنوا بها ، ويعرف العصر الذي دونت فيه « الفيدا » بالعصر الفيدي ، وأولها أو أسبقها وجوداً

VEDA (١)

RISHIS (٢)

MUNIS (٣)

سيما في منطقة مدراس . بعد انتهاء العصر الفيدي بالهند ظهر ما يسمى بعصر الملاحم لأن الملحميين الكبارتين الهنديتين « الرامايانا » و « المهابهاراتا » اللتين تقصان علينا وقائع الأبطال العظيم ، والحرب العظيم قد كتبتا فيه ، وتفرع من الركفيدا ثلاث من الفيدات وهي « ساما » و « يجر » و « أثر » ، والتحقيق العلمي يدل على أن أطوار الركفيدا من مراحلها الابتدائية إلى دور تكملها ، بعد أن توطدت أركان

The RIGVEDA (١)

## الهندوكية

٣٤١

الفيدا الأربعة كانت تتطلب قرونا عديدة ، وقد أكد كثير من العلماء الباحثين أن تاريخ الفيدا ، الذي يسبق البوذية بألاف السنين ، لمن أقدم التواريخ المتخلقة بالجنس البشرى .  
يحتوى الركفيدا على ثمانين ألف بيت

مع أن خمسة آلاف منها مكررة ، ويقول الزعيم الهندى الراحل جواهر لال نهرو فى إحدى رسائله عن الهند القديمة : « لعل هذه الكتب لم تدون فى أول الأمر ، وإنما حفظت عن ظهر قلب ، وبقيت محفوظة فى صدور الحفاظ من حكام تلك

العصور ، يذقون بها باللسان والمشافة جيلا بعد جيل ، وبعد انتشار نظام الكتابة كتبت الفيدا الأربعة فى اللغة السنسكريتية الكلاسيكية وسمى المجموع « سمها ، أى الديوان المجموع » .

والفلسفة الهندوكية الفيدية تثبت وحدة العالم فى النهاية ، كخلاق الخالق الواحد الذى يقتضى إليه جميع المظاهر المختلفة ، وإليه مصير الكون كله ، ويدعوه الروح الأعظم ، أو الله الأولى . وتهتم كثيرا بالتقدم الفكرى والروحى ، ويبدو من الأدعية الواردة فى الركفيدا مثل الدعاء المسمى باسم « كيانى منترام ، أنها تحت كل عبادة الآلهة العديدة التى يرجى منها البركة والإحسان ، وتدعو إلى تقديم القرابين والتضحيات

وذكر الركفيدا بأن الدولة التى يحكمها ملك فى بلاد معينة ذات حدود ودفاع تدهى راشترا . وإذا لم يكن فيها ملك أو محافظ فيضطر الشعب لانتخابه من بينهم لمواجهة العدو تحت قيادة منظمة ، وعليه أن يفرد

- ١ - كرما ( الأسرة ) .
- ٢ - كرام ( القرية ) .
- ٣ - ديش ( المقاطعة ) .
- ٤ - جنا ( الشعب ) .
- ٥ - راشترا ( الدولة ) .

وأما الأسرة فوحدة تتألف من بضعة نفر يعيشون تحت ريس مائلى ، إما هو الأب أو الأخ الأكبر ، فى مكان تحيط به مزارع الأسرة ومرعى مواشها . والقرية عبارة عن مجموع مائلات تقطن فى منطقة معينة مع ما فيها من المزارع والبيوت والمواشى ، ويكون على رأسها كبير يشرف على شئونها . وأما المقاطعة فتشكل عدة قرى مجاورة مع حدود معينة تفصلها عن شقيقتها الأنهر أو الجبال أو الخطوط الوهمية المعلقة بعلامات ظاهرة .

البلاد إلى أقصاها ، وورد في بعض الكتب المقدسة الهندوكيين أن الهند أى بهارت بمثابة الجنة على الأرض بسبب بيئتها المحركة للروح . وتقول تلك المصادر أيضاً بأن الأم والوطن يفوقان الجنة في العظمة .

والديانة الهندوكية تقسم حياة الفرد إلى مراحل مختلفة :

- ١ - براهما جارى : أى مرحلة طلب العلم .
- ٢ - كراهستا : أى الحياة المنزلية .
- ٣ - بايراستا : أى دور العبادة .
- ٤ - سنياسى : أى مرحلة ينصرف فيها المرء إلى التأمل ، الزهد في الدنيا .

وهندهم أعمار خاصة لكل من المراحل المذكورة . فمرحلة العبادة مثلاً تبدأ والمرء في الخمسين من عمره وهو العمر اللائق - في نظر الهندوكية - لصاحب الأهل والبيت أن ينعزل قليلاً عن متاعب الدنيا ، وينصرف للعبادة ، والمراد بالمرحلة السنياسية الاستعداد للانتهاء من علائق الدنيا الفانية

وكما يكون نظام المراحل في حياة الفرد مطلوباً في الطريقة الهندوكية ، أصبح المجتمع الهندوسى مقسماً إلى أربع طبقات بحكم الولادة في الحياة الاجتماعية وهي : البراهمة ، وتشترين وويسيان ، وشودران وفي كل منها توجد طبقات وطوائف عديدة .

جيش الدفاع بنفسه في وجه الأعداء ، معرضاً نفسه للخطر . وكان يلقى بمقابل خدماته طاعة الرعية والحراج والهدايا والتحف من القبائل ، وأعيان البلد ، مكافأة على إشرافه على كرامة الدولة .

وحسب تعاليم الفيدا يرث الولد أباه ولا ترثه بنته إلا إذا كانت وحيدته ، وتعترف بحق الملكية ، وتبيح التملك في الممتلكات المتفلة كالواشى والخيول والذهب والحلى ، وينص دعاء من الأدعية المروفة الهندوكية على أنه يجب لكل هندوسى أن يتذكر صورة وطنه دائماً ، بل ويعبدها بصفة كونها مجموعة من الأنهر السبعة المقدسة ، وهي :

جنجا ، وبمنا ، وكوداورى ، وسراسوتى ، ونرمدا ، وسند ، وكاويرى ، ومجموع مساحة الأراضي الهندية مقسمة فيما بين هذه الأنهر السبعة الكبيرة . وكما أن دعاء آخر يفرض على الهندوكى أن يتصور موطنه مجموعاً للندن السبع المشهورة وهي :

أيودهيا ، ومتهرا ، ومايا ، وكاش ، وكنجى بورام ، وأوجين ، ودواركا ، والمطلوب من كل هندوسى أن يزور ولو مرة في حياته ، هذه المدن المقدسة التى هى جزء من معتقداته . وما يزيد هذه الزيارة نفعاً أن هذه الأماكن واقعة في مختلف أنحاء البلاد ، فالذى يقوم بها يتنقل من أقصى

## الهندوكية

٣٤٣

الطبق قد بلغ إلى درجة أن بعض الناس يخافون من لمس غيرهم أو مؤاكلتهم ، ولأنه إن دواعى النبطة أن هذه النزعة قد بدأت تقل وتخف حدتها شيئا فشيئا في عصرنا الحاضر .

وله أيضا بيان طريف عن فكرة تقديس الأماكن في الهند القديمة فيقول : « كان الآريون مغرمين بهلال القمر ولهذا اعتبروا كل الأماكن التي على شكل هلال أماكن مقدسة . وكثير من مدنهم الكبرى مثل مدينة ( بناراس ) كانت على شكل هلال وأن نهر الجنج ، المعروف بيدر عند مدينة الله آباد على شكل هلال حيث تلتقي الأنهر الثلاثة المقدسة لدى الهندوكيين وهي الجنج ، ويمنا وسراسوتى .

وكانت الهند الآرية ممتدة من جبال الهالايا إلى سلسلة جبال فيندهيا بشكل هلال ، ومن ثم سموها في كتبهم القديمة ( آريا فارتا ) أى أرض القمر ، فلفظة الهند تعنى القمر ، وهكذا كانت آريا فارتا أرض الهند .

ويقول الفيدا في معرض بيان طريقة أداء القرابين للآلهة التي يرجى منها البركة والإحسان إن الحق واحد يتحقق بطرق شتى ، فلا مانع من عبادة آلهة كثيرة ، وتقديم التضحيات لها ، بقصد التقرب إلى الروح الأعظم ولو اختلفت مظاهره ، وأما أنواع القرابين التي يثحب عليها الركفيدا المذكور فتقديم اللبن

ويقول نهر - ومن المعلوم أنه ينتمى إلى طبقة البراهمة من الهندوكية - في معرض الكلام عن معتقدات الآريين في الهند : « ولفظة الآرى تعنى الرجل الشريف أو إنسانا من نوع أرقى وأهل ، وكان الآريون يحبون الحرية والعزة ، وعلقوا أهمية عظيمة على الزراعة ومن ثم قدروا كل شيء من شأنه أن ينهض بالزراعة .

وقد رأوا أن الأنهار الكبرى أمدهم بالماء ولهذا أحبوا ونظروا إليها نظرهم إلى الأصدقاء والمحسنين الكبار ، والثور والبقرة ساعدهم أيضا مساعدة كبيرة في الزراعة وفي حياتهم اليومية ، كما أعطتهم البقرة كذلك من لبنها غذاء ، وقد اعتنوا بهذه الحيوانات وتغنوا ببركاتهما عليهم .

ثم مر على ذلك العهد زمن طويل أنسى فيه الناس في الهند السبب الحقيقي في نهاية قدمائهم بالبقرة ، ولهذا بدأوا يعبدونها كأن في ذلك نفعا لهم .

وإعجاب الآريين بأنفسهم واعتزازهم بعنصرهم دفعهم إلى التخوف من الاختلاط بغيرهم من سكان الهند ، ومن ثم سنوا من القوانين والقواعد ما يحول دون هذا الاختلاط وما يجعل زواج الآرى من غير عنصره أمرا متعذرا ، وقد تطور ذلك فيما بعد إلى ما يسمى الآن بنظام الطبقات . وما يضحك أن الاعتزاز

البالغة بدرجة لا تفسدها أى صلة مادية .  
تقول المکتب المقدسة الهندوسية عن خلق  
العالم : إنه كان من قبل أن يوجد شيء ما ،  
بيضة كونية تسميها الأساطير « براكرتي » ،  
أى الطليقة ، وتطورت هذه البيضة تطورات  
كثيرة فى مختلف الدهور حتى تحولت إلى بيضة  
ذهبية ، واستكن سيد الكون فيها ، وكانت  
البيضة عائمة فوق سطح البحر المحيط ، ومن  
تلك البيضة خلق العالم الحاضر ، وجاء فى  
أسطورة « تاراين » عن خلق الكون : أن  
الخليقة انبعثت من دموع « براباتي » .  
فلما جاء ( براباتي ) إلى الوجود من العدم  
بكى ، فلما سالت دموعه تحولت إلى الأرض  
وما منها منها تحول إلى السماء ، . وجاء  
فى تريعة « تاراين » المشهورة فى وصف إله  
الكون وحده وثنائه :

ياروح الأرواح ! أنت الذى بسطت  
المكان فى جميع الجهات .

وبسطت الزمان الذى لا نهاية له ، فأنت  
الموجود قبل وجود السماء والأرض ، فأنت  
استويت على الأرض . إلى أن قالت :

ولكن لا أرى الآن شئاً ، ولا هوالاً ،  
فإنى أرى الله فقط ، وأحمده فقط ! .

وترد الأساطير الهندوكية وحدة الكون  
إلى ( كلبا ) أى إلى يوم من زمن ( براهما )  
الحائى فكان براهما يخلق فى الصباح العوالم

والحبوب والسمن واللحوم ، وكذلك أنواعا  
من المرطبات الممزوجة من عصير الفواكه  
والنباتات ، إلى جانب ترنيل الاناشيد الدينية  
والأدعية الفيدية ، تصحبها رقصات وحركات  
تعبدية .

والرقص جزء أساسى من الشعائر الدينية  
يستمد وحيه من التعبيرات والابتهالات التى  
تلازم الحفلات الدينية المقامة حسب التعاليم  
الفيدية . والموسيقى الهندية شأنها فى ذلك شأن  
الرقص مصحوبة بحركات تعبيرية ، من ثم كان  
الرقص الهندى الكلاسيكى خليطاً من الفن  
والدين والفلسفة ، بل وكانت نشأته الأولى  
فى المعابد الهندوكية ، حيث يعتمد على حركات  
رمزية تعبيرية أمام الآلهة ، ثم تدرج منها  
الرقص الهندى إلى الأسلوب القصصى والرمزى ،  
يقص الحوادث والوقائع ، ويرمز إلى مظاهر  
الحياة ، ولذا نرى الهندوكية تنظر إلى الرقص  
الكلاسيكى الهندى نظرة تقدير وتقديس .

وتمتد الفلسفة الهندوكية فى حياة بعدالمات  
فى عالم يسيطر عليه ( ياما ) ، ونقول بضرورة  
انتهاء جميع العلائق بالمادة لتحقيق النجاة  
الأبدية ، وبعبارة أخرى تقول الهندوكية :  
إن النجاة الأبدية . . . لا تتحقق إلا بالانفناء  
الكلى ، ولهذا ندعو الأفراد إلى القيام برياضات  
شاقة ، مثل رياضة اليوجا والإمعان فى ترويض  
النفس على التقشف والزهد ، والروحانية

## الهندوكية

٣٢٥

وأما نظرية الفيدا عن العالم فتقول بوجود الأرض والسماء ، ولكن لها آراء مختلفة عن هيئة الأرض الأصلية فمرة تقول إن الأرض إذا اتحدت بالسماء تكونا هيئة كأسين وضعا وجها لوجه . ومرة أخرى شبهت الأرض والسماء بدولابين على طرفي محور ، وتقول إحدى الأساطير الهندوكية : إن الأرض يحملها أربعة من العفاريت فوق أكتافهم ، وأن الزلزال تقع في الأرض حينما يعتريهم التعب وينقلونها من كتف إلى آخر .

وإذا ثبت من التاريخ أن البوذية ترعرعت في الهند في القرن السادس قبل الميلاد ، فلا بد أن تكون الحضارة البرهمية ، والثقافة الهندوكية قد وطدت أقدامها فيها قبل البوذية ؛ لأن الكتب القديمة البوذية تذكر عنهما ، وكما أن الحضارة البرهمية قد اكتملت بعد مدة طويلة بعد العهد الفيدي ، لأن الأدب البرهمي المتشكل من أربعة مصادر رئيسية : سوترا ، وأرنياكا ، وأبانيشد ، وبرهنا قد تم ترتيبه بعد الركفيدا بزمان طويل ، يمكن أن يقال بصورة قاطعة إن تاريخ الثقافة الهندوكية المبني على الفلسفة الفيدي يرجع إلى قرون عديدة قبل الميلاد .

في الدين الأولي

الثلاثة الأرض والجنة والنار ، وتنتشر في الليل هذه العوالم الثلاثة فقسير الأيام والليالي بأحداثها وتطوراتها ، وتدل النظرية الهندوكية نحو الحياة على أنها نظرية الارتقاء التدريجي ثم إلى الانحطاط ، وقد أوردت كتب بوراناس ، الهندوسية صورة أخرى عن كيفية انتهاء السكون فتقول : إن الإله « شنو » سيظهر على صورة إله كالي ، بطلا مسلحاً ركباً على حصان أبيض له جناحان حليان بالمجوهرات محمكا بيده من فوق رأسه حسام الدمار والخراب ، حاملاً في يده الأخرى قرصاً ضخماً ، ويرفع حصانه قدمه اليمنى الأمامية ، والدنيا واقفة على رأس أفقى جالسة على ظهر سلحفاة وعندما يضرب الحصان بقدمه على الأرض تسقط السلحفاة في الهاوية ، وتتخلص من الثقل العظيم ، ويهلك جميع خبيثاء العالم ، وورد في كتاب كيتا عن نهاية العالم : الغيوم تمنع عن المطر لمدة مائة عام ، فلا يجد الناس طاماً يأكلونه ، فلما يشتد الجوع بهم يضطرون لأكل بعضهم بعضاً ، وهكذا يلقون بأيديهم إلى التهلكة والفناء .

وذلك وصف آخر عن نهاية العالم : طوفان مخيف يحيط بالأرض ، وشموس ملتجة في السماء تمتص مياه الطوفان ، ثم تهب على الأرض ريح من نار تأكل جميع الأشياء وهكذا يحترق العالم بأسره .

# شوقي وتاريخ العرب والإسلام

للأستاذ محمد عبد المنعم خفاجي

— ٢ —

وهنا نتحدث عن آراء شوقي وآياته الخوالد ، في كتابه « دول العرب وعظماء الإسلام » ، الذي نظم في منفاه بالاندلس ، إبان الحرب العالمية الأولى ، والذي قصره على الحديث عن تاريخ الإسلام وبلدات أعلامه الخالدين ، وقد طبع الكتاب لأول مرة في القاهرة عام ١٩٣٣ بعد وفاة شوقي بعام ... وكله من بحر الرجز العذب المستساغ يقول شوقي في مقدمة هذا الكتاب أو الديوان على حد سواء ، مشيراً إلى الحرب العالمية الأولى ، ويذكر تأليفه لهذا الديوان في منفاه :

لما رمى الله بهذي الحرب  
على بني الشرق وأهل الغرب  
تحركت سواكن الأقدار  
واطردت عوامل الأكدار  
وحكم الله بهجرة الوطن  
وطالما ابتلى بها أهل الفطن  
فكنت أستعدى على المموم  
ببناء فكر ليس بالمعلوم

— ١ —

كان شوقي صاحب بيان ، أنصّر الله به صفحة الأدب ، ولغة العرب ؛ وحفظ به تراث الإسلام والمسلمين . كان صوتاً قوياً من أصوات العروبة ، وسيفاً مجلواً ينتضى للزيادة عن العرب ، والدفاع عن الإسلام . كان حبه كله لبلاده ، وإخلاصه كله لدينه . وقصائد شوقي وفرائده ، في الإسلام وتاريخه ومآثره ومفاخره ، وفي الاعتزاز بكتابته الخالد ، وبلغته المبدئية الفصيحة ، ورسائله في القديم والحديث ؛ ظلّت وستظلّ منهلاً عذباً ينهل منه الواردون والظالمون ، ويأخذ الحكمة منه السابقون بمن أتوا بعده واللاحقون ...

إن أمير الشعراء سبق جيلنا في الدعوة إلى بناء الحاضر الممتد لشعوب الإسلام على أساس قوى من تراث العربية وثقافتها وماضيها ؛ وفي المناداة بوحدة الشعوب الإسلامية والعربية وإخائها ؛ وفي تعظيم شأن العرب وقوميتهم ؛ وفي الدعوة إلى اشتراكية الإسلام السمحة ، بما تحتوي عليه من حب وعدل ومساواة وإخاء ومثل عالية رفيعة .

### شوقي واللغة العربية :

يحتوى الديوان على قصيدة عن العربية  
هوانها ، لغة العرب ، مجد فيها شوقي لغة  
القرآن وعذوبتها وفصاحتها ، وأشار إلى  
أطوار تهذيبها ، ونزول القرآن بها ، وحلها  
لرسائله وثقافته وحضارته ، واستعارتها  
من فارس واليونان ما استعارته من معرب  
منقول ؛ ودعا الشباب العربى منها إلى التزود  
من ثقافات العرب والعربية بكل جليل ومفيد  
داعيا إلى ترك الزيف من دهوات الداهين  
لهدم تراثنا ، والانقضاض على قديمنا ؛ وإلى  
الآخذ بطرف من كل جديد مفيد ، وإلى  
الإقبال على القرآن والحديث إقبال المستفيد  
المسترشد لما فيها من حكمة وأدب وبلاغة .  
يقول شوقي - فيما يقول - من هذه القصيدة :

اسانك الاول في الكتاب

ولغة الصبوة والعتاب

نخض عباب فقهه وسره

ونغص على صحيحه وحره

لا ترض منه مبلغ الرعام

وحصة الاهى من الشعاع

واقرا علوم السلف الاعلام

فإنها معالم الكلام

وب قديم كشعاع الشمس

ابن غد واليوم وابن أمس

حتى أراد الله أن نظمت

من سير الرجال ما استمظمت

واخترت بهراً واسعا من الرجز

قد زعموه مركباً لمن عجز

برون وأباً وأرى خلافة

السكاس لا تقوم السلافة

وفيمة اللؤلؤ في النحور

بنفسه وليس بالبعود

شعر لومك فيه ما لا يلزم

وتركه أليق بي وأحزم

وهو هنا يشير إلى بحمل منهجه في هذا

الديوان من حيث الموضوع والشكل ؛ وإن

كان لم يستطع الإفصاح كل الإفصاح عن قيمة

أعماله الفكرية أو الأدبية ، أو الفنية على

السواء ، وقد يكون مبعث ذلك أن الشاعر

غير الناقد ، وأن حديث الشاعر عن شعره

قلبا يكون ذا قيمة نقدية كبيرة وهل الجلة

فطلاوة ديباجة شوقي ، وهذوبة أسلوبه هنا

أكبر من مفزى كلامه ومعناه .

- ٣ -

ولسوف نتناول بعض آراء شوقي في هذا

الديوان بالدراسة والتحليل والنقد ، لأهميتها

ولأهمية الديوان معا ؛ إذ أنه من أروع

ما يمكن أن يكتبه شاعر ليقترب التأريخ

إلى حقول الناس ، وليتخذ منه مادة لأدبه ،

وموضوعاً لشعره .

وخل ما زيفت الليالي  
وما نفت مصارف الأجيال  
ولا تضع من الجديد كله  
بفتك وضع الشيء في محله  
رب جديد عنده الممول  
ورب كنز لم يثره الأول  
إن طريق العقل لا يسد  
ومذهب الأفكار لا يجد  
وما أعظم ما رسم شوقي هنا من منهج  
قوى يحافظ على العربية ، وإن كان لا يتنكر  
للتجديد المقبول الذي يقره أئمتها سواء  
في مفرداتها أو قواعدها ، إن شوقي في هذه  
القصيدة كان يصدر عن عقل حصيف ،  
وتجربة حكيمة ، وفكر مضيء ... وقد دعا  
شوقي إلى تسجيل تاريخ العرب بالشعر ،  
وفضل الشعر التاريخي والنثر التاريخي  
على كتابات المؤرخين ، الذين يسجلون  
الأحداث لحسب ؛ وذلك في قصيدة له في هذا  
الديوان ، عنوانها : التاريخ ، ويشير  
شوقي في قصيدته الوطن إلى سيادة العرب  
والعربية بعد الإسلام ، فيقول :  
وأنجز الله النبي وعده  
وساد قومه الزمان بعده  
فودثوا قيصر في المشارق  
وأخذوا الغرب بسيف طارق  
وأمنوا الأمصار فاتحينها  
وعدلوا في العالمين حينها  
واتخذوا كل القرى أوطانا  
وحاسنوا الأهلين والقطانا  
حيث حل العربي حيا  
من الملا قبيلة وحيا  
وشاطر الأرض على التساوى  
محاسن الأقوام والمساوى  
حق انقضى سلطانهم وزالا  
وفضلهم باق ولن يزالا  
وذلك اللسان باق لم يزل  
يمضي عليه من جلا ومن نزل  
لم يبق منهم سوى الأصوات  
وعجب تسكلم الأموات  
البيت المحرام :  
وقصيدة شوقي في الديوان عن البيت المحرام  
تنبي بحبه للعرب والعربية والإسلام وكتابته  
واثقة وبيته العتيق ، وقد تحدث فيها عن  
قداسة البيت وعظمته وتاريخه وسدنته من  
قريش أبناء إسماعيل ، ومن العرب  
الميامين الذين انتشروا في كل صقيع .  
انتشروا قبائلا على الزمن  
ملء الحجاز والشام واليمن  
ويحتم القصيدة ببيان أهمية البيت المحرام  
وجلالته حتى في الجاهلية ، حيث يقول :

يتحدث عن بطولات المسلمين وتاريخهم  
وسير أعلامهم .

وهنا نشير إلى أن اتخاذ شوقي القصيدة  
العربية موضوعاً لتسجيل التاريخ كما يبدو  
في مزيته في الجزء الأول من ديوانه ، وفي  
هذا الديوان ، كان عملاً كبيراً في تجديد الشعر  
وقتح الأبواب أمام الشعراء ، وإمداد الشاعر  
بطاقات كبيرة من المعاني والأفكار والأخيلة  
والحكم الأصيلة ، ولا شك أن ذلك كان  
خطوة من خطوات التجديد الشعري عند شوقي ،  
وكان مقدمة لكتابة شوقي رواياته التاريخية  
التي عدت قديماً كبيراً في الشعر العربي الحديث .

ونحن لا ننكر أن شعراء العربية القدامى  
سبقوا ( شوقياً ) في هذا المضمار ، من مثل  
ابن المعتز ( ٢٤٧ - ٢٩٦ هـ ) الذي نظم  
تاريخ الخليفة المعتضد العباسي ( ٢٧٩ -  
٢٨٩ ) وكافعل ابن عبد ربّه ( ٣٢٨ هـ )  
في نظم تاريخ الناصر الخليفة الأموي الذي  
حكم الأندلس خمسين عاماً ( ٣٠٠ - ٣٥٠ هـ )  
ولكننا لا نتجاهل أن شوقياً قد جدد الشعر  
العربي بنظمه لأحداث التاريخ الإسلامي  
وبطولاته وسير أعلامه وجدد طريقة  
الأقدمين في كتابة السيرة ، وتسجيل  
تاريخ الإسلام منذ بدأ جره بضيء في آفاق  
الدنيا وأرجائها .

رحمك الله يا شوقي في الخالدين ؟

محمد عبد المنعم هفانة

لا ينطق المجر به والإفك  
ولا يحمل للدماء سفك  
وما أروع ما قال شوقي في البيت الحرام .

### شوقي والسيرة :

وإذا كان شوقي قد حلق في قصيدته النبوية  
« البردة » ، فقد حلق هنا في هذا الديوان  
في مطوخته الرائعة « السيرة النبوية » التي  
تحدث فيها عن الرسول حديثاً عجيباً جامعاً ،  
في طفولته وشبابه ورجولته ، وفي بعثته  
ورسالاته ودعوته وهجرته وغزواته ...  
صلوات الله عليه .

### تاريخ الإسلام - ملخص في الديوان :

ويمضي شوقي في الديوان في تسجيل  
تاريخ الإسلام تسجيلاً رائعاً في قصائده :  
الخلفاء الراشدون ، خلافة أبي بكر ، خلافة  
عمر ، عمر و خالد بن الوليد ، مقتل عمر ،  
خلافة عثمان ، الحصان ، أمير المؤمنين علي ،  
معاوية ، عمرو بن العاص ، خالد بن الوليد ،  
دولة بني أمية ، خلافة عبد الله بن الزبير ،  
البيعة للسفاح ، أبو مسلم الخراساني ، الدولة  
العباسية ، أبو جعفر المنصور ، صقر قريش ،  
دولة الفاطميين .

ففي هذه القصائد يسجل تاريخ الإسلام  
وملوكه وخلفاء المسلمين ، تسجيلاً صادقاً  
واضحاً ، وبصور الأحداث تصويراً قنياً  
عالياً ، وينطق الزمن حتى لكان الزمن

# توضيح وتصحيح لتفسير آية

للأستاذ عباس طه

لذلك ، فنزلت : « وما أرسلنا من قبلك من رسول ، الآية ، ويكون معناها على هذا : ما من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى إلا يكون من الوحي ما ينفر منه قومه إلى الشيطان في أمنيته : أي أجرى الشيطان على لسانه كلاماً من تأليف الشيطان كالذي أجراه على لسان الرسول من قوله : تلك الغرانيق إلخ . هذا ما يقوله المفسرون في سبب نزولها ، وفي تفسيرها . ولما قبل أن تناقشهم فيما يحسم صميم الدين وأصوله من جراء هذا التأويل ، تناقشهم في أمور دون ذلك .

وأول ما تناقشهم فيه من هذا هو أن ذلك التأويل يقتضي أن كل نبي قد تمنى إلا يكون فيما يوحى إليه من ربه ما ينفر قومه كما يقتضي أن كل نبي أجرى الشيطان على لسانه غير ما أنزل إليه من الله ، فهل يمكن لأحد من الناس أن يثبت ذلك إثباتاً صحيحاً أو قريباً من الصحيح ؟ إنا موقنون أن لأجواب لذلك سوى النفي البات . وثاني ما تناقشهم فيه : أنه بناء على هذا التأويل فإن النسبة تنقطع كل الانقطاع بين الآية وبين ما سبقها من آيات ، إذ الآيات السابقة كلها عزاء للرسول صلى الله عليه وسلم بذكر ما كان من تكذيب الأمم السابقة لرسولهم ، وكما ترى ليس بين ( أن كل رسول

يقول الله تعالى : « وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى إلى الشيطان في أمنيته فيفسخ الله ما يلقى الشيطان ، ثم يحكم الله آياته ، والله عليم حكيم » . يذكر المفسرون في سبب نزول هذه الآية وجهين :

أحدهما : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يهيئ في نفسه شئونا أخروية فيخطر الشيطان بنفسه خواطر دنيوية ، ويسوقون للاستشهاد على ذلك حديث ( إنه ليغان على قلبي فأستغفر الله سبعين مرة ) فنزلت الآية تعزية للرسول ، ويكون معناها على هذا : أنه ما من نبي ولا رسول إلا كان إذا اتجه بنفسه إلى شئون الآخرة أثار الشيطان في نفسه خواطر الدنيا .

وثاني الوجهين : أن الرسول كان قد تمنى إلا ينزل عليه من الوحي ما ينفر قومه من تحقير معبوداتهم ، وتسفيه أحلامهم ، ثم كان أول ما نزل بعد تردد هذه الأمنية بنفس الرسول سورة « والجم إذا هوى ، فلما بلغ في قراءتها أفرأينم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ، أجرى الشيطان على لسانه : تلك الغرانيق العلاء ، وإن شفاعتهم الزمجي . فنزل جبريل فأخبره الخبر ، فاغتم

ما ينكره الدين وينكره الواقع ، فإنه ليس للشياطين من صلة بالناس إلا أن يوسوسوا لهم بالكفر والنسوق والعصيان ، وحتى هذا أيضا نرى الله قد استثنى منه عباده المخلصين ، وليس من ريب في أن الأنبياء الرسل هم صفوة المخلصين .

وثالث ذلك : ما يستلزمه حديث الفرائق من اقتلاع الثقة من النفوس بكل ما جاء به رسول الله من أصول وأحكام ، فإن من أصل ولا حكم إلا ويجز بجز أن يكون بما أجراه الشيطان على لسان النبي إن كان قولا ، وعلى جوارحه إن كان فعلا .

من هذا يتبين للقارىء أنه يجب وجوبا لا مراء فيه أن يسلك في تفسير الآية الكريمة وجهار غير هذا الوجه ، وسبيلا غير هذا السبيل . وإليك ذلك :

إثنا نعلم أنه ليس للرسل والأنبياء من غاية في هذه الحياة يحاولون تحقيقها ولا من أمل منها يتحملون من أجله أهول المشاق وأعظمها ، إلا شيء واحد هو : أن يستجيب لهم قومهم ويؤمنوا برسالتهم فتلك مهمتهم في هذه الحياة وأمنيتهم التي لا يرجون سواها ، ولا يمكن أن يخطر ببالهم غيرها . فلم إلى ذلك أيضا أنه ما من أمة دعيت على لسان رسول إلى خير ورشاد ، وإصلاح ونظام إلا صدم الشيطان ووسوس إليهم وزين لهم الشر والكفر ، وقبح في نظرهم الخير والإيمان ، وأثار حول أدلة الرسول وإرشاداته شبهات

قد سيطر عليه الشيطان . وملك عليه لسانه فأجرى به ما شاء لا ما شاء الله ، وبين تكذيب الأمم (رسلهم) مناسبة ما .

وثالث ذلك : أنه إذا كانت أمنية رسولنا الكريم هي ألا يكون في الوحي ما يتفرق قومه لا يكون إجراء ( تلك الفرائق العلاء ) على لسان الرسول من قبيل الإلقاء في الأمية بل هو تيسير أصيلا ، ومحاربة لتعتيقها .

أما ما نريد أن نناقشهم فيه بما يمس صميم الدين ويهدم أسسه وأصوله فأول ذلك : أننا نعلم أن أساس الرسالة هو دعوة الناس إلى توحيد الله ، والإعظام والتفديس والرجاء ، وإفراده بالعبادة والهداء ، فلا مناص - والأمركذلك - عن حجاجهم في معبوداتهم وبناء الأدلة والبراهين على بطلان عبادة غير الله ليخلصوا دينهم لله ، فلو جاز أن يكون مثل هذا المتعنى نبياً أو رسولا لكان معناه أننا نجيز على الأنبياء أن يجاملوا في دينهم وبلايتو في رسالتهم ، وذلك الذي طالما هبناه على الهادي من الناس فضلا عن الرسل والأنبياء .

وثاني ذلك : ما يستلزمه حديث الفرائق من أن يكون للشياطين من السلطان الهادي ما يصل في قوته وميمنتته إلى حد أن يجملوا على الأنبياء المستهم ، فيجروا عليها الكفر الصراح والشرك الهادم ، واللازم البين لذلك أن يكون ما يملكون على الناس من غير الرسل والأنبياء أكبر من هذا وأقطع ، وذلك

وبذلك ترى بين الآية وبين الآيات السابقة صلة تامة واضحة .

وثالثا : ما تراه من العدول عن سلوك سبيل الحقيقة فيما أسنده إلى الشيطان ، إذ لم يقل بدل ( ألقى الشيطان في أمنيته ) طاق الشيطان أمانهم بالوسوسة إلى قومهم ، بل سلك سبيل الجواز فكان ما ترى من إيجاز هو أكثر شمولا وفائدة مما في أسلوب الحقيقة من تفصيل ، ثم هو إلى ذلك الإيجاز قد أبرز وساوس الشيطان وما يوحى من شبهات في صورة الأشواك والصخور تلقى في الطريق المعبد فتقف بالسائرين عن مواصلة السير إلى غاياتهم : ذلك أن الإلقاء من خصائص الماديات ، فلما أسند الإلقاء إلى الشيطان والشيطان لا يكون عنه إلا الوسوسة والتخييل ، كان ذلك تصويرا للوساوس إلى السامعين بالأشواك والصخور والسدود مما يزيد في نفور الناس من الشياطين ويضعف الحذر منهم .

وهنا يقف بين مواكب الجلال والجمال ما يتجلى من روائع القرآن ، ويلتصع في ثنايا الأسلوب من دقائق تحتلب القلوب ، وتملك النفوس . فإنه تعالى لما أراد تعزية رسوله بما نص عليه من تفصيل ما كان للأنبياء والرسل من أقوامهم ، وكان مهما أطلال بذكر رسل وأنبياء . فإنه يبقى احتمال أن يكون هناك رسل وأنبياء لم تذكر أسماءهم تكون قد تحققت لهم أمانيتهم واستجابات لهم أمهم دون أن يعوقهم الشيطان عن سرعة تحققها فلا تم التعزية مع

وشكوكا مختلفة الألوان والاتجاهات ، سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلا .

وهذا الصد وتلك الوسوسة هو إلقاء الشيطان في أمان الرسل ، فإنه بالصد والوسوسة وإثارة الشبه والشكوك كأنما يلقى الأشواك والصخور ( في طريق الأنبياء إلى غايتهم التي هي استجابة قومهم لهم ، وإيمانهم بهم . فيكون معنى الآية على هذا : إنه ما من رسول ولا نبي إلا إذا تم في إيمان قومه واستجابتهم للخير والرشاد ، صدم الشيطان عن الإيمان وعاق الرسل عن أمانهم بما يثير من شبه وشكوك حول آيات الرسل وحججهم ، وحول ما جاء به من أصول وأحكام ، ثم ما هو إلا قليل حتى تنطفيء شفقة الباطل ، وينفشع ودخان الشكوك والشبه التي أوحى بها الشياطين إلى نفوس المدعوين ، ثم يبدوا الحق بحكم البينان ، راسخ الأركان ، باسق انقروع .

هذا هو التأويل الصحيح ، والمعنى الحق الذي يجب أن تحمل عليه الآية .

أما أولا : فلأننا نتحاشى به باطلا لا يدانيه باطل ، وفسادا لا يساويه فساد ، ألا وهو مجاملة الأنبياء في دينهم ، وهيمنة الشيطان على ألسنتهم .

وأما ثانيا : فلأن الآيات السابقة قد ذكر فيها تكذيب الأمم الماضية لأنبيائهم بما يدل على أنهم جميعا قد عاقهم الشيطان عن غاياتهم بما زين للقوم ، وأوحى لإيهم من شبهات ،

أن الشيطان يصح أن يلقى غير الشر الذي هو الشبهات والوساوس ، وعليه فيكون عدم ذكر المتعلق بالإيدان بانحصار ما تلقىه الشياطين في الشر وأنه لا يكون عن طريقهم خير فجرد ذكر الإلقاء مسنداً إليهم منهم نوع ما يلقون إلى الناس ، وفي ذلك من تقييح أمر الشيطان ما فيه .

والى هنا أستطيع القارىء عذراً في أن شغلت بروائع القرآن عما أنا بصده والآن سأعود ثانية إلى موضوعنا الأصلي فأقول .  
إنى بعد أن اهتمت في تأويل الآية إلى ذلك المعنى واجعت تفسير الإمام الألوسى فوجدته بحمد الله قد أغفل حديث الغرافيق إغفالاً ولم يعرض له غير أنه فرقه تعالى (تمنى) بقرأ وفسر ما يلقى الشيطان بما يفهمه المغالطات ، ولكنى على أى حال قد سرت كثيراً سلوك الأستاذ الألوسى هذا المسلك المشعر بأنه يرى بطلان حديث الغرافيق ، والمشعر بوجوب صيانة القرآن الكريم عن الزهات والباطيل وما يخدش قدس الرسل والأنبياء ، ولقد أيدى ما اهتمت به إليه من تأويل في الآية ما أخبرنى به أحد شيوخنا الأجلاء الذين ضربوا في علوم التفسير بهم أسدً وراى أشد وقد نحا هذا النحو إمام المحققين وقطب الواصلين سيدى عبد العزيز الدباغ أكرم الله مشواه ورضى عنه وأرضاه ؟  
عباس ط

هذا الاحتمال ، لما كان كذلك تراه قد أجمل التسلية في أسلوب شامل . مستقص في الأفراد ومستقص في الأزمان ، حتى إذا أفلت واحد من عموم الأفراد في قوله (من رسول ولانبي) لا يفلت من عموم الأزمان قوله (من قبلك) لأن (من) الأولى في الآية لا استقصاء الأزمان ، والثانية لاستقصاء الأفراد ، وبذلك لا يبقى هذا الاحتمال ، فتم تسلية الرسول حين يعلم أنه لم يشذ عما بينه وبين قومه نبي من الأنبياء .

وتراه ثانياً لم يذكر مفعول (تمنى) فلم يقل : إلا إذا تمنى هداية قومه ، لأن المفعول يشعر دائماً بأنه قيد في فعله وأن الفعل متعلق به هودون غيره ، ما يصلح أن يتعلق به ذلك الفعل ، فذكره منهم لا محالة أنه للاحتياط عما عداه من المفعولات ، فلو ذكر مفعول (تمنى) الذى هو هداية القوم ، لأشعر أن للرسل تمنيات غير هداية قومهم . وعلى هذا يكون إنما ترك للإيدان بانحصار تمنىهم في ذلك المطلب العالى وتلك الغاية النبيلة ، وفي ذلك من لتنويه بشأن الأنبياء ما فيه : وكذلك الشأن في (قوله ألقى الشيطان في أمنيه) إذ لم يذكر المتعلق ، فلم يقل : ألقى الشيطان في أمنيه العوائق من شبهات ووساوس ، لأن ذكر المفعول وهو - كما قلنا قيد في فعله - ، يفهم أنه للاحتياط عن مفعول آخر ، وهذا يشعر بصحة تعلقه بذلك الآخر ، فيفيد

# الملاحم والمطولات الإسلامية في الشعر العربي للدكتور سعد الدين الحيزاوي

وصين بطرب له عشاق الأدب الكلاسيكي  
وتتطلع إليه قلوب المشتغلين بالتاريخ  
الإسلامي في مختلف مناحيه.

وهو لم يقتصر على سرد التاريخ بل أنه ضمن  
هذه المعلقة كثيرا من أحكام الحج ، وفضل  
العرب على غيرهم ، ومزايا الإسلام ...  
وقد تضمنت هذه المعلقة :

١ - مقدمة :

وقد قدر لها أن تبقى ألفين من السنين ،  
وعلى ماذا سلك سبيل المدرسة القديمة ،  
على جاهلي اللفظ بمرت آمنة  
ومن لهجات العرب سقت الأحاسنا

أيمدح بيت الله بالغث إن يكن  
سمين ؟ وقد بز المسكان الأماكنا  
وفي جاهلي من زمان ومسلم  
حياة له تروى قديما وراينا

وقال في رنمة الحج :

حجاج بيت الله

لا ثروة لا جاه

الكل في أخواء

طوبى لكم حج

المعلقة الإسلامية : أو معلقة الكعبة ،

للاستاذ العربي محمد محمد توفيق ، وشرح  
الأستاذ محمد أمين التيمي وقد ذكر في المقدمة  
فكرة هذه المعلقة :

وقبل أن أفكر جديا في طبع هذه المعلقة  
هرضتها على كثير من شعراء العالم العربي  
وأدبائه ، فكان الإجماع على الإعجاب بها ،  
والطرب لها ، ووصفها بأنها ألياذة  
إسلامية ، وكانت الرغبة في طبعها حفظا لها  
من الضياع ، وكان السعي الحثيث لذلك ،  
حتى تم التوفيق بإخراجها إلى العالم الإسلامي  
بهذا الثوب القشيب .

فإلى أنصار المدرسة القديمة ، وإلى متذوقي  
اللغة العربية ، وإلى عشاق الأدب العربي  
وإلى كل مسلم يهجه الإمام بتاريخ الكعبة ،  
والمسجد الحرام ، حيث يولى وجهه خمس  
مرات كل يوم : أقدم هذه المعلقة الإسلامية .

وهي طراز آخر من الملاحم الشعرية  
الحديثة ، إذ اتجه الشاعر فيها إلى التاريخ  
لناحية هامة ، وعرض هذا التاريخ في شعر

وقد نظمت جميعها على بحر واحد هو  
الطويل ، وقد استطاع الشاعر أن يجعل لها  
جميعاً قافية واحدة جعل لها ، الدال ، روياء  
وقد بلغت مجموع أبياتها ثمانمائة وخمسين بيتاً  
ما عدا الأخيرة ، خادم البيت ، فقد جعل لها  
روياً آخر هو ، الراء ، وأبياتها خمسة عشر  
ومائة بيت .

ولعل الذي يسر للشاعر ذلك هو اختلاف  
الموضوعات ، فهي وإن كانت متسلسلة  
في أحداثها إلا أن كل عنوان منها يمكن  
أن يعتبر موضوعاً مستقلاً ولكن كيفما كان  
الامر فإن التزام قافية واحدة في هذا العدد  
من الأبيات قد اضطر الشاعر إلى التكرار  
والتكلف .

ونعرض هنا نماذج قليلة منها :

يقول عند ظهور الإسلام ونهطم  
الآصنام :

ولما أراد الله إظهار دينه

تنزل فرقان على قلب أحد

نبي الورى طه القريشى محتداً

وسيد أهل الأرض من سبط سيد

ثم بأخذ في وصف النبي الكريم وقيلته ،

ويبين عجزه عند إيفائه حقه مهما أوتي

من فصاحة وبلاغة . ثم يبين كيف حطم النبي

الآصنام . ويتنقل بعد ذلك إلى معالجة

موضوع دقيق وهو تحويل قبة الصلاة

في طيبس الأحرام  
دنيا من الأقوام  
حام يواخي حام  
والطرق ترنج

ذنب الورى مغفور

والنفس فيها نور

بيت هنا معصور

يعلو به المسج

يا أيها الأبرار

صلوا على المختار

في جنة لا نار

يمضى بنا فج

٢ - المعلقة : وقد تضمنت العناوين

الآتية :

إلهام الكعبة - هجرة الخليل إلى بهاجر

وإسماعيل - زمزم - رفع القواعد من البيت -

أصنام إبليس ، عبد المطلب وإعادة حفر

بحر زمزم - ذهب الكعبة والنذر - العروبة

في جاهليتها - المعلقات على الكعبة - البيت

رب محميه - إعادة بناء الكعبة - ظهور

الإسلام ونهطم الأصنام - تحويل القبة -

مناسك الحج - أحكام عامة وحرمان البيت -

خاتمة . خادم البيت .

وقد تضمنت هذه العناوين قصائد تختلف

طولا وقصراً بحسب طبيعة موضوعها

من بيت المقدس إلى الكعبة وما كان من مرقف  
اليهود منها .  
ولقبه دين الله خبء فصاحي  
وما هنذر ما قيل في نعت موجد  
وأرجو بها طبعاً لدى الخلد حالياً  
فقد مر من دنياى عيشى الممدد  
تماجدت لما صفت فيما ، ولم أزل  
أصوغ حديث الشاعر المتمدد  
وفي جهمة ، والليل بالصبح حالم  
بكيت ، ومن يشهد من الحب يكبد  
إلى أن يقول :  
وفه شرق من جهات ومغرب  
ولكننا وجه الهدى في التزود  
بمكة صلى الناس ، ثم يثرب  
إلى القدس في ساكوت الممؤد  
بمبداه أنجاد دين وحكمة  
أطلت عليه في هلا متأبد  
ومن سبل ما حوله من محافل  
ويرفل في زبتونه المتمد  
إليه سرى فوق العراق محمد  
بعزم نبى وانبثاقه مؤجد  
وبعد أن يصف بيت المقدس وأفضاله  
يقول :  
على أن بيت الله أولى بأحد  
وإن نفس بيت الله في الذسك يأمد  
لديده نور ، والشراب عطاؤه  
ويقبس مد نوره المتفرد  
وفي نهر مد النهار بأفقه  
وتم غمام كالقطيع المنسد  
إلى أم بشر سار طه وصحبه  
وكانت أعدت من ثمار ومعقد  
وحانت صلاة الظهر والشمس جذوة  
وأطرافهم بلس بماء ممد  
فنص أمين الله جبريل آية  
إلى المصطفى في لطفه المتنفد  
بها ضاء بيت الله في الدين قبة  
لكل قريب في الصلاة وأبعد  
وأخر صف صار للناس أولاً  
ومن يك ذا حرص على الوحي يأفد  
وأطلق نعت القبلتين تيمنا  
على مسجد في ثوب الخير مفرد  
فما يهود ، والآلى ضل وجههم  
وقبلتنا ؟ بل وجههم في التنقد  
يقولون : ما ولام عن سبيلهم  
وفهم من البشرى وجيفة أكبد  
ألا فليكن فيهم لها با وغصة  
تثوب وإن يستقرخ عنها تزيد  
١ - وقد حرص الشاعر في هذه المعلقة  
على اختيار الألفاظ الصحي وإن كانت  
غريبة غير متداولة مثل : ميداء ، متأبد ،

## الملاحم والمطولات الإسلامية

ناحية من أجداد تاريخ العرب والمسلمين ،  
وأضافت إلى الدراسات الإسلامية سفرا  
جليلا ...

### ملحمة عيد الغدير :

للفاهر البناني بولس سلامة نشرها  
عام ١٩٤٨ ، متضمنة خلاصة لتاريخ العرب  
في الجاهلية و بروز قريش بين قبائلها وظهور  
النبي عليه الصلاة والسلام ، ثم تاريخ الإمام  
علي بن أبي طالب وتصور المآسي التي وقعت  
لآل البيت على يد الأمويين .

وهذه الملحمة في حوالي خمسة آلاف  
وخمسة مائة بيت ، وكلها من بحر واحد هو  
الخفيف ولكنها قصائد متعددة القوافي ...  
وقد ذكر في التصدير أن اختلاف الدين  
لا يمنعه أن يتناول ناحية تاريخية تصور  
جزءاً من تاريخ العروبة ويتحدث عن بطل  
من رجالات العرب .

ومما جاء في التصدير عن منهجه في نظم  
هذه الملحمة قوله : « ومع الانطلاق الشعري  
الذي حاولته ، فأنه بقيت مغلول الجناحين ،  
لا أستطيع أن أخلع على الواقعات من الفن  
إلا بمقدار ، ذلك لأن الملاحم تدور على  
الأساطير حيث يسبح الشاعر ولا رقيب  
عليه إلا ذوقه . وكتابي هذا محوره التاريخ ،  
والتاريخ حرام على الخيال حتى في الحوادث

مؤجد ، يأمد ، ليداه ، بأفد ، وبه ، أكبد  
في هذه الآيات القلائل .

٢ - واتهم قافية واحدة في ثمانمائة  
وخمسين بيتا ، وهذا قد اضطره إلى صوغ  
معانيه صياغة خاصة تغلب فيها الحرص على  
اختيار الألفاظ على السبك الشعري الذي  
يحتاج إلى رنين الشعر المنبثق من الاهتمام  
بالمعاني ، فالرقين المرسوق للفظ « قريب »  
يقابله لفظ « بعيد » لا « أبعد » كما قال :  
« لكل قريب في الصلاة وأبعد » ولكنه  
حكم القافية .

ومن ثم فقد كان الشاعر مقيدا بأمرين  
يحولان دون انطلاقه في ترقيق هذا الشعر  
وهما : وحدة القافية وما يترتب ذلك من الحرص  
على ألفاظ بعينها ، ثم إشاعة الكلمات العربية  
المهجورة .

وهو أمر يحمده عليه الشاعر إذا قصد تسجيل  
الألفاظ لإحيائها كما فعل المرحوم الشيخ محمد  
عبد المطلب ، كما فعل من قبله السيد البكري  
وغيره ، وكما دعا إلى ذلك الأستاذ أحمد حسن  
الزيات في كتابه « دفاع عن البلاغة » .

ولكن هذا الأمر يقرب هذه المعلقة إلى  
الشعر التلميمي ، ويجعل الإفادة منها مقصورة  
على الدراسة التاريخية واللغوية .

وكيفما كان الأمر فإنها عرضت لموضوع  
شائق ، يتصل بالمعاني الإسلامية ويسجل

العادية فكيف به عند ما يستند معظمه إلى جددوا الذكرى لخير الأنبياء  
الأحاديث النبوية : من لداء الشرك وافي بالدواء  
ونمكنني هذا بذكر نموذج من شعر وبدأ في ظلمات فأضاء  
هذه الملحة . وبه الأرض استنارت والسماء  
بما جاء في وصف شجاعة علي يوم الخندق وبما جاء في قصيدة انتشار دهوة الإسلام :  
وقته عمرو بن ود : شمل الله البرايا بهداه  
ومضى حيدر بروم مصوراً أيقنوا أن ليس معبوداً سواه  
يلتوى الأخشبان قبل التوائه خضعوا للدين والسكل اقتفاء  
أيها النسر ، دونه كل نسر لم يعد في العقل هن رشد غباء  
ليس غير النجوم في أجوائه \* \* \*

د ملحة الذكريات الإسلامية : وابتنى الدنيا بناء من جديد  
د الرسالة النبوية المحمدية : فعلا الصرح ، وحاشا أن يعيد  
لمنشأه محمد البدري محمد بن . لبنات الحق أقوى من حديد  
وأبيات هذه الملحة خمسون وأربعاً وبناء الله يعلم عن فناء  
بيت ، وقد نظمها الشاعر على طريقة المربعات وتعتبر الملحة تلخيصاً للسيرة النبوية  
واختار لها بجزراً واحداً هو الرمل ، وقافية وآثار الإسلام بأسلوب شعري بعيد عن  
موحدة للربيع هي الهزرة . التعقيد اللفظي ، وطبيعي أن الشاعر مقيد  
وقد تضمنت صورة لحياة الجاهلية ثم في خياله بالعقيدة الإسلامية كغيره من  
ذكرى مولد الرسول الكريم وبعثته شعراء المطولات .  
والإسراء والهجرة ثم الغزوات وانتشار ملحة الثورة :  
الإسلام في أكثر بقاع العالمين : الأستاذ علي زهران وقد رأيت الإشارة  
وقد جعلها فصائد لكل منها عنوان ، إلى هذه الملحة لأهمية موضوعها وطولها  
وختم كل موضوع بهذا المقطع : جددوا إذا تقع في تسعين صفحة تسجل أعمال ثورتنا  
الذكرى لخير الأنبياء . ما هذا آخر بيت فقد المجيدة من يوم قيامها إلى نهاية ١٩٥٧ .  
ختمه بقوله : د خلدوا الذكرى لخير وهي صورة لأدبنا الشعبي الجاد الذي ينبغي  
الأنبياء . قال في المطاع : أن تعنى بثورة الاذاعة والتليفزيون لأنه

أجدي من كثير مما يذاع من الأغاني العاطفية الرخيصة . وقد نظمها على بحر واحد هو البسيط وقافية واحدة في شعر رصين يفيض حماسة بعيد عن غريب الألفاظ .

وقد نظمها مقطوعات زجلية ، ولذلك لم أرد أنها تعرض نماذج منها لأنها لا تدخل في باب الشعر الفنى من حيث نسجها ولقنها . أما موضوعها وأفكارها فغاية في الأهمية ونحن الآن قد انجهمنا إلى الاعتزاز بفنوننا الشعبية المختلفة ، ومن الإنصاف ألا ننفل منها الناحية الأدبية .

#### ملحمة الشعر التاريخية في ثورة الجيش التحريرية :

الأستاذ محمد البندارى وعلى الرغم من أن هذه الملحمة ، عبارة عن قصيدة واحدة من مائة وعشرين بيتا إلا أنها صورت فترة دقيقة من مراحل نهضة مصر الحديثة وأثبتت لرجال الجيش فضلهم .

وقد تضمنت ملحمة عن أجداد مصر السالفة وعظمتها في التاريخ ثم تصويرا لما كانت عليه أحوال البلاد قبل الثورة ثم وثبة الجيش وهزل الملك ثم زوال عهد الأقطاع وتحديد الملكية والاتجاه إلى النهضة الكبرى ، واستنهاض هم أبناء العروبة .

وما دروا أن في مصر إشارة  
م معقل الأصل الباقي بواديها  
م الجنود : جنود الجيش قد نهضت  
بالليل في غسق الأسرار تحمها  
والعدل ، والرفق ، والإحسان ديدنها  
ورفع شأن الحمى أسى مرامها  
ومما جاء في استنهاض هم العرب :  
كم بالعروبة من أهوال أندلس  
وكم مآسى تنالت في أراضها  
فيا بني العرب : ودوا العاد واقتحموا  
عرائن الأسد إن بانت هوادها  
في مسمع النجم عنكم كل صالحة  
وفي يمن الملا منكم هوادها  
وكم لكم يا حماة الضاد من نعم  
على العباد تسامت في مبانها  
سودوا البرايا كما سادت أوائلكم  
فأنتم الأمن للدنيا ومن فيها

سعد الدين الجيزي

# ما يقال عن الأسيلاهر

مستشرق من اليابان  
يكتب عن الله والانسان في القرآن  
للدكتور أحمد فؤاد الأهواني

كان همدنا بالمستشرقين أنهم من أبناء الدول الغربية ، مثل ألمانيا وفرنسا وإنجلترا وهولندا وإيطاليا وأسبانيا ، وأقصى ما بلغه هؤلاء المستشرقون في أوروبا هو روسيا ، ولم يكن عددهم فيها كثيراً ، ولا يحثهم غزير أمان أن يبلغ الاستشراق أقصى الشرق البعيد ، أو الشرق الأقصى حيث اليابان ، فهذا شيء جديد فعلا على دولة الاستشراق .

واليابان دولة عظمى ، ولها مصالح كثيرة مع الدول العربية بدأت قبل الحرب العالمية الأخيرة بزمان ، واستمرت بعدها حتى الآن وهي مصالح تجارية تبلغ الملايين من الجنيهات وقد كان الاستشراق في الدول الغربية تابعا لهذه المصالح ، ثم انقلب إلى استعمار سياسي لم يكن يقدر له النجاح لولا المصرفة الوثيقة بتاريخ هذه الشعوب وجغرافيتها وآدابها وديانها ، وهذا ما فعله المستشرقون حين دسوا كل هذه النواحي دراسة منهجية هيقة ، وكان بعض هذه الدراسات علميا محضا ليس وراءه أغراض سياسية خفية ،

وكان بعضها الآخر يخفي أغراضا خبيثة ، ويستهدف غايات استعمارية . وقد أسهم اليابانيون أخيرا في هذه الدراسات ، قام بها أصحابها باللغة اليابانية ، ولا سبيل لنا إلى معرفة حقيقة هذه الدراسات لأننا لا نعرف اللغة اليابانية ، كما أنها ليست لغة عالمية وقد تعلم في مصر كثير من اليابانيين وبخاصة في الأزهر ، والتحق قلة قليلة منهم بالجامعة ، وقد عرفت أحدهم وهو الأستاذ «أوداكا» الذي نقل مقدمة ابن خلدون إلى اليابانية .

وكتب بعض اليابانيين باللغة الإنجليزية ، فأصبحت آراؤهم معروفة ومنشرة ، وهذا ما فعله الدكتور «طوشيبيكو إيزوتسو» ، ومن Toshihiko tzutsu من اليابان ، ومن حاصمها طوكيو ، والأستاذ بجامعة كيوتو ، وكانت رسالته التي تقدم بها لنيل درجة الدكتوراه عن : «المصطلحات الأخلاقية في القرآن» ، طبعت الرسالة بالإنجليزية وصدرت في طوكيو سنة ١٩٥٩ ، وقد تسنح

وأن يطلع على أحدث ما أخرجته المطابع بالعربية ، وأن يقتنى لنفسه مكتبة غزيرة من نواذر الكتب في شتى فروع العلوم الإسلامية ، والتقى بكثير من رجال الفكر واتصل بيننا جبل المودة ونمت بصحبته وصداقته ، ورأيت أنه على خلق عظيم ، ولا غرو فهو يمت بصلة إلى الأسرة المالكة في اليابان ، ثم هو إلى ذلك يجيده عدة لغات أوربية وشرقية خلاف الانجليزية التي يؤلف بها كتبه ، وهو الآن منتدب للتدريس بمعهد الدراسات الإسلامية بمونريال في كندا ، وقد عين عضواً مراسلاً لمجمع اللغة العربية بالقاهرة .

\* \* \*

المنهج الذي يتبعه الأستاذ إيزوتسو في أبحاثه هو : السنتية ، أي علم المعاني أو تطور الدلالات ، ذلك أننا نعبر عن أفكارنا بالفاظ ، والالفاظ تدل على معان ، ويتغير المعنى بحسب السياق وبحسب التطور التاريخي . وقد اكتسب هذا المنهج في العصر الحاضر أهمية خاصة ، وألف كثير من الكتب في علم المعاني ، وفي تحليل المعاني بغية النفاذ إلى أعماق الفكر الذي تعبر عنه وقد حدد الأستاذ إيزوتسو هذا المنهج بقوله : « إنه دراسة تحليلية للمصطلحات الأساسية في لغة ما للوصول إلى معرفة نظرة قوم من الأقوام عن العالم الذي يعيشون فيه حين يستخدمون هذه اللغة أداة لا للحديث

فرصة أخرى للتعريف برسالتهم ، أما حديثنا الآن فيتناول آخر ما نشره وهو كتاب : « الله والإنسان في القرآن - دراسة سميتية » وقد صدر هذا العام ، ونشر في طوكيو أيضاً . ولا سبيل إلى القيام بمثل هذه الدراسات على الوجه الأكمل إلا بعد تعلم اللغة العربية ، ولذلك أنشأت اليابان معهداً في طوكيو لتعليم اللغة العربية وما يتصل بها من دين وأدب وتاريخ ، وفي هذا المعهد تعلم الأستاذ إيزوتسو العربية وقام بتقديم رسالته عن ( الأخلاق في القرآن ) غير أن تعلم العربية وآدابها في اليابان شيء ، وتعلمها في مهابها شيء آخر ، ومهد العربية وقلبها النابض منذ القرن التاسع عشر بل قبل ذلك كان ولا يزال في القاهرة ، حيث الأزهر الشريف أكبر جامعة إسلامية ، وحيث جامعة القاهرة ، وحيث المجتمع الذي يتحدث بلغة الضاد آناً الليل وأطراف النهار ، ولذلك نجد أن معظم النابيين المشهورين من المستشرقين كانوا يتخذون من القاهرة قبلتهم ، يتمون فيها تعليمهم ، ويفصحون لسانهم ، ويطلعون على أسرار العربية .

فعل الأستاذ إيزوتسو كما فعل كبار المستشرقين من قبل ، وقد إلى القاهرة حيث أمضى بها طاماً أو نحو ذلك سنة ١٩٦٠ ، وقضى له في هذه الفترة التي قضاهما أن يتصل بالثقافة الإسلامية والعربية في منابعها ،

الفصل الثالث في التركيب الأساسي للقرآن ، تحدث فيه عن الله والإنسان ، الجماعة الإسلامية ، عالم الغيب وعالم الشهادة ، الدنيا والآخرة ، بعض السميات .

الفصل الرابع من د الله ، لفظة الله ، معنى هذا اللفظ في الجاهلية ، وعند اليهود والنصارى ، وعند الخنفاء .

الفصل الخامس في العلاقة الانطولوجية ( الوجودية ) بين الله والإنسان ، وتقتل على مفهوم الخلق ، ومفهوم البعث .

الفصل السادس في العلاقة الاتصالية بين الله والإنسان ، وفي هذا الفصل يبحث الاتصال بغير طريق اللغة ، أى آيات الله ، والهدى ، والعبادة سبيلا إلى الاتصال بالله .

وفي الفصل السابع يبحث الاتصال عن طريق اللغة ، كلام الله ، والوحى ، والصلاة .

الفصل الثامن من الجاهلية والإسلام ، ويبحث عن الإسلام ومفهوم الطاعة والخضوع ثم الحلم الذى كان شعار الجاهلية فانتقل إلى الإسلام ، ثم مفهوم الدين باعتبار أنه الطاعة .

وفي الفصل التاسع يبحث عن العلاقة الأخلاقية بين الله والإنسان ، وعن إله الرحمة ، والوعد والوعيد .

وقبل أن نقدم نماذج لهذا البحث السعق نقول : إن المصطلحات القرآنية أو الدينية بوجه عام ، ليس من اليسير تحديدها تحديداً

والتفكير فقط بل لتصور العالم الذى يمشون فيه وفهمه . . إن السمتية هل هذا النحو نظرة إلى العالم ، وهى إلى حد ما فطرة فلسفية والكتاب الذى تقدمه الآن وهو د الله والإنسان في القرآن ، يحمل عنوانا فرها آخر هو : دراسة سمتية للقرآن ، أو بالضبط ، دراسة سمتية للنظرة القرآنية نحو العالم ، يريد بذلك أنه سيدرس المصطلحات الأساسية التى وردت في القرآن واتى يتألف من مجموعها نظرة معينة إلى العالم .

هذه المصطلحات التى نجد لها تحليلا في الكتاب هى : عبد ، عبادة ، أجل ، الآخرة ، الله ، عقل ، حرب ، عجم ، آية وآيات ، بعث ، باطل وحق ، ضلال ، دهر دين ، دعاء ، الدنيا ، غيب ، حمية ، حنيف ، حشر ، هوى وأهواء ، حلم وحليم ، هدى إلفك ، إله ، إلهام ، علم ، إيمان وإسلام ، جهنم ، جنة ، جهل وجاهلية ، الجن الكعبة ، كلام الله ، الكفر ، الخلق ، الكتاب ، نبى نجاة ، نعمة ، نزل وتنزيل ، قضاء وقدر ، رب ، رسول ، رأى ، صلاة ، شكر ، صراط ، سجد ، طاعة ، تقوى ، تصديق ، أمة ، وعد ، وحى ، وعيد ... الخ .

وقد رتب الكتاب على مقدمة وتسعة فصول ، الأول والثانى في السمتية بوجه عام ، وتطبيقها على المعانى الواردة في القرآن .

تلتخيصها بإيجاز بأن الله والإنسان يكونان طرفين متقابلين أحدهما في أقصى اليمين والآخر في أقصى الشمال . وكان الإنسان في الجاهلية هو المحور الذي تدور عليه جميع المعاني الأخيرة ، فهو مركز العالم ، حتى الأرباب التي كان يعبدونها فهي تابعة له . حتى إذا جاء الإسلام انمكست الآية ، فأصبح الله هو مركز العالم ، وكل شيء آخر يتصل به . وهذه الصلة إما أن تكون وجودية ، فالله هو الخالق ، ووجود الإنسان مستمد منه . وإما أن تكون صلة ارتباط متبادل ، فهي من جهة الله وحى ، ومن جهة الإنسان دماء ، ومعرفة الله تتم بالنظر إلى الآيات أو بالتجلى في الصلاة . وإما أن تكون صلة ربوبية وهبوية ، فالله هو الرب والإنسان هو العبد . وإما أن تكون صلة أخلاقية ، من جهة الله الرحمة والعدل ، ومن جهة الإنسان التقوى والشكر ، والتقوى والشكر تابعان للإيمان ، وهما يباقيان الكفر . ومن الطبيعي أن يكون بدء الحديث عن المجتمع الإسلامي ما هو ، وكيف نفاه ، وما وجه اختلافه عن المجتمعات السابقة عليه والمعاصرة له والمتأخرة عنه ، وما تركيب هذا المجتمع حقوقه وواجباته ؟

يرى المؤلف أن المجتمع الإسلامي لم يكن يسمى بهذا الاسم ، أو هذا المصطلح فعن المجتمع أو الجماعة ، وإنما المصطلح

دقيقاً كالحال في المصطلحات العلمية . ذلك أن أي دين ، مثله في ذلك مثل الفن ، يختلف عن العلم ، الذي يبحث في الواقع ويمكن تحديده وقائمه بدقة وقياسها قياساً كنيا .

أما الدين - وكذلك الفن - فإنه يعتمد على معان تعد من قبيل القيم ، والقيم إنسانية أساساً ، تشيع حولها جواً يحس به المرء ولكن يصعب تحديده وقياسه . ولذلك يصعب القول مثلاً بأن هذا الشخص أكثر إيماناً من ذاك ، بل يصعب القول من الشخص الواحد إن إيمانه الآن أكثر منه قبل ذلك بوقت قليل وإذا نحن أردنا تحليل مصطلح كالصلاة مثلاً ، فنسير ووصف الحركات الظاهرة ، ولكن يصعب إن لم يكن من المستحيل تحديد الإحساس الباطن الذي يغمر قلب المصلّي وهو يقف بين يدي الله . فهذا الشعور أمر لا سبيل إلى تحديده بالألفاظ . ومع ذلك فلا بد من اتخاذ طريقة للقياس ، أي طريقة ، وإلا تعذر البحث ، ولا بأس بطريقة تحليل المصطلحات الأساسية القرآنية ، فإن هذه الطريقة ليست جديدة مبتكرة ، وقد اتبعها كثير من علماءنا قديماً ، كل ما في الأمر أن الأستاذ إيزوتسو أضاف عند التطبيق ما وصل إليه علم السنتية بعد تطور المنطق الحديث .

النظرية التي يذهب إليها المؤلف يمكن

وبقابل بينهما ، كما نرى في سورة آل عمران حيث جاء : « وقل للذين أتوا الكتاب والأميين ، والمقصود من الأميين في هذه الآية عبدة الأصنام ، وهم الذين لم ينزل عليهم كتاب سماوي .

فإذا مضينا في تحليل مصطلح الأميين أكثر من ذلك ، رأينا أنه يشمل ثلاثة أفكار متصلة به ، أنهم بغير كتاب ، وأن الله يرسل إليهم رسولا يحمل إليهم ما يوحى إليه ، وأنهم قبل نزول الكتاب عليهم كانوا في ضلال ، كما جاء في الآية الثانية من سورة الجمعة : « هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحسكة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين . »

فالعرب الذين كانوا أميين ، أي غير ذوي كتاب سماوي ، أصبحوا بعد الرسالة « أمة مسلمة » ، وهذه الأمة المسلمة تتصف بالنسبة لأصحاب الديانات الأخرى بصفتين ، أنها خير أمة ، « وأنما « أمة وسط ، كما جاء في القرآن : « كفيتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله . » وفي قوله تعالى : « وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس . »

الواقع كان أهل الكتاب في الجاهلية قد انصرفوا وضلوا بحسب ما يحكيه عنهم القرآن .

القرآن والذي يعد حجر الزاوية في نظره هو « الأمة ، وما يتفرع عنه من : أمي ، وأميون ، وأم .

وال المؤلف بطبيعة الحال يرجع إلى القرآن لتأييد وجهة نظره . ففي سورة البقرة آية ١٢٨ يقول الله : « ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك . » فالأمة المسلمة هي الجماعة المسلمة . هذه الجماعة تختلف في مبادئها وأسسها عن الجماعة في الجاهلية التي تقوم على أوامر الدم والقراية ، أما الجماعة الإسلامية - أو الأمة الإسلامية - فإن الروابط التي تفصل بين أفرادها هي الإيمان الديني المشترك لا علاقة القراية والدم . فالأصل في معنى « الأمة ، أنها الجماعة ، وفي الآية السابقة يخاطب إبراهيم ربه يطلب أن تكون أمته مسلمة لله ، وكذلك أن يكون من ذريته « أمة مسلمة ، لله .

ولما استقر الإسلام بعض الشيء ، واستقرت فكرة الأمة الإسلامية رأى المسلمون أنهم يحاطون بجماعات أخرى دينية كانت موجودة من قبل ظهور الإسلام في جزيرة العرب ، كاليهود والنصارى والصابئة ، وهذه الجماعات يسميها القرآن « أهل الكتاب ، وهكذا نرى أن القرآن يقسم عرب الجاهلية قسمين أساسيين هم :

١ - أهل الكتاب .

٢ - الأميون .

إلى آخر الآية، يقول بعد ذلك : « ثم أوحينا إليك - ( أي يا محمد ) - أن اتبع ملة إبراهيم ... » .

ولكن المستشرقين ، والأستاذ ايزنبرو يتابع دراساتهم أو يلخصها عنهم ، فاتهم ذلك المعنى الذي أشرنا إليه وراحوا يتلصسون اقتراض وجود جماعة من الخفاء في الجاهلية قبل الإسلام مباشرة ، وأن محمداً كان على صلة بهم ، وتعلم عنهم هذا الدين ، وذكروا من هؤلاء الخفاء عدد من العرب في الجاهلية منهم أو أشهرهم أمية بن أبي الصلت شاعر تقيف في الطائف . وتدور حول هذا الشاعر قصص كثيرة أقرب إلى الوضع منها إلى الحقيقة . فلما أعلن محمد النبوة غضب أمية لأنه كان يطمع أن يكون هو هذا النبي .

وهذه كلها مباحث طريفة ، ولكننا نقول إذا تعارضت الروايات التي نقلت ودونت عن الجاهلية مع ما جاء في القرآن ، فلا شك أن النص القرآني أثبت وأبقن ، لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، والقرآن إلى ذلك مرآة صادقة للعصر الذي نزل فيه على محمد عليه السلام ، فهو إلى جانب أنه وثيقة دينية أي كتاب منزل سماوي ، فإنه وثيقة تاريخية أصدق من سائر الوثائق الموجودة بين أيدينا .

محمد فؤاد الأزهري

كانوا في البداية متدينين بالدين الصحيح ، ويسمرون على الطريق المستقيم ، وأصل الدين كله هو : الحنيفية ، التي كان يدين بها إبراهيم ، ثم انحرفت هذه الحنيفية كذلك . وليس الإسلام إلا الرجوع إلى الدين الأصلي المستقيم ، وتخليص الدين القائم من الشوائب التي أفسدته . ولفظ « حنيف » من الألفاظ التي يصعب تحديدها ، وكشف الستار عنها تماماً . واللفظ يرتبط ارتباطاً وثيقاً بإبراهيم ، ففي سورة آل عمران يقول القرآن : « ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً ، وقد وردت عبارة « ملة إبراهيم حنيفاً » في أكثر من آية . وهناك تقابل واضح بين الحنيفية التي تمثل الوحدةانية وبين الشرك في الآيات القرآنية .

ولا نزاع أن العهد كان قد بعد بين إبراهيم وديانته الحنيفية وبين الديانات التي ظهرت على مر التاريخ بعد ذلك من يهودية ونصرانية ولذلك بلوح - وهذا هو الأغلب - أن الحنيفية كانت قد انقرضت . ولو أن هذه الديانة كانت باقية في الوقت الذي ظهر فيه محمد عليه السلام ، لسجل القرآن هذه الظاهرة ، والواقع أن القرآن ينص على عكس ذلك ، ونفى على أن الله « أوحى » إلى محمد باتباع ملة إبراهيم . ففي سورة النحل بعد قوله تعالى : « إن إبراهيم كان أمة قانتة حنيفاً ،

# مَنْ وَحَى الْقُرْآنَ "قَصِيدَةً"

## للأستاذ حسن جاد

يا ساقى الأرواح من كلساته      السحر كالسحر في الفاظه  
روحي فداك فهاك جامك هاته      والجرس أحلى الجرس في نبراته  
واسكب غناك في مسامع مهجتي      أعياء العقول معانياً ومرامياً  
يشد الفؤاد على صدى رناته      ورمى خول القول عن صهواته  
رتله يا غرد السماء مفصلاً      حسب النبي به دلائل حجة  
تغنو النفوس إلى بليغ عظاته      دكت صروح الشرك فوق مناته  
يا من ندماه القلوب وراحه      من كل بالغ حكمة أصنى لها  
من كرمه الباري ومن جناته      سمع الزمان وزنها لرواته  
عطر به الدنيا ، فأية نضرة      أو كل ذكر من جلالة قدسه  
أندى من القرآن في نفحاته ؟      وجعل الفؤاد ولج في دقاته  
وأشج القلوب به ، فأية نعمة      أو كل رائع قصة تأثيرها  
أشهى من القرآن في نغماته ؟      راح الجحود وهز صلب قناته  
واجل النفوس به فأية جملوة      أو كل موعظة بكى من وقعها  
أبهى من القرآن في آياته      طرف العصي وتاه في هبراته  
إن تسقى من كرمه تفتح لها      اسمع لشدر الفش في ترنيته  
حجب السماء من الإله وذاته      ينساب قدسياً على لمحاته  
\* \* \*      تحسب عصفير الربيع ترنمت  
هين من الفصحى ونبع هداية      في الروض واجتمعت على دوحاته  
بشقى غليل الروح عذب فمراته      \* \* \*

فبس من الرحمن يهدي من سرى      دنيا من الجشع البغيض ، وطام  
في ظلة الدنيا سنا مشكاته      قد ضل بالأمواء في غمراته  
يحيا به ميت القلوب بشاشته      لو أنه أصفى إلى القرآن لم  
كالجذب أحيا الغيث ميت نباته      ير ما يطب لدائه كآسائه  
تقضى دساتير العباد ، وإنما      هو طهر هذى الأرض من أوضارها  
دستوره ماض إلى غايته      وخلاص هذا الكون من آفاته  
يا باهنا روح السلام بهديه      وزكاة ما في النفس من أوزارها  
ضل الأنام عن السلام فهاته      وشفاء ما في الصدر من علته  
الكون مضطرب الخواطر حائر      ومشارع للحق والأخلاق في  
تتعثر الآمال في خطواته      آدابه تحميه من عثراته  
صدفت عن النور البهى عيونه      هودوا إليه لتستقيم حياتكم  
قتنبطت في الوم من ظلماته فأقل      وخذوا الحقيقة من لسان دعائه  
يعدو القوى على الضعيف كأنه      ما يدعو إليه سعادة  
ذئب ترصد في الخفاء لشاته      للعالم الملتاع من ويلاته  
من جاد من

# الكتاب

عرض وتقديم : للأستاذ محمد عبد الله السمان

الجديد فيه ، وأشاد بالعلماء والمحققين  
أن يتعاونوا على إخراج أكبر أثر للفراء ،  
وهو كتاب معاني القرآن ، كادعا إلى إصلاح  
النحو العربي لتيسيره .

والباب الأول ثلاثة فصول : في الفصل  
الأول عرض لعصر الفراء ، تناول الحياة  
السياسية حيث نشأ العصر الذهبي وقامت  
الدولة العباسية على أكتاف الفرس  
وازدهرت الفنون والاضطرابات وتناول  
الحياة العقلية حيث حدث احتكاك الأفكار  
وامتزاج الثقافات ، وأخيراً تناول الحياة  
الاجتماعية ، حيث أطل عليها ترف وسرف  
وثرأ ورعاء ، وامتزج الدم العربي بالدم  
الفارسي ، كما امتزج الصلاح والفساد والهدى  
والضلال ، وفي الفصل الثاني عرض المؤلف  
للفارابي حياة ومماتنا ، فحقق اسمه ولقبه  
ونسبه ومولده ، ووفاته ، الموجود منها  
والمفقود ، جملة وتفصيلاً ، كما عرض منهج

١ - أبو زكريا الفراء :

للدكتور أحمد مكي الأنصاري

أبو زكريا الفراء ومذهبه في النحو واللغة  
هو موضوع الرسالة التي نال بها الدكتور  
أحمد مكي الأنصاري من كلية الآداب جامعة  
القاهرة درجة الدكتوراة في الآداب بتقدير  
ممتاز مع مرتبة الشرف الأولى والتوصية  
بطبع الرسالة على نفقة الدولة تمجيذا وتقديراً  
وقد اهتم المجلس الأعلى لرعاية الفنون  
والآداب والعلوم الاجتماعية بفشرها ، وقام  
بطبعها في ستمائة وخمسين صفحة

قسم المؤلف دراسته عن الفراء إلى بابين ،  
تناول في الأول منها عصر الفراء وحياته  
وآثاره ، كما تناول في الباب الآخر مذهب  
في النحو واللغة ، وفي المقدمة الموجزة  
للدراصة ، أشار المؤلف إلى موضوع البحث  
وأهدافه ، ودوافعه ، ومنهجه ، ومصادره ،  
وفي الخاتمة ، لخص معالم البحث وأوضح

## الكتب

٣٦٩

الفراء في التأليف وعوامل تأثره بالمنهج ،  
الفلسفي .

٢ — الغزو الفكري :

تأليف : محمد جلال كشك  
نشرت هذا الكتاب الجاد المادف مكتبة  
دار العربية بالقاهرة للأستاذ محمد جلال كشك .  
والكتاب يقع في أكثر من مائة وأربعين  
صفحة من القطع المتوسط . وهو في إيجاز  
يناقش علاقة الإسلام بالثورة العربية ،  
ويفند المفاهيم المعادية للإسلام ، ويرى أن  
إسلامية الثورة الجزائرية هي الوضع الطبيعي  
للثورة العربية الشاملة ، ويتصدى لبعض  
النماذج المتأثرة بالغزو الفكري الاستعماري ،  
كما يكشف الستار عن الحملة الجديدة في الحرب  
الصليبية الأبدية بين الغرب والشرق والغرب  
هو قائد هذه الحملة ، ومن بين السطور لم يفك  
الكتاب أن يهتك ستر حزب البحث ويعري  
مفاهيمه التي لا مفهوم فيها .

في مدخل الكتاب يشير المؤلف قضيتين  
مهمتين . الأولى ، قضية وجودنا ، فيرى أن  
خروجنا للوطن العربي لم يكن رد فعل - حتى  
ولم بدأ كذلك - بل حتمية تاريخية نابعة  
من وجودنا ، جاءت في توقيتها الطبيعي ،  
فنحن وبالتالي ثورتنا - ما دامت تعبر هنا -  
مصريون - عرب - مسلمون ، والعدوان  
العربي على بلاد العربية منذ الحروب الصليبية  
ليس إلا امتدادا لهذه الحروب الطائفة ،

أما الباب الثاني فقد كان فصلين ، عرض  
المؤلف في الفصل الأول مذهب الفراء  
في النحو ، باعتبار المؤسس الحقيقي للمذهب  
البغدادى ، وكشف عن مظاهر النزعتين  
السكونية والبصرية عنده ، وأوضح آراءه  
في النحو ، وأثره في تيسيره ، وعرض  
في الفصل الثاني مذهب الفراء في اللغة ،  
مظاهر النزعة البصرية في مذهبه اللغوي ،  
ومظاهر استقلاله وجهوده فيه ، ولا سيما  
الثروة اللغوية التي رواها .

وفي الخاتمة لخص المؤلف المعالم الكبرى  
لنتائج البحث وبيان الجديد فيه ، كما دعا إلى  
ضرورة مواصلة الجهود لإخراج أكبر أثر  
للغراء إخراجا كاملا إلى حيز الوجود ،  
وهو كتاب ( معاني القرآن ) وإلى التفكير  
الجاد في إصلاح النحو العربي وتيسيره .

وبعد - فإن الجهد الذي بذله المؤلف  
الدكتور الأنصارى في رسالته هذه ، استحق  
بحق تقدير اللجنة التي ناقشتها حين قالت :  
لقد أظفرتنا هذا البحث بصورة واضحة المعالم  
عن حياة الفراء ، وتحقيق مفصل لطائفة  
من آثاره العلمية ، وقد أعانه استعداد أصيل  
عنده ومقدرة فائقة ، ثم صبر وثقوب فكر  
ومثابرة وجلد وغرام يوشك أن يكون هياما .

الأرض - ليست إلا عملاً وجمعياً مهادياً للثورة ثم مسرحيته جميلة التي لم يردّها مأساة إسلامية مأساة اضطهاد صليبي استمر مائة وثلاثين عاماً ومارسه كاثوليك وملاحدة وشيوعيون ، ولم يردّها مأساة هربية مأساة شعب عربي يحرم عليه التطور بلسانه ، لكي تمحى قوميته وهقيمدته ، بل أرادها مأساة جواررية وكفى ...

أما الدكتور لويس عوض ، فقد سلط عليه المؤلف أضواء مشتتة حين ناقشه في مسرحيته ( الراهب ) وكتابه ( المؤثرات الأجنبية في الأدب العربي ) وفي رأيه أن المسرحية والكتاب ترفضان كل قيم الأدب العربي أو الفكر الإسلامي ، لأنهما يمثلان أوضح صور الغزو الفكري الاستعماري .

الحق أن في الكتاب جرأة وعظماً وتحدياً وربما لجأ المؤلف أحياناً إلى السرعة في مناقشة بعض القضايا ، ولكنه على كل حال استطاع أن يهتك قناع كتاب يتقايأون في كتاباتهم أحقادهم على العروبة والإسلام ، باستثناء عبد الرحمن الشرقاوي وقد أصابه من المؤلف ما يشتم منه رائحة الغلو والإسراف .

والعجيب أن الأستاذ أنيس منصور تناول هذا الكتاب بقسوة واتهم المؤلف بأنه قاض ينطق بالأحكام وليس تحت يديه مستندات ، بينما مستندات الكتاب واضحة في كل قضاياها

وكيف ننسى ما قاله السوردي النبي في عتب الحروب العالمية الأولى ( لقد انتهت الحروب الصليبية الآن ) بعد أن اطمأن إلى الفضاء على آخر معقل للإسلام ، وهو الخلافة الإسلامية ؟ بل وكيف ننسى أن وكالات الأنباء الاستعمارية خلال نضال الجزائر كانت تشير إلى أنه قتل من الجيش الفرنسي كذا ، ومن المسلمين كذا ، وأكثر من هذا - كما يذكر المؤلف - أن مقبرة خلال نضال بور سعيد عام ١٩٥٦ كتب عليها الفرنسيون ( عشرون مسلماً ) . أما القضية الأخرى فهي الخلاف الحضاري ، وهو في رأي المؤلف خلاف حتمي بين حضارتنا والحضارة الغربية أساسه الخلاف العقيدى .

وأبرز ما في الكتاب وأعنفه معاً مناقشة المؤلف لبعض النماذج التي وآها متأثرة بالغزو الفكري الاستعماري ، ومن هذه النماذج الدكتور مصطفى محمود لدأبه على النيل من الهين والتدين ، وعقده شغفه بإغاطة المسلمين من جانب ، ومن جانب آخر لكي يبدو أمام القراء بمظهر الكاتب التقدي ، ثم غالى شكركى الذى لا يسلك الإسلام في عداد التراث الإنسانى ، ولا يعتبر المسلمين عنصراً لا بد من إضافته في وضع قوانين عامة للجنس البشرى ، ثم عبد الرحمن الشرقاوي الذى أن أم ادعاء له بالثورية - وهى قصة

صحيفة الأخبار اليومية ، لينشر بها أيانا  
نظمها القاهر حافظ إبراهيم في تقرير ديوان  
صغير نظمه ، وقلب المرحوم المازني بعض  
صفحات الديوان فزم شفته وهز رأسه ،  
ولم يكتب بأن الشعر لم يجبه بل قال  
لا يستحق النقد ، وسنحت الفرصة مرة  
أخرى ليلقي العقاد في قهوة متانيا بالأزبكية  
ويعرض عليه نماذج من شعوه المخطوط ،  
وكانت نصيحته له : إن الشعر شيء آخر غير  
الديباجة الحسنة ، الشعر أن تحس وتعبر  
تعبيراً جيلاً عما تحس . وكان بما أشار به  
عليه أن يقرأ كثيراً من الكتب ، ويعقب  
الأستاذ الجبلاوي بقوله : كان انا في حل حق ،  
ولكنه كان حقاً سليباً يمينا ، وكان العقاد  
على حق ، ولكنه كان حقاً إيجابياً مفيداً .  
حدثنا المؤلف عن العقاد في نشأته ،  
وفي المدرسة حيث كان في حياته مدرستان :  
مدرسة التعليم الابتدائي ليتلقى التعليم  
على أيدي أساتذة مفروضين ، والمدرسة  
الأخرى مدرسة الكتاب وقد اختار  
أساتذتها بنفسه ، وقد كانوا جميعاً من جلة  
المؤلفين المشهود لهم بالسمو وحدثنا عن العقاد  
في الوظائف ، حيث اشتغل بوظائف الحكومة  
وبالتهريس ، في المدارس الأهلية ، ولكن  
لم يطل أمد اشتغاله بأي منها ، فكان يرى  
في وظائف الحكومة قيلاً وخضوعاً ،

وهيب الكتاب بعد ذلك هنيئته بأمثال  
غالي شكري ، وهو أضعف وأهون من أن  
يكون الرد عليه موضوعاً في كتاب ، إلا إذا  
جاز لنا قد أن يصوب مدقاً رشاشاً على ذبابة  
قطن في مجالها ، وعيب آخر في الكتاب  
كثرة الأخطاء اللغوية ، ولو أن هذا وذاك  
لم يفقد الكتاب قيمته الأدبية ، وهو يمثل  
وجهة نظر إسلامية وعربية معاً .

\*\*\*

### في صحبة العقاد

للأستاذ محمد طاهر الجبلاوي

هذا الكتاب الذي أصدرته مكتبة  
الأنجلو المصرية - يقع في مائتين وعشرين  
صفحة من القطع المتوسط ، والمؤلف أقدر  
أصدقاء العقاد على الكتابة عنه . فقد صحبه  
وكاتباً قوى الحجة ناصع البيان ، وشاعراً  
وقيق الحس رفيع الخيال ، وصحبه صديقاً  
حميماً ، ولازمه في الغدوات والروحيات  
نيفاً وأربعين سنة ، وهو يقرر في تمهيد  
الكتاب بأن كتابه لن يكون تعريفاً بالعقاد  
كما قد يقبدر إلى الذهن ولا درساً لأدبه  
وحكمته ، ولكنه صفحات مطوية لعلها  
تنشر لأول مرة ، يسجل فيها ذكريات  
غاليات عن الحقبة التي لازم فيها العقاد .

حدثنا الأستاذ الجبلاوي عن أول لقاء له  
مع العقاد وكان ذلك في عام ١٩٢٢ ، بدار

كلمة واحدة أريد أن أقولها : ذكريات العقاد مع الجبلاوى أكبر عشرات المرات من هذا الكتاب ، وربما كان هذا المؤلف أنه ليس من اليسير أن يكتب كل أسرار العقاد ، ولكن أسرار العقاد أصبحت جزءاً من تاريخ العقاد ، بل جزءاً من تاريخ الأدب والسياسة في مصر في أكثر من نصف قرن .

### كتب جديدة

#### رجال مول الرسول

للاستاذ خالد محمد خالد

دار الكتب الحديثة - القاهرة

اختار المؤلف عشرة من أصحاب الرسول السابقين إلى الإسلام ، وعرض شخصياتهم عرضاً تحليلياً في أسلوب أدبي رفيع ، مسلطاً الضوء على مركز العظمة في كل شخصية ، منهم مصعب بن عمير أول سفراء الإسلام ، وسلمان الفارسي الباحث عن الحقيقة ، وأبو ذر زعيم المعارضة ، وعبد الله بن عمر المثار بالأواب ، ومعاذ بن جبل أهلهم بالحلال والحرام .

#### مى أدبية الشرق والعروبة

للاستاذ محمد عبد الغنى حسن

عالم الكتب - القاهرة

يقع الكتاب في حوالى ثلثمائة وأربعين صفحة ، وهو دراسات عن مى زيادة الأدبية المعروفة ، ودورها في ميدان الأدب ، وقد ( البقية على صفحة ٢٨١ )

وفي وظائف التدريس فوضى وخنوطا ، كما حدثنا عن العقاد رافع راية التجديد في عصر اعتمد الشعر فيه على المحاكاة وتقليد المتقدمين في استعراض الديباجة الحسنة والقوالب الرصينة قبل أن يستعرض المعاني والآحاسيس ، وعن العقاد الصديق ، ثم قدم نماذج من أشعار وأزجال تبودلت بين المؤلف والعقاد في رسائل .

كما حدثنا المؤلف عن العقاد السياسى الذى اشتغل بالصحافة لأنها عمل وطنى يتيح لصاحبه أن يدافع عن وطنه ميدان السياسة ويزود عنها أعداء الحرية والاستقلال ، وعن العقاد في بيته حيث عاش المؤلف معه في بيته لا هيا وبما صاخبا ، وراضيا عن أناس تارة وساخطا على أناس تارة أخرى ، أما المرأة في حياة العقاد فيذكر الأستاذ الجبلاوى أنه حين سأل العقاد لماذا لم تتزوج ؟ فأجاب بأنه لا يسكره الزواج ولا يآباه ، ولكنه طبع على أنه لا يشاركه أحد في حياته لأنه لا يطبق هذه المشاركة . ومع ذلك فلم يخل قلبه من حب المرأة فقد شغل بالحب في صباه الباكر وذاق عذوبة القرب ومرارة الحرمان ، وفي الفصل الأخير حدثنا المؤلف عن أخلاق العقاد عن شعره الذى ارتحمت فيه شخصيته وتبينت صفاته ، ومن أبرزها قوة شخصيته وصلابتها واحتمالها للشدائد .

نعلي :

العقد - من وجهة نظر الدين بالتفصيل الذي ذكرته لجنة الفتوى الموقرة - صحيح ما في ذلك شك ، غير أنه يجدر القول هنا إن حكمة الأب عليها معول كبير ؛ إذ واجبه يدهوه لأن يدرس - مباشرة أو بسبب - ميول ابنته بتعمق ، فإذا وجد أن أسباب الكراهية مما يزول مع الأيام فليتطف معها بالقول الهادي والنصيحة الأبوية الرقيقة حتى قلبها أن يتفتح لزوجها فتشاركه حياة لا تنقصها السعادة .

أما إذا تأكد لديه استحالة ذلك فدفعاً للضرر وتجنباً لما قد يؤدي إليه مثل هذا الزواج من غالفات دينية أنصح بعدم إتمامه ودين الله يسر وما جعل عليكم في الدين من حرج والحشية مما يصاحب نصم العقد من أقاويل تمس الزوج وتعقد حياته - الأمر الدافع على إصراره كما يبدو - هذه الحشية تدفعها خشية أشد من مصائب أنكى يأتي بها إصراره على التمسك بحياة زوجية لا تجاوب فيها واقع الموقف .

ابراهيم محمد الأصيل

(بقية المنشور على صفحة ٣٧٢)

سبق للتألف أن أصدر كتاباً عن (م) عام ١٩٤٢م إلا أن الزيادات الكثيرة التي أضافها للطبعة الأولى جعلت كتابه الأخير هذا جديداً بحق .

يوم العربية :

للأستاذ مصطفى نعمان البدرى

مكتبة دار المروبة - القاهرة

محاكاة شعرية في تمثيلية تقع في ثلاثة فصول قصيرة ، وهي تصوير لمهرجان الوحدة العربية ، وقد راجعها الأستاذ عادل غضبان .

ومى النهضة الوطنية :

في الخطب المنبرية

للأستاذ الشيخ على رفاعى

مكتبة صبيح بميدان الأزهر

ثم بتقديمه نماذج لدروس الوعظ من التفسير والحديث .

الحب عند العرب :

للأستاذ أحمد تيمور

لجنة نشر المؤلفات التيمورية

هذا الكتاب ينشر لأول مرة ، وهو من المخطوطات القيمة التي تناول الحب في أرفع معانيه وأسمى اتجاهاته ، من حقل الأدب العربى شعراً ونثراً وقصة .

محمد عبد الله السمان

# انباء وآراء

## الإمام الأكبر شيخ الجامع الأزهر

صدر قرار جمهوري في الأسبوع الأخير من شهر يوليو الماضي بتعيين فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ حسن مأمون شيخا للأزهر ، وباعتبار فضيلته الشيخ التاسع والثلاثين في تعداد شيوخ الأزهر ، ومن الجدير بالذكر أن منصب شيخ الأزهر شاغر منذ ١٣ ديسمبر الماضي إثر وفاة فضيلة الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت .

وفضيلة الإمام الأكبر الشيخ حسن مأمون من مواليد عام ١٨٩٤ بحى الخليفة بالقاهرة ، وظل يعمل في مناصب القضاء بمصر والسودان خمسة وأربعين عاما ، وفي عام ١٩٤١ عين قاضيا لقضاة السودان وظل في منصبه ست سنوات عاد بعدها إلى القاهرة - بعد موافقة الوطنى المعروف - رئيسا لمحكمة مصر الابتدائية الشرعية ، ثم عضوا في المحكمة الشرعية العليا ثم نائبا لها ثم رئيسا ، وفي عام ١٩٥٥ عين مفتيا لديار المصرية خلفا لصاحب الفضيلة الشيخ حسين مخلوف إلى أن أحيل إلى الاستيداع . وكان أن صدر القرار الجمهوري في أواخر شهر يوليو الماضي

بتعيينه إماما أكبر وشيخا للجامع الأزهر . وينص قانون تطوير الأزهر الذى صدر في يونيو ١٩٦١ على أن شيخ الأزهر هو الإمام الأكبر وصاحب الراى فى كل ما يتصل بالشئون الدينية والمهتغلين بالقرآن وعلوم الإسلام ، وله الرئاسة والتوجيه فى كل ما يتصل بالدراسات الإسلامية ، ويرأس المجلس الأعلى للأزهر .

هذا ومجلة الأزهر إذ تهنى الإمام الأكبر بهذا المنصب الكبير تسأل الله عز وجل أن يكتب له التوفيق فى رسالته الإسلامية الكبرى ، فلم تزل الشعوب الإسلامية قاطبة تنظر إلى الأزهر الشريف باعتباره منارا للإسلام ورافعا لواءه وذائدا عن حماه ، والذى يجب أن يناط به وبعلائه الأجلاء الوقوف لصد تيارات الإلحاد وموجات التبشير فى معظم بلاد المسلمين ، ولإنبات وجوده للإسهام فى إقرار السلام العالمى إزاء هذه القلاقل الموزعة بين أركان العالم تهدد السلام وتنذر بشرر حرب عالمية ثالثة . أمد الله فى حياة الإمام الأكبر وكتب للأزهر فى هده ما يرجوه من نهوض وتقدم يليقان بمكاته .

### مدير جامعة الأزهر

كان لصدور القرار الجمهوري في ١٤ يوليو الماضي بتعيين العالم الأديب فضيلة الشيخ أحمد حسن الباقوري مديراً لجامعة الأزهر هزة سرور غمرت الأوصاط الأزهرية وغير الأزهرية.

والذي لا شك فيه أن الجامعة الأزهرية في تطورها الجديد - حيث أريد لها أن تدخل معترك الحياة في شتى ميادين المعرفة ، كانت في حاجة إلى عالم أديب كالشيخ الباقوري ، عرف عنه بالإضافة إلى علمه ، سعة أفقه ، ومرونة تفكيره ، وتمتعه بطاقة كبرى من الحيوية والنشاط .

وجمة الأزهر إذ تنهى الشيخ الباقوري بهذا المنصب الرفيع ، تنهى جامعة الأزهر بآبن من أبنائها ، سيب لها كل يملك من طاقات وجهود في سبيل النهوض بها .

\*\*\*

### مدير مجرى الأزهر

سافر في الأسبوع الأول من شهر سبتمبر الأستاذ الكبير أحمد حسن الزيات مدير مجلة الأزهر إلى أسبانيا حيث يجري له طبيب العيون العالمي الدكتور باراك عملية جراحية في عينه في مستشفى بيرشلونة .

والجمله تسأل الله سبحانه أن توافقه السلامة في ذهابه وإيابه ، وأن يكمل العملية بالنجاح .

### أهدم للمربع أم نجو بدمه ؟

بمناسبة ما ينشره الدكتور محمد أحمد خلف الله مدير إدارة المجلات التابعة لوزارة الثقافة والإرشاد تحت عنوان : « التجديد الديني ، أبعد هذا إلى قادة الفكر الإسلامي مستفسراً عن مدلول عبارة « التجديد في الدين » ، لأنها أصبحت تداعب اليوم تفكير عدد من الناس .

وهل يفهم من هذا التجديد تجديد رسوم الدين الذي أبله المتبدعون والمصابون بالخلو الذهني في عصور الانحطاط ، كما فعل حجة الإسلام الإمام الغزالي في إحيائه المتدفق بالروح والريحان ، ومحمد إقبال في محاولاته التجديدية ، أم هو محاولة لتفتيت الأحكام الشرعية ، المبنية على أسرار عظيمة لا يدركها إلا الذين امتزج إيمانهم بالإخلاص ؟

أظن - وليس كل الظن إثماً - أن الحقيقة الناصعة لا ترتبط بالآخر ، الذي يتناول به المتطاولون على الإسلام :

فانظر إلى الأخوين من أدناهما شياً بوالده فذاك الماجد

أين الحدود من العيون نفاسة ورياسة لولا القياس للفاصد

ومهما يكن من أمر فإنني أهيب بقيادة الفكر الإسلامي أن يواجهوا هذا التطاول

والأسبوعية على الأخص تعيش في واد بعيد عن حاضرنا ومستقبلنا ، فلم تزل تواصل نشر الأدب المكشوف ، وتشجع الانحلال الخلق باسم المدنية والحرية الشخصية ... ومثل هذا الأدب الحرام - كما أسماه أستاذنا الزيات - ينخر في كيان شبابنا الذي نحن في أمس الحاجة إلى رجولته وإيمانه إن لم يكن اليوم ، فلا بد أن يكون في الغد القريب ...  
محمد ربيع عبد الماجد  
مدرس بأسوان

• انعقد مؤتمر القمة العربي الثاني بقصر المنزة بالإسكندرية من ٥ - ١١ من شهر سبتمبر ١٩٦٤ ، وقد تحققت هذه الدورة إنجازات جديدة في دعم التضامن والعمل العربي المشترك .

هذا وقد اتخذ المؤتمر القرارات الكفيلة بتنفيذ الخططات العربية ، وخاصة في المجالين العسكري والفني ، بداية العمل الثوري في المشروعات العربية باستغلال مياه نهر الأردن وروافده ، ومنها قيام منظمة التحرير الفلسطينية دعماً للكيان الفلسطيني ، ومنها تصفية الجو العربي ، وتأييد كفاح الشعوب ضد الاستعمار ، وفي مقدمتها شعب الجنوب العربي ، ومن هذه القرارات أيضاً تأليف مجلس عربي مشترك للبحوث الفكرية للأغراض السلبية في نطاق الجامعة العربية وإنشاء محكمة الدول العربية .

على شريعة الإسلام ، وقد بدت بوادر طيبة نرجوها المزيد .

صالح بن أحمد السنغالي  
بالدراسات العليا - الأزهر الشريف  
\* \* \*

عاجتنا إلى شباب مجاد :  
كما أن الأمة في حاجة إلى حكمة الشيوخ ، هي في حاجة أيضاً إلى فتوة الشباب ، ولقد كانت الأمة الإسلامية بشبابها الجاد مهيبة الجانب ، منذ فجر انطلاقها لنشر دعوة الحق ، والوقوف إلى جانب الشعوب المغلوبة على أمرها في فارس وغيرها ، ولو شئت أن نقسم : ما العروءاء هذه الانتصارات المذهلة مع الفارق بين القوتين ، لا يفتت بأن من وراء هذه الانتصارات شباباً جاداً لم يعرف العيب في حياته ، شباباً وهب كل حياته ووجوده لمقيدته وإيمانه ...

والعروبة اليوم تقف في مفترق الطرق ، تتحدى قوى الاستعمار غير وجلة ولا هيابة ، وتصر على أن يحمل هذا الاستعمار عصاه ويرحل من كل شبر في أرض عربية ، وربما اضطرت العروبة إلى مواجهة الاستعمار مرة أخرى كما سبق لها أن واجهته في بورسعيد ، والواجب يحتم علينا أن نكون على أهبة الاستعداد ، وأن نهيب شبابنا إلى خوض المعركة معه رجولته وإيمانه .

ولكن المؤسف أن بعض صحفنا

هذا وقد ووفق أن ينعقد مؤتمر القمة العربي في شهر سبتمبر من كل عام ، وسيكون انعقاده في العام القادم في المغرب العربي إن شاء الله .

• بدأ الإمام الأكبر شيخ الجامع الأزهر دراسة المشروعات الجديدة في الخطة الخمسية الثانية مع كبار المسؤولين في إدارة الأزهر وتبلغ تكاليف هذه المشروعات حوالى خمسة ملايين جنيه ، وفي مقدمة هذه المشروعات : إنعاش مجمع جديد الأزهر على مساحة خمسة عشر فدانا بالدراسة يضم جميع الأجهزة الفنية والإدارية وإدخال التعليم الفني الأول مرة في الأزهر ، وإقامة مبنى جديد للمعهد النموذجي للبنين ، ومبنى آخر لمعهد القاهرة ، ولأول مرة كذلك تقرر إنشاء خمسة وعشرين مدرسة ابتدائية لقبول الأطفال من سن السادسة .

• • •

• تدرس وزارة الأوقاف حالياً مشروعا يهدف إلى مساعدة الطلبة على التقدم العلى عن طريق تنظيم دروس إضافية لطلبة الكليات العلمية بالجامعات وطلبة الثانوية العامة تبلغ ، تكاليف المشروع نحو ٨٧ ألف جنيه ويستفيد منه ٣٠٠ طالب جامعي و ٢٠٠ طالب ثانوي .

• • •

• قررت وزارة التربية والتعليم النهوض

بمستوى تدريس مادة الدين في المدارس بتخصيص ٢٥ ٪ من النهاية الكبرى لدرجة الدين من النسبة المخصصة لأعمال السنة اسلوك الطلاب في المجالات المدرسية المختلفة بقدرها رائد الفصل وتوفير مكان لائق في كل مدرسة لإقامة الشعائر الدينية وتزويد المكتبات المدرسية بما يحتاج إليه من كتب في شق النواحي الدينية وتنظيم مسابقات بين الطلاب في الموضوعات الإسلامية .

• • •

• من الأخبار العالمية أن البحرية الأمريكية استطاعت أن تصمم منزلا كاملا لأربعة من العلماء يعيشون داخله في أحماق المحيط حيث اتجهت الأبحاث التي تجرى الآن إلى استغلال المساحات الشاسعة ، ومن الجدير بالذكر أن المحيطات في العالم تشغل ما يقرب من ثلثي المساحة الكلية للأكرة الأرضية .

• أصدرت الأمم المتحدة منذ أسابيع كتاب التعداد السنوي ، وذكر أن تعداد سكان العالم يتزايد بمحوالى ٦٣ مليون نسمة سنويا على الأقل نتيجة ارتفاع المراتلده عن الوفيات ، هذا ويقدر عدد سكان العالم في الوقت الحاضر بمحوالى ثلاثة آلاف وربع مليون نسمة وسكان الصين الشعبية وحدها يمثلون ٢٠ ٪ من سكان العالم .

السلامة

# فتاوى مخنمة

تقديم : ابراهيم محمد الحصيل

( الإجابة للجنة الفتوى بالأزهر )

- قراءة القرآن لدى القبر - الوليمة - الأديعة -  
هل الصلاة سورة خاصة - البيع بالمسجد -  
كتابة القرآن والحديث بالحروف اللاتينية -  
التصوير - الاشتغال في حانات الخمر ،  
وزراعة موادها الأروية .
- كما يفعل الناس الآن ، وهل ورد من السنة  
شيء في هذا ، وهل يثاب الميت بالقراءة ؟  
٧ - هل لصلاة التراويح دعاء خاص  
يدعوه المصلي بعدها ؟  
٨ - هل يجوز كتابة القرآن أو الحديث  
النبوي بالحروف اللاتينية ؟
- السؤال :

- ١ - هل يجوز قراءة القرآن حول القبر ،  
ما حقيقة تلقين الميت بعد دقته ؟  
٢ - أيجوز للمسلم أن يولم كالأفريقي ،  
أعني اتباع نظامهم في حفلات الزفاف ؟  
٣ - هل توجد أديعة خاصة للشهور  
الأخرى كما في نصف شعبان ورمضان ؟  
٤ - أجعل الله سوراً من القرآن خاصة  
للصلاة من الصلوات الخمس ؟  
٥ - أصبح من المؤلف أن نرى بعض  
الباحثة يزاولون حملهم في بيوت الله ، ما الحكم  
في هذا ؟ ولدينا الآن أوراق البيا نصيب تباع  
في كل مكان فما حكم الإسلام فيها ؟  
٦ - هل يجوز قراءة القرآن في المآتم
- ٩ - ما حكم التصوير ، والمصور في الإسلام  
أحرام أم حلال ؟  
١٠ - في حياتنا الراهنة نرى بعض  
المسيحيين يساهمون في بناء المساجد ويبادلم  
المسلمون نفس الشهور ويساهمون في إقامة  
الكنائس فما حكم الدين في هذا ؟  
١١ - المسلمون غزوا ميدان العمل  
واشتغلوا في كل شيء حتى حانات الخمر  
مالكين لها أو عاملين فيها وتجاوزها البعض  
إلى زراعة مواد إنتاجها فما حكم الدين  
في هذا ؟
- إسحاق أجاكسوزي الأوغندي  
(الرابطة الإفريقية بالرمالك)

والأوقات لا مانع من استعمالها والاختيار بها متى ثبتت .

عن الرابع : نفيد بأن المطلوب قراءة السورة أو بعضها بعد الفاتحة أية سورة كانت من القرآن وتحصل بذلك السنة والأكمل أن يقرأ في الصبح والظهر بطوال المفصل الذي أوله سورة الحجرات وآخره آخر النازعات وفي العصر والعشاء أو اسط المفصل وأوله سورة هبس وآخره آخر الليل ، وفي المغرب قصاره وأوله والضحي إلى آخر القرآن كما أن الأفضل أن يقرأ في صبح الجمعة بالم تنزيل وهل أنى ...

عن الخامس : عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ( إذا رأيتم من يبيع أو يبتاع في المسجد فقولوا لا أبيع الله تجارتك وإذا رأيتم من يشتد فيه ضالة فقولوا لا ردما الله عليك ، وحسنه الترمذي ، من هذا يعلم أن البيع والشراء وطلب الضالة في المسجد حرام ) قال تعالى : وإن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا ، فالمساجد بنيت للعبادة .

أما أوراق اليانصيب فإن بيعها من باب القمار بالميسر يمنع مطلقا فإن حصل ذلك في المسجد كان أغلظ ، فإن الله تعالى حرم الميسر بنص القرآن حيث قال : يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب

الجواب :

عن الأول : نفيد بأن قراءة القرآن للبيت جائزة شرعا ويكون ثوابها له متى كان القاري قد وهبها له ، ويكون للقاري ثواب على ذلك .

وسواء أكانت القراءة عند القبر أو بعيداً . وهذا عند كثير من الأئمة ، كما تنفعه الصدقة والدعاء له بإجماع العلماء .

وبحوز كذلك تلقين المريض في حالة الاحتضار وتلقين الميت بعد دفنه كلمة الشهادتين وعقيدة الإيمان ويكون التلقين في حالة الاحتضار برفق ، وتلطف حتى لا يسأم المريض في هذه الحالة العصبية .

عن الثاني : نفيد بأن الوليمة في العرس مستحبة شرعا ويدهى إليها بلا تفرقة بين الأغنياء والفقراء ويجب ألا تشمل الوليمة على شيء محرم كشراب ما يسكر أو اختلاط الرجال بالنساء أو الرقص أو نحو ذلك وإلا كانت حراما .

عن الثالث : نفيد بأن الدماء مطلقا مشروع قال تعالى : وقال ربكم ادعوني استجب لكم ، وقال تعالى : وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان ، وفي الحديث : الدماء في العبادة ، وقد وردت أدعية مأثورة في بعض المواسم

ومساهمة الكافر في بنائها لا مانع منه ويخفف عنه بها من عذاب غير الكفر ، أما بناء الكنائس فحرام وأقطع في الحرمة أن يسام المسلم في بنائها .

وهن الآخيرة : تفيد بأن صنع الخمر والاتجار بها بيعا أو شراء حرام شرعا بآثم عليه مرتكبه أما زراعة المواد التي يتخذ منها المسكر أو المخدر فإذا كانت لا تصلح إلا لذلك فزراعتها ممنوعة فإن صلحت لغير الإسكار كالغلب مثلا يتخذ للأكل كانت الزراعة مباحة .

حكم الزواج العرفي المستوفى لشروط

العقد الصحيح

السؤال :

تزوج رجل بامرأة بعقد عرفي مستوفى لجميع شروط عقد الزواج الشرعية فما حكم هذا الزواج ؟

عبد اللطيف حلیم

الجواب :

حيث تم عقد الزواج بإيجاب وقبول شرعيين وبحضور شاهدين شهدا على ذلك فقد صح العقد شرعا ووجب الصداق وترتبت عليه آثاره من لزوم النفقة ولحوق النسب والتوارث بينهما - إذا مات أحدهما - إذا لم يقرن

والأزلام رجس من حمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون ، .

وعن السادس : تفيد بأن قراءة القرآن مطلقا عبادة يثاب عليها القارئ والمستمع فإذا كان ذلك في المأثم كما يفعل الآن فلا مانع منه ويستتفع الميعت بالقراءة إذا قرأ بقصده أو قرأ عنده أو وهب ثواب القراءة له .

وهن السابع : تفيد بأن صلاة التراويح كغيرها من الصلوات يدعو الله تعالى بعدها بما يدعو به بعد غيرها من الصلوات .

وعن الثامن : تفيد بأنه لا تجوز كتابة القرآن بالحروف اللاتينية وكذا أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ، ضيافة للنصوص الشرعية عما لا يؤمن معه الخطأ في مدلولها المقصود ولا مانع من تفسير القرآن والمحدث وترجمة التفسير بغير اللغة العربية للاستفادة .

وهن التاسع : تفيد بأن التصوير لغير ذي الروح من الأشجار والأزهار والمباني وغيرها جائز وكذا لغير الروح إذا كان بهيئة لا يعيش بها وإذا كان لغرض التثقيف كان أولى بالجواز فإن كان بهيئة يعيش بها كان حراما .

وهن العاشر : تفيد بأن بناء المساجد مشروع قال تعالى : وإنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر ... الآية ،

عداء وبغضا مستحكين بينهما من الصغر ،  
فأسقط في يده .

وأخيرا امتنعت عن تسليم نفسها لابن عمها  
كما أصر هو من جانبه على ألا يطلقها فالحكم  
لإختلاف آراء العلماء في جنوب الجزيرة  
الربية .

أبو بكر أحمد حسين العيدروسى

الجواب :

العقد المسئول عنه في هذا الاستفتاء صحيح  
فإن والد الفتاة له الحق في تزويجها من غير  
استئذنها باعتباره والدها المجر لها ، دون

توقف على رأيها كما هو في مذهب مالك والشافعي  
وأحمد ورضي الله عنهم وفوق هذا فوالدها  
تابع السنة النبوية وأخبرها ، واستأذنها

في تزويجها من هذا الخاطب فأذنت بقولها  
« الرأى في ذلك لوالدى ، وذلك صريح  
في الإذن والتوكيل كما هو المطلوب في مذهب  
أبي حنيفة .

وبهذا صارت موافقة ، وصار العقد سليما  
من كل شبهة وعليها أن تسلم نفسها للزوج .  
وأما ما يقال بعد ذلك من أنها على خلاف  
سابق منذ الصغر مع هذا الزوج فهو غير  
مانع من صحة العقد السالف لأن هذا كلام  
فهر جدى فيما يظهر .

وهي فرض صدقها فيه فقد أذنت ،  
وأذنها سابقا يسقط حقها في الاعتراض بعد  
قوات أوانه .

ذلك بمانع شرعى غير أن عدم توثيق هذا  
العقد رسميا أمام المأذون أو في محكمة الأحوال  
الشخصية يجعله عرضة للإنكار إن لم يكن  
من الزوجين فيما بينهما فقد يكون ممن يطلع  
على ذلك من غيرهما وإن كان قد كتب بذلك  
ورقة هرفية فهذه الورقة عرضة للضياع  
وعرضة لعدم الاعتراف بها أمام القضاء  
خاصة إذا مات الشاهدان اللذان وقعا  
على هذه الورقة هذا فضلا عما قد يقترن بذلك  
من احتمال إنكار الولد وضياع نسبه إن حصل  
إنجاب ولد بينهما .

حكم عقد زواج البكر إذا استؤذنت  
وأفادت بما يفهم منه القبول وظهور  
العكس .

السؤال :

بنت تبلغ العشرين من عمرها أراد والدها  
أن يزوجه لابن عم لها فأرسل إليها والدتها  
وبعض أقاربها الذمومة ليخبرنها عن ذلك  
فكان ردها « الرأى في ذلك لوالدى ، غير  
أنها أبدت بعد ذلك انكاشا وأصبحت  
تسبى ليل نهار ، وقد حمل أهلها ذلك على  
أنها عادة تعودت البنات العذارى عليها عند  
ما يبلغن لمن مثل هذا الخبر .

ومضى الوالد وعقد لها على ابن عمها هذا ،  
وبعد انقضاء مراسم الزواج بعدة أيام ظهر  
لوالدها ما لم يكن يعلمه من قبل ، ظهر أن هناك

نعلي :

العقد - من وجهة نظر الدين بالتفصيل الذي ذكرته لجنة الفتوى الموقرة - صحيح ما في ذلك شك ، غير أنه يجدر القول هنا إن حكمة الأب عليها معول كبير ؛ إذ واجبه يدهوه لأن يدرس - مباشرة أو بسبب - ميول ابنته بتعمق ، فإذا وجد أن أسباب الكراهية مما يزول مع الأيام فليتطف معها بالقول الهادي والنصيحة الأبوية الرقيقة حتى قلبها أن يتفتح لزوجها فتشاركه حياة لا تنقصها السعادة .

أما إذا تأكد لديه استحالة ذلك فدفعاً للضرر وتجنباً لما قد يؤدي إليه مثل هذا الزواج من غالفات دينية أنصح بعدم إتمامه ودين الله يسر وما جعل عليكم في الدين من حرج والحشية مما يصاحب نصم العقد من أقاويل تمس الزوج وتعقد حياته - الأمر الدافع على إصراره كما يبدو - هذه الحشية تدفعها خشية أشد من مصائب أنكى يأتي بها إصراره على التمسك بحياة زوجية لا تجاوب فيها واقع الموقف .

ابراهيم محمد الأصيل

(بقية المنشور على صفحة ٣٧٢)

سبق للتألف أن أصدر كتاباً عن (م) عام ١٩٤٢م إلا أن الزيادات الكثيرة التي أضافها للطبعة الأولى جعلت كتابه الأخير هذا جديداً بحق .

يوم العربية :

للأستاذ مصطفى نعمان البدرى

مكتبة دار المروبة - القاهرة

محاكاة شعرية في تمثيلية تقع في ثلاثة فصول قصيرة ، وهي تصوير لمهرجان الوحدة العربية ، وقد راجعها الأستاذ عادل غضبان .

ومى النهضة الوطنية :

في الخطب المنبرية

للأستاذ الشيخ على رفاعى

مكتبة صبيح بميدان الأزهر

ثم بتقديمه نماذج لدروس الوعظ من التفسير والحديث .

الحب عند العرب :

للامامة أحمد تيمور

لجنة نشر المؤلفات التيمورية

هذا الكتاب ينشر لأول مرة ، وهو من المخطوطات القيمة التي تناول الحب في أرفع معانيه وأسمى اتجاهاته ، من حقل الأدب العربى شعراً ونثراً وقصة .

محمد عبد الله السمانه

# في محيط العالم الإسلامي

بمقدم : محمد عبد الله السمان

بين باكستان والهند :

سافرت في الأسبوع الأول من شهر سبتمبر إلى باكستان بعثة هندية غير رسمية برئاسة نارايان ، وهو زعيم سياسي مستقل عن الأحزاب ، للعمل على تحسين العلاقات بين البلدين ، وقد اجتمعت البعثة مع الرئيس الباكستاني أيوب خان .

ومن المعروف أن مشكلة المشكلات بين الهند وباكستان هي مشكلة كشمير .

قضية عمان :

بدأت لجنة التحقيق في تطورات عمان في أول سبتمبر مهمتها في الاستماع لأراء ممثلي عمان في الشرق الأوسط وهذه اللجنة الخامسة تابعة للأمم المتحدة برئاسة عبد الرحمن بازواك مندوب أفغانستان ، وقد تنقلت من الدمام إلى الكويت إلى القاهرة هذا وقد رفضت بريطانيا السماح لأعضاء اللجنة بزيارة إمارة عمان نفسها ، مما اضطرها إلى عقد مؤتمرات في لندن .

بين أندونيسيا وماليزيا :

لم يزل النزاع بين أندونيسيا واتحاد ماليزيا على أشده ، حتى أوشك أن يهدد باندلاع السنة الحرب بينهما ، ولا سيما بعد تسلي فدايين أندونيسيين إلى سنغافورة والملايو وهما هضبان في الاتحاد ...

وعلى الرغم من أن أمريكا نصحت بريطانيا بعدم العمل على إشعال حرب ، إلا أنه قد تحركت منذ أيام قوات وسفن وأسلحة بريطانية لمواجهة هجمات الفدائيين الأندونيسيين التي أصبحت تمتد الآن من بورنيو إلى قلب الملايو .

إن صوكانو رئيس جمهورية أندونيسيا ينهم الملايو بأنها كانت تشجع الثوار ضده في سوماترة عام ١٩٥٨ . ومن الجدير بالذكر أن اتحاد ماليزيا يضم ١٠ ملايين ، ويعتبره زعماءه محاولة للوقوف في وجه الشيوعية ، وقد تعهدت بريطانيا في اتفاقها بالدفاع عن ماليزيا .

شكل مارد جبار يعتقد أنه ذو أهمية دفاعية .

كشمير :

اعتقل باكش غلام محمد رئيس وزراء كشمير السابق بتهمة تأييد المنشقين على الحكومة ، كما اعتقل خمسة من كبار أعضاء البرلمان بمقتضى قانون الدفاع عن الهند .

وتواجه حكومة كشمير الحالية تهديداً بهزيمتها في المجلس التشريعي للولاية ، بعد أن اتخذ اثنان وأربعون من حزب المؤتمر القومى الحاكم قراراً بعدم تأييدها وقد اتخذوا هذا القرار — على حد قولهم — لأن حكومة غلام محمد صادق لا تستطيع إدارة البلاد بطريقة مناسبة .

ورئيس الوزراء المعتقل تولى رئاسة وزارة كشمير لمدة عشر سنوات خلفاً للشيخ عبد الله الذى اعتقل عشر سنوات لمانهضة سياسة الهند في كشمير ، ومن الجدير بالذكر أن كشمير ولاية يمثل المسلمون فيها ٨٠ ٪ .

المملكة العربية السعودية :

قررت وزارة المعارف السعودية فتح ٨٠ مدرسة لمحو الأمية بالإضافة إلى المدارس الموجودة حالياً .

وقد صرح وزير المعارف أن الوزارة حريصة على رفع مستوى جميع المعاهد والكتليات بالمملكة ، وتطورها بحيث

ومن الجدير بالذكر أن مشكلة عمان عرضت لأول مرة على الأمم المتحدة عام ١٩٥٧ عندما دعا مجلس الأمن لبحث العدوان المسلح الذى شنته بريطانيا ضد استقلال إمامة عمان ووحدة أراضيها ، وقد صرح بازواك رئيس اللجنة ، بأنه يجرى الآن إعداد دراسة كاملة لجميع المسائل المتعلقة بالقضية ، حتى يمكن للجنة أن تستعرض الحقائق أمام الجمعية العامة في ١٠ نوفمبر القادم . أما هذه اللجنة الخماسية فتتألف من أفغانستان والسنگال ونيجيريا ونيبال وكوستاريكا .

الجمهورية العراقية :

عثر فريق بريطاني أمريكي للآثار على أنقاض مدينة حصينة في العراق يعود تاريخها إلى عام ١٨٠٠ قبل الميلاد ، وذكر الدكتور فرولينش ريتي رئيس متحف جامعة بنسلفانيا أن هذه المدينة تعرف باسم « قل الرماح » وتقع إلى الشرق من الموصل بشمال العراق . هذا وقد ترأس فريق الآثار المعترك المستر دافيد أوتس من مدرسة الآثار البريطانية في العراق والدكتور كلثوم من متحف جامعة بنسلفانيا .

وقد ذكر الدكتور ويني أن الفريق عثر على قلاع مرتفعة ودهاليز داخل المدينة المبنية من الطوب ، كما عثر في الجانب المكشوف من مدخل المدرسة على تمثال له

تساير مناهجها التطورات العلمية الحديثة .  
 وأن الوزارة ستواصل الاستعانة بالمدرسين  
 من الاقطار العربية الإسلامية والأجنبية .  
 أصبح من المنتظر أيضا أن تنتهى جميع  
 أعمال الهدم القائمة بمكة المكرمة لإنشاء  
 الميادين الخمسة حول المسجد الحرام .  
 أخبار سرية :

• بدأ المجلس الأهلى للشئون الإسلامية  
 باقاهرة ، محاولة ترجمة تفسير القرآن إلى  
 اللغة الفلبينية ، وأسندت هذه المهمة إلى  
 مجموعة من العلماء مع الشيخ أحمد بدير أحد  
 زعماء المسلمين فى الفلبين ، وسوف يطبع  
 من النسخة المترجمة عشرة آلاف ، فى الفلبين  
 ثلاثة ملايين مسلم .

هذا وقد قرر المجلس منح المسلمين الزوج  
 بأمرىكا مشرين منحة دراسية للطلاب المسلمين  
 للتعليم بالأزهر الشريف خلال العام الدراسى  
 الحالى .

• هاجت بعض صحف نيجيريا السيد /  
 أحمد بللو رئيس وزراء نيجيريا الشالية  
 بسبب تأييده للعرب ضد إسرائيل ، لأنه  
 خلال زيارته للشرق الأوسط دعا إلى إنشاء  
 جبهة إسلامية تشترك مع العرب فى تحرير  
 فلسطين .

• تمكلفت بعثة الأمم المتحدة فى اليمن  
 ٧٠٠ ألف جنيه ، وأعلن يوثانت سكرتير

الأمم المتحدة أن الجمهورية العربية المتحدة  
 والمملكة السعودية قد أسهمت كل منها بـ ٢٨٥  
 ألف جنيه .

• قال سوكارنورئيس جمهورية أندونيسيا  
 الإسلامية التى يمثل الإسلام بها أكثر  
 من ٩٥ ٪ .  
 • أنا شيوعى ومتدين ووطنى :

وذلك فى أثناء الاحتفال بضم وزيرين  
 شيوعيين إلى حكومته التى يبلغ عدد أعضائها  
 ٧٧ وزيرا .

يبلغ تعداد الحزب الشيوعى فى أندونيسيا  
 مليونين .

• قررت وزارة الأوقاف إنشاء أول  
 مؤسسة عربية إسلامية لنشر الإسلام وتعليم  
 العربية فى آسيا وأفريقيا ، وسوف تبدأ هذه  
 المؤسسة مهمتها بإنشاء عشرة مراكز فى عشر  
 بلادآسيوية وأفريقية ، واعتمد لهذه المراكز  
 مبلغ ٨٠٠ ألف جنيه ، وسيضم كل مركز  
 مسجدا ومدرسة ووحدة صحية علاجية .

• عثر طالب ألماني يدهى مرمان تايزو  
 فى جزيرة رويجين فى بحر البلطيق على قطعة  
 من العملة العربية التى كانت مستعملة فى عهد  
 هارون الرشيد .

• تساهم الكويت بمبلغ ٢٥٠٠٠ جنيه  
 استرلينى فى بناء مركز إسلامى بلفندن .

محمد عبد الله السامح

choses d'Islam en Particulier nous trouverons que de essais ont été faits au cours du xixe Siècle pour extraire les Préceptes moraux du Koran. Mais le cadre de ces essais est souvent très restreint, et le contenu en est loin de répondre rigoureusement à la vraie doctrine Koranique.

Pour ce qui est du cadre, non seulement on a omis le côté théorique de la question : aucun savant Européen n'a encore essayé de dégager du Koran ses principes éthiques généraux. Mais en outre, nul d'entre eux n'a eu le souci de formuler ses règles pratiques et de les présenter sous la forme d'une loi complète. Tout leur effort réside dans ce fait qu'ils ont groupé et traduit littéralement un nombre plus ou moins grand de versets Koraniques relatifs au culte et à la conduite.

C'est Garcin de Tassy qui nous semble avoir ouvert cette série des Extraits thématiques du Koran par un opuscule intitulé : "Le Korân : Doctrines et devoirs" (Paris 1840). Il fut suivi par le fèvre qui publia

en (1850) des morceaux choisis de la traduction de Savary sous le titre : "Mahomet, lois morale, Civiles et Religieuses" puis par Barthélemy Saint-Hilaire dans "Mahomet et le koran" (Paris Didier 1865).

Quant aux défauts de fond, ce la tient soit à une traduction incorrecte, soit à un mauvais compte-rendu, soit aux deux facteurs réunis. ceci se rencontre surtout chez Jules La Beaume dans son "Koran Analysé" (Paris maison-neuve 1878), qui est d'ailleurs l'œuvre analytique la moins incomplète.

Il nous a paru donc indispensable de reprendre le sujet et de le traiter suivant une méthode plus saine, en vue de rectifier ces erreurs, de combler cette lacune dans la bibliothèque Européenne et de montrer aux savants occidentaux le véritable visage de la morale Koranique. et ce fut en réalité notre but essentiel dans le présent travail.

( Suit )

## INTRODUCTION

*“ Un ouvrage nouveau doit traiter exclusivement d'une des sept questions : une chose insolite à créer, incomplète à achever, confuse à éclaircir prolixie à resumer désordonnée à mettre un ordre, dispersée à réunir ou erronée à rectifier ” (1)*

Ce sage précepte d'un savant azharien du XVII<sup>e</sup> siècle garde toujours sa valeur et requiert de chaque écrivain qu'il se conforme à sa chate.

Notre lecteur attentif aura l'occasion d'apprécier jusqu'à quel point l'ouvrage que nous lui présentons aujourd'hui remplit ces conditions. Ce n'était pas pour perdre notre temps. Importuner nos lecteurs, charger nos bibliothèques, que nous avons entrepris ce nouvel ouvrage sur Le Korân ; et c'eût été le cas si notre œuvre n'apportait rien de neuf dans le monde oriental ou occidental.

I Etat antérieur de la question.

Un regard rapide sur les traités de morale générale, écrits par des savants occidentaux suffit pour y apercevoir un vide bien large et bien profond, dû à leur silence

absolu sur la morale koranique ces traités nous entretiennent en effet plus ou moins longuement des principes moraux, tels qu'ils ont vus par le paganisme grec, puis par les religions juive et chrétienne mais une fois ces trois périodes parcourues, les voilà qui nous transmettent par un saut brusque aux temps modernes en Europe, laissant de côté tout ce qui touche la loi morale de l'Islam.

Et pourtant l'apport koranique en ces matières est d'une valeur inestimable. l'histoire des doctrines éthiques y gagnera en étendue, en profondeur et en harmonie; et le problème moral lui-même n'en aura que des profits. Pour résoudre ses difficultés, tant nouvelles qu'éternelles.

N'est-ce pas une perte immense qu'une telle doctrine soit ainsi omise et passée sous silence ?

(1) Chams Ed-Dine el Bâbili mort en 1077 de l'hégire, cité par moulla El-Mohbbi, Khoulassat el-Athr, fi Agâne el Karn El Hâdi achar T.IV.P. 41 (éd caire 1284 H)

Il est vrai que si, au lieu de chercher dans ces troites de morale générale, nous consultons les ouvrages européens qui traitent des

Pourrais-je, après tout, brosser, par ce rapide aperçu, la biographie d'un homme dont les inoubliables vertus vaudraient d'être rapportées dans un livre plus détaillé où serait mis en lumière un passe glorieux d'efforts et de luttes ? Je sollicite de Dieu tout puissant l'aide dans la mise en œuvre d'un paniel projet afin que ce livre puisse voir le jour très prochainement. C'est une dette dont je veux m'acquitter et

message que je me dois de repmlir.

C'est un grand honneur pour moi de présenter aux lecteurs de la revue "AL AZHAR", un ouvrage du grand maître et camarade, le regretté Dr. Mohamed Abdullah Draz. "La morale du Korân".

J'espère avoir l'occasion d'en faire un aperçu analytique, rendant ainsi d'hommage à l'oeuvre et à l'écrivain.



مركز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

Il ne se laissa jamais décourager par les lourdes charges de sa famille dont chaque membre rêvait, un avenir digne et heureux. Il n'oublia point ses obligations envers son pays et envers l'Azhar, malgré les violentes cannonades et les vrombissements des bombardiers pendant toute la durée de la guerre mondiale.

Rien de tout cela ne l'empêchait de recevoir chez lui les membres des communautés musulmanes ou les visiteurs de passage venant des diverses parties du monde islamique. Il les accueillait avec aménité, les complait de prévenances et leur réservait la plus généreuse hospitalité.

Le jour où il obtint la licence, je me rappelle lui avoir posé cette question : "Quel profit avez-vous tiré de vos études à la Sorbonne?" "De la méthode dans l'enseignement et certains aspects de morale", répondit-il. "Quel serait le sujet de votre thèse?" repris-je. "La morale, fit-il, et plus précisément la morale du Korân".

Ce fut alors que j'appris que notre moniteur s'était attelé à sa thèse dès le premier jour de son arrivée à Paris. Il ne cessait de réciter le Korân, en ma présence, et je le voyais s'arrêter à chaque verset comportant un point de morale. On eût dit qu'il le confrontait avec toute théorie ou tout

système philosophique présentant une analogie en la matière.

Il croyait en la perplexité de la conscience morale dans la démonstration des diverses civilisations. Il assurait que le malheur de toutes les civilisations c'était l'absence de l'élément fondamental et véritable de cette conscience, c'est à dire de la source dont elle puise sa raison d'être, son essence et son efficence. Car, que serviraient toutes les idéologies de l'histoire et tout le génie des historiens si le monde continuait à danser sur un volcan? Et s'il était dangereux et effrayant de parler du destin, où donc trouverions-nous la sécurité morale, la tranquillité de l'esprit, la confiance en l'existence et l'optimiste foi dans la marche de l'univers?

Il affirmait que le Korân est la source de toute éducation humaine et de toute morale pratique et théorique, et que nous devrions inéluctablement y puiser le système morale auquel aspire l'humanité pour réaliser ses idéaux et parfaire son bonheur durable.

Que les peuples égarés soient donc orientés vers les principes de morale contenus dans le Korân et que les mécréants se plient à la parole révélée, toute de vérité et de justice.

## Dr. MOHAMAD ABDULLAH DRAZ

Par : Dr. AFIFI ABDEL FATTAH

*Directeur des Recherches Islamiques*

Descendant d'une lignée d'hommes lettrés connus par leur attachement aux préceptes de la morale, Mohamad Abdullah Draz fut, dans son enfance, entouré par les soins paternels les plus tendres et les plus attentifs, dans une famille dont le riche patrimoine de vertus s'était transmis de génération en génération.

Je l'ai d'abord connu par ouï-dire, grâce aux nombreux éloges dont le comblaient les érudits de son temps. Ensuite, j'ai eu l'occasion de le rencontrer, de temps en temps, au cours de ses leçons qui révélaient en lui un professeur modeste, indulgent, doux, d'esprit large, d'expression élégante et de pensée profonde, abordant avec tact et sagesse les problèmes les plus ardu, pour les clarifier, par la suite, sous la forme la plus nette et la plus agréable.

Rendant gloire à ces dons qui étaient le témoignage d'une faveur divine, je nourrissais alors un seul vœu : c'était de pouvoir, avec l'aide de Dieu, entrer en rapport plus étroit avec ce grand homme.

Repondant à mon désir, le destin voulut que nous fussions choisis

tous deux comme membres de la mission de l'Azhar à Paris. Nous restâmes dans cette capitale une dizaine d'années au cours desquelles, Mohamad Draz fut pour moi et pour tous les membres de la mission, le dirigeant, le guide, le contrôleur et le protecteur. Les travaux de la mission furent, grâce à Dieu couronnés de succès et tous ses objectifs réalisés.

Avant son voyage en France, Mohamad Draz avait déjà une connaissance assez profonde de la langue française et de sa littérature. Il lui fut ainsi facile d'obtenir les titres universitaires. Cependant, animé par une curiosité pressante d'apprendre, il tint à entreprendre des études plus vastes et plus approfondies. Il se fit inscrire à la Faculté des Lettres où il suivit avec la plus grande persévérance les cours de philosophie. Il réussit à décrocher toutes les licences requises dans cette discipline, malgré les circonstances difficiles que traversaient alors les citoyens français eux-mêmes et, à plus forte raison, les étrangers vivant en France.

who would at times demand his assent to terms that were derogatory to his personal honour, even then He would accept them and act on them under all circumstances. Even before He had received the messengership, his integrity and impartiality had become proverbial. He was referred to by all, friends and foes, as "AL-AMIN", the Trust worthy. People would bring their disputes to him to be settled.

The Prophet was a living example for the spread of Justice and equality. Muslims or non-Muslims, friends or foes, high or low, all were, alike to him. Even in the treatment of his servants, everywhere he observed the same principles of equality and justice. It is reported that Anas was in the service of the Prophet Muhammad for about ten years. He said that during this long period he was not once reprimanded by him.

The Prophet of Islam enjoined the acquisition of knowledge upon all Muslims, both males and females. The Holy Qur'an says: "Whose ever is given knowledge is given in reality, much goodness." The prophet says: "Acquire knowledge even if you must go to China to find it" He is reported to have said that the pen is mightier than the sword,

and a drop of ink from the writer's quill is more sacred than the blood trickling from the wounds of a martyr." While the achievements of every great man are limited to a definite sphere, those of the Holy prophet cover the entire field of human life. He gathered to gether a people like the Arabs, split up into warring tribes, severed by generations of blood feuds. He lifted up a nation sunk solow. as were the Arabs, and made of them torch-bearers of a living culture and a great civilization. His greatness is to be found in a mighty and comprehensive personality. His words inspired and His personality radiated the hearts of His companions, whowere not persons of inferior standing or mental calibre, but men of high rank, wealth culture and Position. His life was the assemblage of all the virtues, human and divine. Sincerity, generosity, broadmindedness frimness and tenacity of purpose, His calmness in adversity. His meakness in prosperity, His humility in greatness, His modesty of character, His love for people, His care for animals, His bravery and magnanimity of spirit, His unbending sense of justice are the manifestations of his practical life. It would need volumes to describe the unique qualities of His Unique Personality.

# PROPHET MUHAMMAD

## THE PERFECT EXAMPLE FOR HUMANITY

Prophet Muhammad ( Allah's choicest blessings on him ) belived in teaching his message by example more than by speeches and percepts. There is not a single order or rule from God that did not find complete manifestation in his own action. The Holy Prophet practised rather than preached. His actions were the virtual translation of the teachings of Quran. How can the percepts and principls, that are not practised by their own teachers, infuse into others any enthusiasm of any acceptance? The people are not to be guided by those who only preach.

The actions of teachers far more than words should entitle them to our allegiance. Muhammad was the perfect and complete example of Quranic Principles and rules. In His own life every phase of human morals and human values found complete manifestation. His whole life was an eloquent and practical commentary on the Holy Quran. Both the records and experiences satisfy all that could be demanded of a real great leader, who came to guide the humanity to the right path, that is the path of Allah.

From childhood, Muhammad climbed to the summit of glory.

The most furious storm of hardship and calamities failed to move him an inch from his position and the mission which He prized above all things. He held fast to the verse of Quran: "Surely with difficulty Surely is ease." His spirits remained unmoved by the turns of fortune's wheel. The followings are Some of his great characters and noble qualities.

Sincerity and Simplicity were the key-notes of the character of the Prophet Muhammad. High morals were ingrained in his very nature. They were something which grew in him from his very child hood and they became the compelling feature of his character. He was not only peace-lover by nature but also a peace-maker. War was alien to his nature, He was by sheer force of circumstances, driven to take up arms. It was due to this intrinsic virtue in him that he preferred the "Peace of Hudaibiyya" to continued blood-shed, though according to terms of that Truce, the concessions obtained by Muslims were almost nil, and they were treated as conquered.

As a ruler also Muhammad entered into treaties with enemies,

it and adorned it, and there are no gaps in it. And the earth We have spread it out, and set thereon mountains standing firm, and produced therein every kind of beautiful things in pairs. To be observed and commemorated by every servant turning to God. And We send down from the sky rain charged with blessing, and We produce therewith gardens and grain for harvests. And tall palm-trees with shoots of fruit-stalks, piled one over another. As sustenance for God's servants ; and We give new life therewith to land that is dead : thus will be the Resurrection. ”

The Holy Qur'an blames those who do not think and mind when it says :

“ And how many Signs in the heavens and the earth do they pass by ? Yet they turn their faces away from them.”

It is reported, also, that Bilal, the companion of the Prophet, went to call out for the Morning Prayer when he saw the Prophet crying. Upon asking him about the matter, the Prophet said :

“ What, should not I cry ? God revealed to me this night this verse : Behold ! In the creation of the heavens and the earth, and the alternation of night and day-there are indeed signs for men of understanding.” Then the Prophet added : “ Woe to those who read this verse and do not think deeply about it ”.

“ Those who divided their religion, and turned into sects and groups, you have nothing to do with them, their matter is to God, Who will bring them to requital ”.

**QUESTON :**

What is the meaning of the word “Faith” ?

**ANSWER :**

“Faith” is the belief in something with all yours heart with no dout or hesitation.

People are different in their faith according to whether the evidences of their faith are clear or ambiguous. Suppose, for example, that a person has heard from another truthful one that there is a country in the world called “Nigeria”, the first will believe the latter, especially if he has heard about the same fact from other truthful men. If it happened that he saw the picture of the capital of that country, his belief about the existance of that country will be stronger. And if he went actually to Nigeria, his certainty will be quite aboslute, and he will harbor no doubt at all about that fact.

In this way, people are different in the grades of their religious faith. Some believe by imitation and inheritance, just because they were born to Muslim parents. Such faith is liable to doubt and suspicion.

Some other acquire their faith through thinking and deliberation which make their faith stronger. Still some others combine their thought with their obedience to God in their search after truth until its light shines in their heart. Those are described in this Holy Verse :

“To those who recieve guidance, God increases the light of guidance, an bestows on them their piety and restraint from evil.”

**QUESTION :**

What are the basic sources of faith in Islam ?

**ANSWER :**

Islamic faith is based upon the Holy Book of God and the Traditions or “Sunna” of the Prophet (peace be upon him). This faith is in complete harmony with reason and scientific facts.

Therefore, God, the Almighty, honoured the reason and directed His speech to it, made it the criterion of responsibility, and called it to think and search after truth. The Holy Qur'an says :

“Say : Behold all that is in the heavens and on earth...”

And :

“ Do they not look at the sky above them ? How We have made

faith in the Angels, the Books of God, His messengers, the Day of Judgment, and the divine laws. The Quran says :

“The Apostle believes in what has been revealed to him from his Lord, as do the men of faith. Each one of them believes in God, His Angels, His Books, and His Apostles.”

And :

“It is not righteousness that you turn your faces towards east or west ; but it is righteousness to believe in God, the Last Day, and the Angels, and the Book, and the Messengers”.

No one is considered a Muslim if he does not believe in the existence of God, His oneness, His being exalted above similarity to, or dis-cendancy in, others, His being distinguished by disposal and management of the Universe, and His being the only one deserving worship. He will not be counted among Muslims who does not believe in the messages of God to His servants through His messengers and Books, or does not believe in what is implied in these books, or makes a distinction between any of God's messengers and believes in some of them and disbelieves in some others. Nor is he a Muslim who does not believe in the life hereafter, and that the other life is

the life of requital and eternity, or who denies the laws of God, His orders and His prohibitions.

QUESTION :

Why was Islam named by this word ?

ANSWER :

All other religions are named after a certain man or a certain nation. Christianity and Buddhism were named after their founders “Christ” and Buddha.

Zoroastrianism is ascribed to Zarathushta, and so on.

Islam, however, is not ascribed to any person or nation. The word Islam, however, is not ascribed to any person or nation. The word “Islam” indicates that nobody or no nation established Islam.

It is the natural religion of all people from eternity, as the Holy verse says :

“... The pattern on which He has made mankind; no change in the creation of God. That is the standard religion. But most among mankind understand not”.

QUESTION :

What is the meaning of the word “Islam” ?

ANSWER :

“Islam ” means “submission”,

# Principles of Islam

*By : Abdul Wadood Shalaby*

What are the basic creeds of Islam ?

ANSWER :

The basic creeds which should be believed in by Muslims are :  
First : the existence of God, His oneness, His being distinguished by the disposal and management of the universe, His being exalted over partnership of others with Him in power and glory or His similarity to anything else in being or attributes, and His deserving of worship solely. No creator but He, no partner to Him, and nobody is asked for help or mercy save Him. The Holy Quran says :

“ Say: He is God, the One and the Only. God, the Eternal, the Absolute. He begets not, nor is He begotten. And there is none like Him.”

Second : to believe that God chooses from among His servants some messengers to convey His messages, through divine revelation, to His servants, and to call them to right faith and good action. Therefore, a Muslim should believe in all the prophets and Messengers of God from Noah down to Muhammad (peace be upon them all).

Third : to believe in the Angels who are the agents of God to carry His revelation to His messengers. And to believe in the divine Books of God.

Fourth : to believe in what is called for in the different missions of the messengers of God, such as the belief in the Day of Judgment, and the divine laws and legislation.

QUESTION :

How are these creeds realized by the one who wishes to be a Muslim ?

ANSWER :

These creeds are realized by the “shahada” or the witness that God is One and that Muhammad is His servant and His messenger. To witness that “There is no god but God and Muhammad is the Messenger of God” is the key of Islam.

The belief in the oneness of God demands complete faith in Him as the Only diety, and the sole Cherisher of humankind. Thus He is the Only One Who is distinguished by worship.

The belief in the messengership of Muhammad calls for complete

the female, and made you nations and tribes so that you may know each other, but the most righteous of you is the most respected before God."

"The members of the human family are similar to the teeth of a comb and there is no superiority for the Arabs over the non-Arabs except on the basis of piety."

"All of you from Adam, and Adam was from dust."

Islam declared a non-stop war against slavery which prevailed all over the world in those days and it gave equal statues to men and women in rights and duties.

Then Islam declared the freedom of belief. The Qur'an says: "There is no compulsion in religion the right has become evident from the wrong. If thy lord willed all those on earth would believe. Would you then compel the people to believe?" It Shows full respect to all religions and guarantees freedom of worship, peaceful life and justice.

Islam also declared the freedom of thinking and expression. It rejected blind faith, and despotic rule. Islam calls its followers to ponder the kingdom of the heaven and the earth and to adopt way of generosity

liberality and forgiving. The law of Muhammad guarantees freedom to all minority communities for preaching their faith and ideas and teach them in schools temples etc. without any kind of interference. It also approves the right of ownership with some suitable conditions in the general interest of the community and the state. These are the main natural rights which Islam guaranteed to all people without any Consideration of colour, race, language or religion. The prophet Muhammad declared these rights fourteen hundred years ago, at a time when everywhere ignorance, error and tyranny reigned supreme. Then Muhammad lit the torch of truth before the erring humanity and showed mankind right path. And he freed them from the bonds of Fanaticism, selfishness and Materialism. Through this way he promised the world prosperity, peace and happiness

Alas ! what a pity for the mankind of to-day who are misled by these hypocrites who are to-day preaching these human rights and at the same time they are continuing the colour war against the black skinned people and practicing the law of discrimination.

colour has its own value and every religion has its own place. But the test of weight and value depends on man's ability and his disability not on his humanity and dignity. While knowledge, wealth and power are the means of sovereignty, ignorance poverty and weakness will lead to slavery. Sovereignty is a fundamental unconditioned right. Incontrary slavery is a duty without any right.

Muslims alone can understand "man" in its true sense because they are followers of Muhammed. Muhammed declared human rights in its true form clearly and openly by the inspiration of God who sent him as the messenger of peace and mercy to the whole world.

God send him as the messenger of mercy to the persecuted people who face suppression, or weakness and poverty in this world. He removed class distinction, established social justice, freed the slaves and declared the law of equality, and brotherhood between man and man.

The message of Muhammed was not directed to a particular race, nation or country, but God sent him as His messenger of peace and mercy to the whole of humanity. In the law of Muhammad there is no distinction or preference between man and man on the basis of colour,

language, race, religion, Social or political Considerations. This universal message brings together the people who dwell on the surface of this earth, under one law that is the law of God and one banner that is the banner of truth. Arabs, Romans, Turks, Indians, Chinese, Africans, Europeans and Negros stand side by side with equal statues before the law of Muhammad.

Islam honours no one on the basis of colour or Social position and it does not allow the sons of Adam, to bow their heads before any one save God Almighty as the Quran Says : "Indeed we have honoured mankind".

The Jews pretended that they were the sons of God and His select people ; the Romans Said that they were his servants ; the Arabs were claiming that they were the masters of eloquence ; and the Hindus believe that God created the Brahmins from His head, Rajput from His hand and the untouchables from His feet.

In one way or the other, the Social Statues of man was counted on the basis of race, creed, wealth or power, and this state of affairs continued until Muhammad came and declared before the world that "the believers are brethren". "O people ! God created you from the male and

# MAN IN THE LAW OF MOHAMMAD

## (in the context of Racial discrimination)

BY : A. H. EL-Zayyat

EDITOR - IN - CHIEF

The Leaders of Europe and America pretended that they had proclaimed in December 1949, the charter of human rights in the United Nations Organisation and they promised to the people prosperity, happiness and peace.

Before that the leaders of French Revolution also had proclaimed these rights in 1789 and they made it a preface to their constitution consisting of 17 articles. The policy of discrimination prevailing in certain parts of America and Africa, the inhuman treatment which the coloured people are facing at the hands of the white men who have pretended that they are the pioneers of human rights has left one to ask himself what the Europeans and Americans mean by the word "human" and to whom they have proclaimed these rights ?

Whether he is some man whom God created from different lands, and colours or he is

white man who Comes from the Latins, Saxons or Tutons ? It appears from their present policy and behaviour that they mean only the white man, because black and red people have all duties but no rights.

The deprived existence of the people in the land of liberal democrats is the worst fib in the constitution of democracy in Washington and the biggest mockery of the statue of liberty in Newyork. But the coloured people of Asia and Africa in the eyes of Europeans are like the animals which are born to be trained to work or like the raw materials to be used in the industrial production. They are usually a matter of dispute during the time of peace and a bone of contention in war time among the big powers. Because of this fault in the interpretation of the word "man" the basis of rule and law has been disturbed and the principles of democracy and freedom are contradicted. Every race of the human family has its own weight, and every

# الفهرس

| صفحة | صفحة                                          |
|------|-----------------------------------------------|
| ٢٥٧  | للذائب الأدبية للتعرفه                        |
| ٢٥٨  | للأستاذ أحمد حسن الزيات                       |
| ٢٦١  | المطولات النصرية لطلاق - ٤ -                  |
| ٢٦٦  | للأستاذ محمد محمد للدفى                       |
| ٢٦٩  | حول أزمة الإيمان                              |
| ٢٧٠  | للأستاذ محمد القزالي                          |
| ٢٧٥  | من روافد الثقافة الإسلامية - ٤ - رسالة        |
| ٢٨٠  | الأصول للإمام الشافعي للأستاذ الفاضل بن ماحور |
| ٢٨٨  | العهد مسئولية دينية والوفاء به غاية حتمية     |
| ٢٩٢  | للأستاذ عبد الطيف البكي                       |
| ٢٩٨  | الإسلام وما ينفي عليه                         |
| ٣٠٧  | للأستاذ عبد الكريم الخطيب                     |
| ٣٠٩  | للأستاذ عبد الحميد حسن                        |
| ٣١٠  | للأستاذ محمد القزالي الجراساني                |
| ٣١٩  | من بحوث مجمع البحوث : ملكية الأفراد           |
| ٣٢٧  | للأستاذ محمد حسن جاد                          |
| ٣٢٨  | للأستاذ محمد عبد الله السامس                  |
| ٣٢٩  | حق الفقراء في أموال الأغنياء                  |
| ٣٣٢  | للأستاذ الدكتور إبراهيم الببان                |
| ٣٣٦  | الملكية الفردية وتحديد ما في الإسلام - ٤ -    |
| ٣٣٧  | للأستاذ علي الحنيف                            |
| ٣٣٨  | المجتمع الاشتراكي في ظل الإسلام - ١٠ -        |
| ٣٣٩  | للأستاذ عبد الرحيم فودة                       |
| ٣٤٠  | التدوي الأدبي كما يراه ابن خلدون - ٢ -        |
| ٣٤١  | للأستاذ علي المباري                           |
| ٣٤٢  | فزوة أحمد بين القرآن والشعر - ٣ -             |
| ٣٤٣  | للأستاذ الدكتور أحمد أحمد بدوي                |
| ٣٤٤  | رسالة للسجد في نعر الثقافة والحضارة [ تنمة    |
| ٣٤٥  | البحث ] للأستاذ أحمد العرابي                  |
| ٣٤٦  | نظرات في الأدب والتصوف مناجاة الخالق          |
| ٣٤٧  | للأستاذ محمد إبراهيم الجبوشي                  |
| ٣٤٨  | الهندوكية للأستاذ محي الدين الألواني          |
| ٣٤٩  | شوق وتاريخ العرب والإسلام                     |
| ٣٥٠  | للأستاذ محمد عبد المنعم خفاجي                 |
| ٣٥١  | توضيح وتصحيح لتفسير آية                       |
| ٣٥٢  | للأستاذ عباس طه                               |
| ٣٥٣  | الملاحم والمطولات الإسلامية في الشعر          |
| ٣٥٤  | العربي للدكتور سعد الدين الجبازي              |
| ٣٥٥  | ما يقال من الإسلام                            |
| ٣٥٦  | للأستاذ أحمد فتواه الأهواني                   |
| ٣٥٧  | من وحى القرآن « نصيدة »                       |
| ٣٥٨  | للأستاذ حسن جاد                               |
| ٣٥٩  | الكتب : للأستاذ محمد عبد الله السامس          |
| ٣٦٠  | أبناء وآراء :                                 |
| ٣٦١  | للأستاذ إبراهيم محمد الأصيل                   |
| ٣٦٢  | كتابة القرآن والحديث باللغة اللاتينية -       |
| ٣٦٣  | زراعة للواد التي تؤخذ منها الخمر - الزواج     |
| ٣٦٤  | العربي المستوفى الشروط المقدد الصحيح -        |
| ٣٦٥  | حكم عقد زواج البكر إذا أفادت بما يفهم         |
| ٣٦٦  | منه القبول وظهر العكس                         |
| ٣٦٧  | في محيط العالم الإسلامي                       |